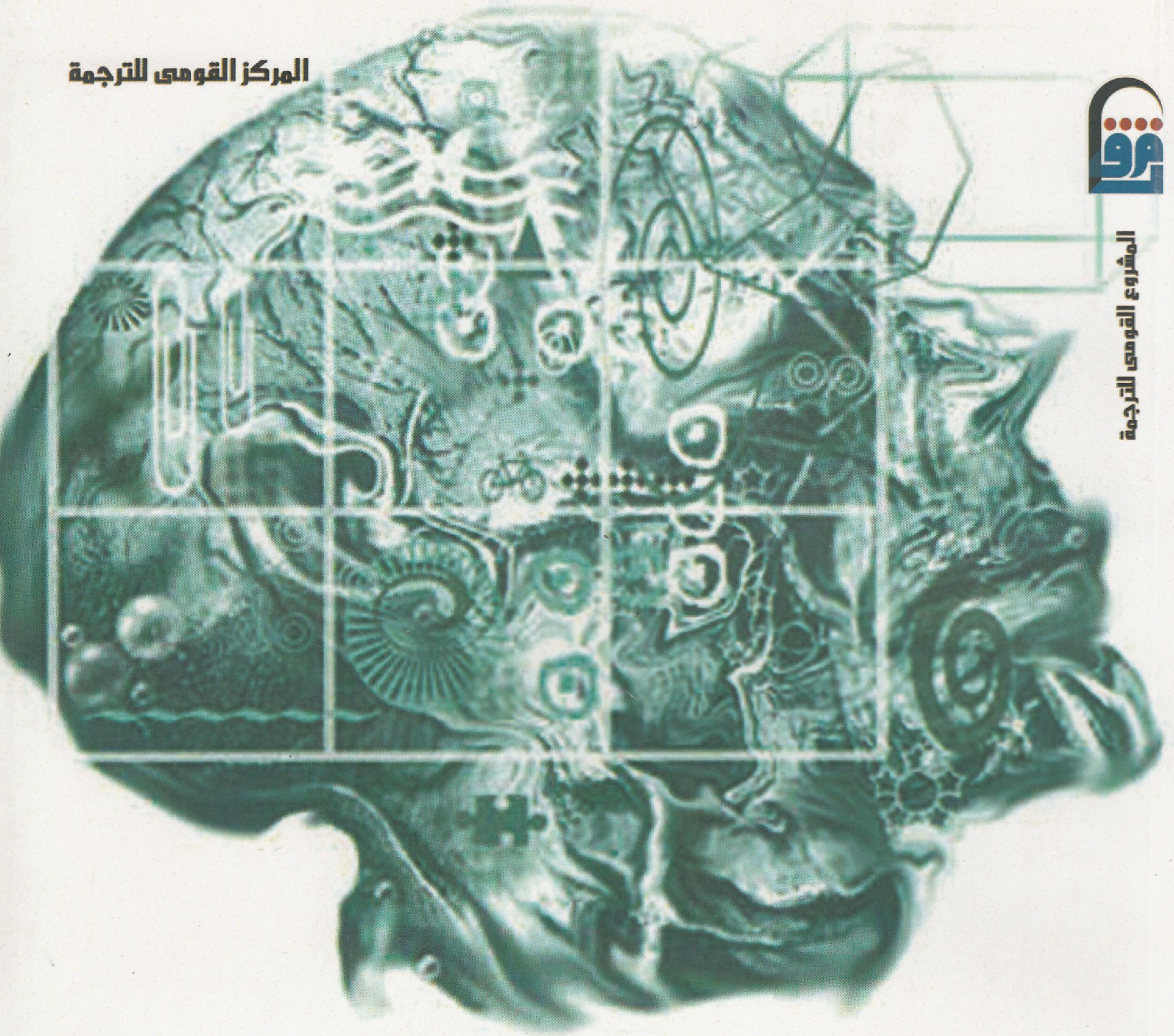
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة



جوليان باجينى

حجج فاسدة

تجعلنا نبدو أغبياء

ترجمة: عماد صبحى

1614

حجج فاسدة

تجعلنا نبدو أغبياء

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1614
- حجج فاسدة تجعلنا نبدو أغبياء
- جوليان باجينى
- عماد صبحى
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

The Duck that Won the Lottery and 99 Other Bad Arguments

By: Julian Baggini

Originally published in English by Granta Publications

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

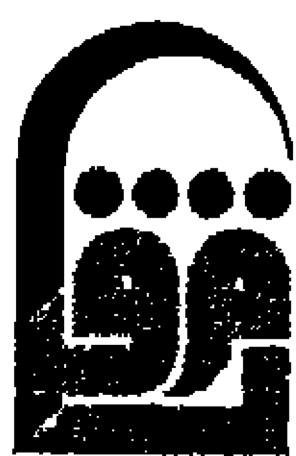
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

حجج فاسدة

تجعلنا نبدو أغبياء

تـأليـــف : جوليان باجينى

ترجمـــة : عمـاد صبحى



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

باجينى ، جوليان .
حجج فاسدة تجعلنا نبدو أغبياء / تأليف : جوليان باجينى ، ترجمة : عماد صبحى .
ط١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٣٣٦ ص ، ٢٤ سم
١ - التفكير .
(أ) صبحى، عماد (مترجم) .
(ب) العنوان ١٥٣,٤٢

رقم الإيداع ٢٢٥٢٤ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978-977- 479-732-0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

مقدمة المترجم

اختار الفيلسوف جوليان باجيني مؤلف هذا الكتاب أن يسميه "البطة التي ربحت اليانصيب"، وهو اسم واحد من المقالات المتضمنة في الكتاب، عن بطة ورقية يقال إنها تجلب الحظ في لعبة اليانصيب. واخترنا نحن أن نسميه "حجج فاسدة" وهو وصف لمحتوى الكتاب كله، وإحاطة شاملة بمضمونه.

هذا الكتاب ليس مقصوداً به الاسترخاء والاستمتاع، بل الاستفزاز والتحدي والاستعداد لمراجعة ما تسمعه وتقرؤه. يمسك جوليان باجيني بتلابيب مائة حجة فاسدة يستخدمها البعض لمحاولة التأثير علينا في كل المجالات، ونصدقها في أحيان كثيرة؛ لكن باجيني يقرع جرس الإنذار للانتباه لها ورفضها وتمييز غثها حتى لا نبدو أغبياء عندما نصدقها ونتعامل معها كحقائق. الكتاب يدعو إلى التفكير ثم التفكير، ولا يدع القارئ يهنأ بالاستكانة إلى الحجج التي تقدم له يوميًا في كل المجالات. وهي عموما تنويعات على استنباطات غير متفقة مع المقدمات.

لا جديد تحت الشمس. هذا ما نكتشفه من قراءة هذا الكتاب الذي يحرث في أرضية أذهاننا مقلبا في الأفكار التي استقرت طويلا فيها من تراث وتقاليد وأفكار بالية وتفسيرات سياسية واجتماعية خادعة، بل وحتى أشباه مقولات علمية يستخدمها من يحاولون خداع العامة بكلمات يظنون أنها كبيرة وفوق المساءلة، مخلصاً الأذهان من أعشاب فاسدة نمت في غيبة من الوعي، وديدان ترعرعت مع إعتام إعلامي وسياسي واجتماعي وعلمي بل وديني.

وعلى الرغم من توجُّه الكاتب للقارئ الغربي، في المملكة المتحدة والولايات

المتحدة تحديداً؛ حيث يستخدم أمثلة وحجج فاسدة من هذين المجتمعين، سوف يدهش القارئ العربي كثيراً للتطابق الواضح بين هذه الحجج التي يشير إليها الكتاب، والحجج الفاسدة الشائعة في مجتمعنا حتى لكأنه يصف ما يقال ويذاع ويسمع عندنا كل يوم.

وحتى في تفاصيله الصغيرة نجد تطابقاً مذهلاً مع ما نعاني منه في مجتمعنا، فنظرية المؤامرة التي تستخدم لتفسير الأحداث وتكشف أن حكومة الولايات المتحدة هي المدبرة لأحداث ١١ سبتمبر بغرض إيجاد ذريعة للحرب ضد الإرهاب، والبرامج الحوارية تبحث عن الضيف الذي يفجر الجدل والسخونة في البرامج وإن كانت آراؤه شاذة وضد الحقيقة، وقضية التصويت في الانتخابات وسلبية الناخب المعتقد أن صوته لن يغير من الأمر شيئاً، والنظريات العلمية التي تستخدم لإثبات أفكار زائفة، كل هذا تقرؤه فتجد له صدى من واقعنا وما يدور حولنا.

لكن الكاتب يتمتع بشجاعة يسمح بها المجتمع الليبرالي ولا نستطيع أن نجاريها في مجتمعاتنا فيناقش الأفكار الدينية والنصوص المقدسة بحرية يُحسد عليها، ولا يضع حدوداً للحوار الذهني الذاتي فلا يستبعد أي قضية من المناقشة والتحليل. يضع الكاتب رجال السياسة والدين والعلم والصحافة في مرمى نيرانه. وإذ يناقش السياسة والدين، يتطرق أيضا إلى المثلية الجنسية وممارسة الصغار الجنس وما ينتج عنه من أمراض وأطفال وإجهاض بكل ما تثيره هذه الموضوعات من قضايا تستخدم فيها حجج فاسدة كثيرة.

احتلت السياسة الصدارة في الكتاب، فناقش ردود الفعل تجاه الإرهاب والحرب في العراق، وناقش مقولات وحججا فاسدة لجورج دبليو بوش وتوني بلير ورامسفيلد وصدام حسين، كما لم يفته مناقشة بعضٍ مما قاله باراك أوباما وهيلاري كلينتون أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية في أمريكا. وحتى ربط الولاء للرئيس بحب الوطن أو توحد النظرة للوطن والرئيس لم تغب عن هذا الكتاب، كما لا تغيب أيضاً عن واقعنا السياسي.

ولا يترك الكاتب الحجج والأفكار الفاسدة في مجال الطب والعلاج، فيناقش تدخل غير الدارسين في العلاج والفتاوى الطبيَّة، ومدعي الطب الذين يسمون أنفسهم خبراء ويحصلون على درجة دكتوراة بالمراسلة حتى يستطيعوا أن يبثوا جهلهم وادعاءهم بالمعرفة في مواجهة الأطباء والسلطات العلمية المحترمة، كما يدعو لإعادة النظر في العلاج بالأعشاب والممارسات الطبيِّة القديمة فكونها قديمة لا يعني أنها جيدة. وناقش الكتاب أيضًا حججًا فاسدة تقال في مجالات الممارسة الديمقراطية والبيئة والقتل الرحيم والفقر والاغتصاب والرياضة، واستخدام النظريات العلمية في أفكار تافهة، والحظ والفرصة والصدفة، وتخمينات وتفسيرات عن الآلهة والبشر. كما يشير الكتاب لمدى تأثر العامة بما تكتبه الصحف التي يعتقد أنها محترمة.

ومثلما نفعل عندنا، يناقش الكاتب قضية الاحتفاء بآراء المشهورين من أهل الفن في الشئون السياسية الجارية لأسباب لا صلة لها بهم لمجرد أنهم مشهورون، حتى أنه ينتقد بشدة الاهتمام بآراء الأمير تشارلز في الطب والعمارة، مشدداً على أن الصدفة التي جعلته وريثًا لعرش بريطانيا لا تعطيه الحق في إبداء رأيه في الأمور العامة وفرضها على جمهور المستمعين.

وتذكرنا البطة الورقية التي يدَّعى أن من يلمسها يربح اليانصيب، بعضو اتحاد الكرة المصري الذي كان يتفاءل دائما بارتداء بذلة معينة يدعي أنها تجلب الفوز للفريق الوطني المصري، وحجته في ذلك أنه ارتداها عندما فاز الفريق المصري ببطولتي كأس أفريقيا في ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨ على التوالي، حتى يمكن أن نطلق عليها "البذلة التي ربحت البطولة". لكن بذلته خذلته مؤخراً عندما ارتداها في مباراة مصر والجزائر في الأدوار التمهيدية لكأس العالم ٢٠١٠ وفازت الجزائر على مصر. ألم أقل لكم إن التطابق مدهش؟

عماد صبحي

مقدمة المؤلف

القيام بأشياء بصورة صحيحة سهل؛ تخلَّص فقط من أخطائك وبعدها ستصبح مثاليًا. يصدق هذا على التفكير والمجادلة كما يصدق على أي مهارة أخرى. والأولوية الأساسية لأي شخص يتطلع إلى التفكير بصفاء هو أن يزيل كل المغالطات والالتباسات التي تصيب المنطق. المعضلة هي أن هناك الكثير منها، وسواء كان هذا جيدًا أم لا ، فالبشر ليسوا علماء منطق مثل سبوك.

هذا الكتاب صدر لتسليط الضوء على ١٠٠ طريقة شائعة يتجادل فيها الناس بصورة سيئة. معظم الناس يحذون حذو أمثلة منطق مغالط، لكن يركز آخرون على العادات والأساليب وتحيز الفكر. ويبدأ آخرون من حجج جيدة للغاية ولكنها تستعمل مع ذلك بطرق غير منطقية. كتابي هذا ليس مرجعًا، وقائمتي تحتوي على تداخلات واختلافات لما قد يعرفه علماء المنطق كنفس النوع من المنطق السيئ. لقد اخترت حركات جدلية فاسدة تستعمل بالفعل في العالم الواقعي، وفهرستها وفقًا لذلك، ليس بالضرورة بنفس الطريقة التي يفعلها أساتذة الفلسفة والتفكير النقدي. والإشارة إلى موضوعات أخرى هي دعوة لاكتشاف التشابه والاختلاف بين المناورات التي أصفها.

ولأن الأمثلة تم أخذها من الحياة الواقعية، فإنها تعكس الموضوعات التي مهدت الأرض، في السنوات الأخيرة، لأعشاب عدم المنطق التي نمت بوفرة. السياسة تحتل مكانة بارزة، وخصوصًا رد الفعل تجاه الإرهاب والحرب في العراق. هناك أيضًا أمثلة عديدة تم استقاؤها من المناقشات عن البيئة والطب البديل والدين والإجهاض والقتل الرحيم والفقر. وهناك أمثلة أقل خطورة، مثل قصائد الأغنام الكمية، والبط المحظوظ، والآلهة الذين يأتون من الفضاء الخارجي.

عندمـا واتتني فكرة هذا الكتاب أولاً: تصورته نوعًا من السـلاح الهـجـومي في الحرب ضد التفاهة. ويستطيع القارئ أن يسلّح نفسه به، ثم يبحث ويدمر عدم المنطق كلما وجده. ومع ذلك، فرؤية الناس الآخرين المشاركين في هذه البعثات التبشيرية جعلني أعيد التفكير مرة أخرى. التفكير الجيد، في اعتقادي، ليس التدجيج بالسلاح بل موضوع تبني توجه مستفهم ومتشكك وليس ساخراً. الثقة الزائدة واحدة من أكبر أعداء المنطق، بل وأخطرها، لأنها يمكن أن تتسرب في وسطه.

لذا فقد حاولت أن ألقي الضوء على بعض صعوبات تطبيق حتى أكثر مبادئ التفكير النقدي وضوحا. وفي نهاية كل موضوع هناك مجموعة من الأسئلة، مسألة ناشئة أو مهمة تهدف لإعطاء القارئ شيئًا يلوكه عقليًا بعد أن يضع الكتاب جانبًا.

كتاب مثل هذا يمكن بسهولة أن يعطي انطباعًا أن الخط بين العقلاني وغير العقلاني واضح للغاية، بينما ذلك، بالطبع، نادر الحدوث. ومثل سابقه "تربيع الدائرة" The Pig that Wants to Be Eaten, هذا الكتاب مقصود به أن يكون نقطة البداية لتفكير أفضل، وليست الكلمة الأخيرة فيه.

ملحوظة (واعتذار)
عن الأمثلة المستخدمة

قليلون هم الذين يحبون أن تستخدم كلماتهم لتوضيح الحجج الفاسدة. ومع ذلك، فإنا أردت أن أستعمل أمثلة حية؛ لذا أخشى أني قد حصلت على حوالي مائة عدو جديد بهذا الكتاب.

مع ذلك، أرجو أن تضع بعض الأشياء في ذهنك. أولاً: في مناسبات عدة، يكون الاستشهاد الذي أبدأ به ليس هو مثال التفكير السيئ في حد ذاته، لكنه يكون عامة مستخدمًا كأساس لبعض التفكير المنطقي السيئ. ثانيًا: في بعض الحالات أوضح بشدة أنه، على الرغم من أن كلماتها المحددة مثال واضح للحجج الفاسدة بصورة عامة، فإنه في سياقها قد يكون هناك أسباب جيدة توضح لماذا تم استخدامها. ثالثًا: لم يتم اختيار الأشخاص حسب اتفاقي أو عدم اتفاقي عموما معهم. جزء من هدفي أن أظهر أن الحجج الفاسدة يصنعها أصدقاؤنا وأعداؤنا على حد سواء، لدعم أشياء نتفق معها أو نختلف. رابعًا: أنا متأكد أنه لو كان شخص آخر قد كتب هذا الكتاب، لكان قد استشهد بشيء مما قلته. أنا أقول "هذه مخالفة" عندما أقف حكما بينما أعرف أني عندما ألعب ، فأنا أيضا مذنب بالتعديات ذاتها.

وحين أقول هذا، أجد أن هناك بعض الناس الذين يستحقون كل النقد الموجه لهم.

كل المراجع الابتدائية موضوعة في قائمة في نهاية الكتاب. وفي النص الأساسي، عندما أتحدث عن وظيفة شخص أستشهد به، فوظيفته بصفة عامة هي التي كان يتقلدها في الوقت الذي أطلق فيه تعليقه.

شكر وتقدير

هذا الكتاب خرج من سلسلة "حركات سيئة" كتبتها للموقع الإلكتروني Butterflies and Wheels.com. أنا مدين لجيريمي ستانجروم وأوفيليا بنسون لإعطائي هذه الفرصة ولإمدادي بالتعليقات النقدية التحريرية على الأعمدة. هذا الكتاب الآن ابتعد عن السلسلة بعدة خطوات؛ لذا فإن أي أخطاء أو عدم توفيق هي مسئوليتي بالكامل.

وبالتقدير، أحب أن أشكر جورج ملر لإنتاجه الكتاب قبل أن ينتقل لمراع جديدة، وسارا هولواي لاستمرارها في ذلك. الشكر أيضًا لبيلا كونا وجوليو فرنانديز وبريجيد مكلويد ولندساي باترسون وأنجيلا روز وبرو رولاندسون وكريستين لو وسارا واسلي.

وأخيراً، شكراً لأنتونيا لمساندتها فى إنهاء هذا الكتاب .

١ - شيء لا يصدق
حجج عدم التصديق

لا يوجد عاقل واحد يمكن أن ينظر في النجوم والظلام السرمدي المحيط بكل شيء وينكر روحانية هذه التجربة، أو وجود خالق أعظم.

Eugene Cernan, last man on the moon[١]

لا يوجد عاقل واحد يمكن أن يقرأ شهادة كرنان وينكر أن "ناسا" تعطي رواد الفضاء لديها تدريبا في البلاغة المتقدمة. في جملة واحدة، يستطيع كرنان أن يوجه ثلاث لكمات مريبة ولكنها مقنعة. هناك امتهان بالدغدغة الشخصية لأهواء المرء ؛ فالناس الذين لا يوافقون هم مجرد "غير عاقلين". وهناك أيضًا نفحة استنباط الحجة من المرجعية، من موقف "أنا ذهبت إلى الفضاء، يا صديقي، وأنت لم تفعل؛ لذا يتوجب عليك أن تصدق أني أعرف ما أتحدث عنه". وفي القلب من هذا ما يمكن أن يطلق عليه حجة عدم التصديق.

حجة عدم التصديق تعمل أساسًا عن طريق تناول حقيقة أن شخصًا لا يمكنه تصديق أو تخيل حقيقة (أو زيف) شيء ما ليكون ذلك سببًا جيداً للتفكير في أنه ليس حقيقيا (أو زائف).

في هذه الحالة، عندما يتطلع كرنان إلى الفضاء، فهو لا يستطيع ببساطة أن يؤمن أنه ليس هناك نوع ما من البعد الروحي أو خالق أعظم وراء كل شيء. الحجة الضمنية المدفونة في هذا الجزم هي أنه بسبب عدم استطاعته النظر إلى الفضاء وإنكار وجود الخالق الأعظم، وعدم قدرة إنسان عاقل على هذا أيضا، فإن هذا يستتبعه حقيقة وجود الخالق الأعظم.

وهذه في الحقيقة هى المحصلة النهائية لحالته. فهو يجعلك أنت أيضاً غير قادر بالمثل على إنكار الألوهية بالادعاء أنك لن تكون عاقلا إذا أنكرتها. لكن هذا مجرد جزم مختلط ببعض الامتهان. وهو لا يؤكد الحجة .

وكما هو الحال مع الحجة الفاسدة، بمجرد اتضاح حبكتها، يظهر ضعفها. إن عدم قدرتنا الشخصية على تخيل أن شيئًا ما هو الحال أو عكسه ليس في حد ذاته سببًا للتفكير في أنه الحال أو العكس. بعض الأشياء الحقيقية لا يمكن تخيلها قط. وحقيقة أن لدينا قناعات قوية عندما نواجه بتجارب معينة لا يعني أن هذه القناعات أسسٌ موثوق بها للإيمان الحقيقي.

وحتى لو كان كرنان مُحقا في ما يمكن إنكاره، فكل ما سوف يظهر هو شيء في حدود السذاجة الإنسانية، وليس مجرد أشياء تجبرنا تجارب محددة على تصديقها أو عدم تصديقها.

هناك عديد من الأمثلة لحالات يمكن أن نندفع فيها لتخطي حدود تصورنا. أنا لا أستطيع حقيقةً تخيل نمو الحياة من خلايا فردية لكائنات بشرية، لكن لا ينبغي التفكير في أن عدم قدرتي على تخيل هذا يمنحني أي نوع من الأسباب للاعتقاد أن نمو الكائن البشري لا يتم بهذه الطريقة. وبوضوح أكثر، عندما أرى ساحراً يشق شخصاً لنصفين، فأنا لا أستطيع رؤية الخدعة وهي تعمل، لكني سأكون أحمق للاعتقاد أن هذا الشخص شُق في الحقيقة لنصفين.

ومع ذلك، فحتى مع ظهور حجة عدم التصديق مثل حالة تفكير زلق فتحت ثم أغلقت، ففي جوهرها حقيقة غير مريحة عن الحدود الأساسية للفكر البشري. دائما ما تأتي لحظة في مجادلة عقلانية يجب أن ترى عندها أن شيئًا ما هو القضية. إذا شرحت لك ماذا تعني الأرقام، وكيف يعمل الجمع فإنك سترى بالضبط أن ١ + ١ = ٢ . وأستطيع أن أشرح أشياء مرة أخرى قد لا تستوعبها، لكن عند نقطة معينة ستضربك حقيقة عملَية الجمع بوضوح غير قابل للإنكار. وبنفس الطريقة، إذا أريتك تجارب تثبت قانون الجاذبية، مثلا، فعند مرحلة معينة ستضطر للقبول بها.

* * *

ما الفرق بين شخص عاقل ينظر إلى الكون وينكر وجود الخالق الأعظم، وشخص عاقل آخر ينظر إلى ١ + ١ وينكر أن الناتج ٢؟ أليست بعض التصورات عن الإلهيات تكون حقيقة عند بعض الناس إلى حد تأكدهم منها مثلما هم متأكدون من وجود عقولهم؟ إذا قبلنا أن قول "لا نستطيع أن ننكرها" لا يبرر أبداً ادعاءنا اللاحق أن هذا "حقيقة"، ألن نكون مدانين بالنزوع الشامل للشك؟

انظر أيضًا :

٥٥ . ليست مصادفة .

٦٦ . اثبت نفسك .

٧١ . ما لم يعرفه شيرلوك .

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٢ - أغنام الكَمِّ القافزة

العلم الزائف

لقد قررت أن أكتشف العشوائية وبعض مبادئ ميكانيكا الكم، من خلال الشعر، مستعملاً وسطًا من الأغنام.

Valerie Laws, test artist and poet[٢]

من السهل جدًا الاستهزاء بالفن الحديث، وخصوصًا عندما يتعلق الأمر بالحيوانات المجترة. وقد قامت فاليري لوز برش كلمة واحدة على ظهر كل فرد من قطيع أغنام، مستعملة ما مجموعه ١٧ مقطعا، وهو نفس العدد في قصائد الهايكو اليابانية التقليدية. وكانت الفكرة أن الأغنام ستظل تغير من أماكنها باستمرار، وفي كل مرة تخلق قصيدة جديدة تظل موجودة ما دامت الأغنام ساكنة.

أنا متأكد أن هناك العديد ممن يشاركونها المرح في خماسي التفاعيل الغنمي هذا، ولكن ما دخل هذا بميكانيكا الكم؟ تشرح النظرية الكمية عمل الأجزاء متناهية الصغر في الكون، على مستوى تحت الذرّة. وفكرة أن الأغنام يمكن أن "تنتفع" بمبادئ الكم بينما هي تتسكع في حقل هي مجرد تشوش عقلي بقدر ما تتخيل.

قالت لوز إن "ميكانيكا الكم فرع من الفيزياء يجدها كثير من الناس صعبة الفهم، حيث أنها تبدو ضد الحس العام،" قبل أن تستمر في إثبات وجهة نظرها بمثال. "العشوائية وعدم اليقين موجودان في مركز الطريقة التي وُضِع بها الكون معا، وهذا صعب للغاية علينا كبشر يعتمدون على النظام."

يبدو أن لوز مولعة ببعض الكلمات الشهيرة المتعلقة بنظرية الكم – العشوائية وعدم اليقين – كما لو أنها أمسكت بكل ما هو خاص بهما. لكن عدم يقين ميكانيكا الكم يتعلق بسرعة ووضع الإلكترونات وعدم إمكانية قياسهما في نفس الوقت. ومع ذلك، ليست هناك مشكلة في تحديد سرعة ووضع الغنم. والقصائد التي يكوِّنُها الغنم ممكن أن تكون عشوائية، لكن العشوائية هنا لا علاقة خاصة لها بمبادئ ميكانيكا الكمِّ العشوائية، على الأقل عند مستوى معين من الوصف، هي ظاهرة تتضح في مناطق أخرى للعلوم الطبيعية.

كل أنواع العلوم يمكن أن يساء استعمالها بطرق مشابهة، لكن هذا تبنٍ زائف لنظرية الكمِّ لكي يبدو الشيء أكثر تأثيراً، وهو ما وصل إلى معدلات وبائية. هناك، مثلاً، كلام كثير عن "الوعي الكمِّي": وهو يشرح الوعي باستعمال نظرية الكمِّ. هناك بعض الأبحاث الجادة هنا، وكمثال، فقد جادل روجر بنروز أنه يعتقد أن الحل لمشكلة الوعي سيأتي من نظرية الكم. لكن الأغلبية الساحقة من الأبحاث هنا مجرد تركيبة من التخمينات والقياس الملتبس. لذا خمنت دانا زوهار، على سبيل المثال، في "الذات الكمية" أن ثنائية الموجة/ الجزيء الكمية تتطابق مع الثنائية بين المادي والعقلي. يبدو أن التبرير يظهر أن الجزيئات صلبة إلى حد ما لذا فهي تشبه المادي، والموجات رقيقة وهكذا تشبه العقلي. هذا القياس مضافًا إلى الجرعة المتحررة من التخمين قادت لتفسيرها للوعي على أنه اندماج للاثنين في حالات المخ الكمية، مع أن معظم الفيزيائيين يعتقدون أن الحالة الكمية التي تعتقد زوهار أنها تشرح الوعي – تكثف بوز– أينشتين – لا يمكن أن توجد في شيء دافئ ورطب مثل المخ.(٣)

ميكانيكا الكمِّ صعبة وعسيرة الفهم، لذا يبدو أن الناس يعتقدون أن أي شيء صعب وعسير على الفهم يجب بطريقة ما أن ينظر إليه كظاهرة كمية. لكن هذا يقود إلى حالة من عدم الوضوح على الإطلاق. كما قالت عالمة النفس سوزان بلاكمور في تقرير عن مؤتمر قدمت فيه هذه النظريات كتفسير للوعي، "... هم لم يفسروه. بل جعلوه كمًا."(٤)

* * *

الاستعمال الزائف لنظرية الكمّ مثال على حركة جدلية فاسدة أخرى: استبدال لغز بآخر، كما لو كان تفسيراً. مع ذلك أنا أتعجب، إذا وقعت بعض الأفكار الشائعة للغاية تحت هذا الوصف. مثلاً، هل لغز الخلق تم تفسيره بافتراض وجود إله غامض، فوق استيعابنا، كمسبب أول؟ وأيضًا سوء استخدام العلم لتفسير أشياء، أليس هناك سوء استخدام للدين لتفسير ما لا يستطيعه العلم؟

انظر أيضًا :

١٥ . من يعلم؟

٢٢ . احترس من جونسون داخلك .

٥٠ . كلمات لاذعة .

٦٨ . الكلب والبراغيث .

٣ - قرود مستكينة تأكل الجبن

استشهاد انتقائي

وضعي هو هذا، مهما كانت الظروف، فإن فرنسا ستصوّت "لا".

Jacques Chirac, President of France[٥]

عندما قال ويلي في مسلسل سمبسون عن الفرنسيين إنهم "قرود مستكينة تأكل الجبن"، كان ذلك بالتأكيد تصعيداً وليس إشهاراً للحالة النفسية المناوئة للفرنسيين. لكن تبنى الأمريكيون والبريطانيون التعبير بسعادة لأنهم كانوا غير راضين عن الموقف الفرنسي من صدام حسين.

لم يكن الموضوع مجرد معارضتهم للحرب على العراق - فقد فعلت هذا كثير من الدول - ولكن الطريقة التي أظهروا بها ذلك. والذي مكّن المنتقدين من وصف الفرنسيين بغير المعقولية في معارضتهم كان إعلان الرئيس شيراك في مقابلة تليفزيونية أنه "بغض النظر عن الظروف"، ستمارس فرنسا حق الفيتو وتصوّت ضد قرار "ثان" ضد العراق. (في الحقيقة، تضع داوننج ستريت (رئاسة الوزارة البريطانية -المترجم) قائمة بعشرة قرارات سابقة ضد العراق، بما فيها القرار ١٤٤١، الذي ادّعت أن العراق لم يخضع بالكامل له.) هذا التعليق سبب غضبا في بريطانيا وأمريكا وكان علامة - كما قيل - على أن فرنسا قد أغلقت أذنيها للمنطق والحجة. داوننج ستريت أطلقت على التعليق وصف "سام" وقال جاك سترو، وزير الخارجية، إنه جعل الحرب أكثر ترجيحاً.

ومع ذلك، كان شيراك ضحية للاستشهاد الانتقائي. ما قاله في الحقيقة، بالكامل، كان: "وضعي هو هذا، مهما كانت الظروف، فإن فرنسا ستصوِّت "لا" لأنها تعتبر هذا المساء أنه ليس هناك أي أساس لشن حرب في سبيل تحقيق هدف وضعناه بأنفسنا، وهو نزع سلاح العراق".

الكلمات الحاسمة هنا هي "هذا المساء". والأكثر أهمية، أن المناقشات قبل هذه التعليقات كانت تدور بوضوح حول أن فرنسا ستصوت ذلك المساء (إذا كان هناك تصويتات)، في عدد من الظروف الافتراضية المختلفة، مثل وجود أغلبية من تسعة في مجلس الأمن لقرار جديد أم لا. لذا "مهما كانت الظروف" كانت تعني بوضوح بغض النظر عن تصويت أعضاء المجلس الآخرين، وتشير عبارة "هذا المساء" إلى أن الموقف الذي سيتخذ لم يكن الموقف الذي لن يتغير أبداً.

وفي الحقيقة، لم يستبعد شيراك بوضوح الاستعمال النهائي للقوة. فقد قال إن "فرنسا ليست دولة سلمية،" وهي "لا ترفض الحرب كمبدأ. فرنسا تعتبر تلك الحرب مرحلة نهائية للعملية."

مع ذلك، بالاستشهاد الانتقائي لشيراك – حسب عبارة قصيرة وليست حتى جملة كاملة – يمكن تصويره كخصم عنيد لاستخدام القوة تحت كل الظروف الممكنة. وفي تعبير آخر، قرد مستكين يأكل الجبن.

هذه الجريمة يجب عدم الخلط بينها وبين ممارسة الاستشهاد الحتمي وغير الضار لنبذة أو تعبير. بهذا المعنى، أي شيء ليس نسخة كاملة للخطاب أو العمل الكامل بل هو استشهاد انتقائي، وكل مدخل في هذا الكتاب يبدأ باستشهاد انتقائي. وتعبير "استشهاد انتقائي" يتضمن تحويراً ما، لذا عندما لا يحرف الانتقاء ما قاله المتكلم، لا يسمى كذلك.

* * *

هناك بعض النواحي يكون فيها الموضوع قد تعرض لانتهاك ما عن طريق الاستشهاد الانتقائي في نزاع ساخن. كثيرون ممن يتبعون الإنجيل أو القرآن – على سبيل المثال – يدّعون أن بعض الفقرات تبدو – أخلاقيًا – مثيرة للاعتراض فقط لأنها اقتُطعت خارج السياق. آخرون يعترضون أنها إنما تقول بالضبط ما يبدو أنها تقوله.

لذا ماذا سنفعل بهذا المقطع من القرآن، الذي يتصل بالشهادة في العقود مع المقترضين: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (سورة البقرة ٢٨٢). وهل هناك أي التباس في كلمات عيسى في إنجيل متىّ: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا. فإني جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته" (متى ١٠: ٣٤-٣٦). هل هذه مقتطفات منتقاة أم مجرد مقتطفات كاشفة؟

انظر أيضًا :

٨ . لا تقلل من شأني .

٢٢ . احترس من جونسون داخلك .

٦٨ . الكلب والبراغيث .

٩٦ . هذا ما لم أقله .

٤ - ليكن ما يكون
"إذا لم أفعلها أنا، فسيفعلها آخر"

إذا أردنا أن نوقف صناعة الدفاع التي تجري في هذا البلد، فيمكننا عمل ذلك. ستكون النتيجة العرضية أن شخصًا آخر سيوفر الأسلحة التي نوفرها نحن.

Tony Blair(٦)

كم مرة سمعنا أناسًا يبررون تصرفات مشبوهة أخلاقيًا مستعملين هذا النوع من الحركة الجدلية؟ والمنطق واضح بما فيه الكفاية: تصرفي له تبعات تجدها أنت مثيرة للاعتراض. لكني إذا لم أباشر التصرف، فسيفعلها شخص آخر، وهكذا سوف يستمر حدوث التبعات. إذن فلا فائدة في انتقادي لفعلها، لأن ذلك لن يمنع التبعات التي ترفضها من الحدوث.

النظريات الأخلاقية لمن يقولون بالتبعات تتفق في أن التصرف يكون خطأ إذا كان له تبعات سيئة، وصوابًا إذا كانت هذه التبعات جيدة. لكن هذا لا يعني أن التصرف يصبح صوابا بمجرد أن شخصًا آخر سيفعله على أي حال.

إذا كان الخطأ واضحًا بما فيه الكفاية، فلماذا يكون لهذه الحجة هذا القبول المثير للفضول؟ أول تفسير هو تفكير من قبيل الأمنيات يكون متداخلاً مع مصلحة شخصية. فنحن غالبًا نستمع إلى أو نستعمل هذا النوع من الحجج عندما يكون للشخص شيء يخسره بعدم فعل التصرف المشبوه، أو شيء يكسبه بفعله. لذا فإن المصلحة الشخصية البحتة يمكن أن تجعلنا نتعلق بأي تبرير يمكن أن يجعل تصرفنا مبررًا.

ثاني تفسير أكثر إحساناً لهؤلاء الذين يستحضرون مثل هذه الحجج. يكون من الطبيعي والأكثر صوابا التفكير في أن أخلاقية التصرفات مرتبطة بطريقة ما بكيفية مساهمتها أو عدم مساهمتها في جعل العالم مكاناً أفضل. لذا يُطرح السؤال، "هل سيكون العالم أفضل بأي صورة إذا فعلت أو لم أفعل هذا؟" بشكل مناسب تماماً للتوجيه. لكن في الإجابة نحتاج إلى التفكير ليس فقط في النتيجة النهائية لتصرفاتنا عندما تتحد مع تصرفات الآخرين، لكن أيضاً عن مساهمتنا في تلك النتيجة. قد لا يصبح العالم أفضل إذا أحجمت عن عمل شيء سيئ. لكن لو كنت أنا من يفعل الشيء السيئ بدلاً من شخص آخر، إذن سوف أكون أنا الشخص المسئول عما يحدث. أنا لن أكون أقل مسئولية لأن شخصاً آخر قد فعلها. الحقيقة هي أني قد فعلتها لذا يجب أن أتحمَّل المؤاخذة.

هذه في الحقيقة كيفية محاسبتنا للناس أخلاقياً في العادة. على سبيل المثال، تخيل مجموعة من أصدقائك يتآمرون لقتل شخص ما، وهم لا يرتدعون. هل يعني هذا أنك إذا تطوعت لتكون القاتل، فلن تكون ملوماً، لأن شخصاً ما كان سيضغط على الزناد في أي حال؟ الفكرة بالتأكيد منافية للعقل.

عندما يتعلق الأمر بصفقات السلاح، فحقيقة أنه إذا لم تفعلها بريطانيا فستفعلها بلدٌ أخرى ليس تبريراً كافياً. ما نحتاج لمعرفته هو هل صفقات السلاح مبررة بصورة طبيعية في حد ذاتها؟ مثل حيل السحرة، تخدعنا الحجة لكي ننظر بعيدا عن خفة اليد الحقيقية وهي تحدث.

يمكن على الأقل أخذ هذا الدفاع أحياناً بجدية، خصوصاً عندما يكون لرفض القيام بالتصرف الخطأ مضاعفات على المضطهدين. في عدد لا يحصى من الأنظمة القمعية يتعرض الناس للتعذيب والاغتصاب بل والإبادة في معسكرات الموت. بالنسبة لأي شخص متورط في تلك الأعمال الوحشية، تكون القضية بشكل دائم تقريباً أنه إن لم يفعلها، فسيفعلها شخص آخر؛ لكن هذا لا يجعل تصرفاته جائزة. قد نشعر ببعض

التعاطف مع الناس الذين أجبروا على الاختيار بين القيام بتصرفات رهيبة أو أن يعاقبوا أو حتى يقتلوا، لكن هذه عوامل تلطف أحكامنا على فاعلي الخطأ، لكنها لا تجعل التصرف الخاطئ صائباً.

* * *

هل المجادلة بأن القيام بشيء خطأ أفضل من أن يرتكبه شخص آخر هي دائماً دفاع جيد، بتبعات أكثر استفحالاً؟ ماذا يكون الأمر، على سبيل المثال، إذا كان الخيار بين إمداد هيروين نقي بصورة قانونية أو تركه لمجرمين لا يأبهون بالتلوث؟ أليس هناك شيء في الدافع أنه إذا لم أفعلها أنا، فسيفعلها غيري، بتبعات أسوأ أيضاً؟

انظر أيضاً:
٤٠ . يجب أن تحب جورج، وتكره الإرهابيين.
٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء.
٦٥ . أنت السبب.
٩٣ . كن شاكراً لأصحاب الأعمال السيئين.

٥ - تحدَّث عن نفسك

مغالطة الوجودي

عندما قتلت نفسها، كانت تقول إن الحياة كشخص معاق لا تستحق العيش.

Gillian Gerhardi, disabled mother of two(٧)

في يناير ٢٠٠٦، سافرت دكتورة آن تيرنر إلى عيادة سويس ديجنيتاس(*) Swiss Dignitas clinic لكي تنُهي حياتها. كانت السيدة ذات الستة وستين عاما تعاني من مرض اضمحلال المخ الذي يقود لشلل متدرج. كان كلامها قد تأثر بشدة، وتعاني من مشاكل بالبلع، ولا تستطيع أن تستحم بدون مساعدة، ولديها صعوبة في إطعام قططها. كلٌ من زوجها وأخيها كانا قد ماتا بحالات مشابهة ولم ترغب دكتورة تيرنر في ملاقاة نفس المصير.

بدا معارضو القتل الرحيم منزعجين لحالة دكتورة تيرنر لأن لديها أعراضاً قليلة نسبيا وبضع سنوات لتعيشها. قال أسقف أكسفورد، الأب الصالح ريتشارد هاريس إننا يجب ألا نساعد أبدًا أي شخص لكي ينهي حياته، وإذا قرر شخص ما أن هذا ما يريده، "سأحاول أن أقنعه أنه حتى إذا وصل إلى الإحساس بأنه عالة ويشعر أنه عاجز وغير نافع، ستظل حياته غالية."(٨) ما لم يقله، لكنه مفهوم ضمنيًا، أنه إن فشل في إقناعه، فلن يرغب في أن يتركه ينفذ رغبته في أي حال.

(*) . عيادة القتل الرحيم (المترجم) .

القتل الرحيم موضوع أخلاقي شديد الصعوبة، بل أكثر صعوبة من الناحية القانونية. حتى إذا اعتقدت أن شخصاً لديه الحق الأدبي في إنهاء حياته الشخصية (كما أعتقد أنا)، فيجب التفكير بدقة شديدة في تبعات تشريع هذا. أحد الهموم الخطيرة أنه بالتسهيل على الناس في إنهاء حياتهم، فإن أولئك الذين يعانون من أمراض تجعلهم معتمدين على آخرين قد يشعرون على نحو متزايد أنهم يضعون أعباء غير عادلة على الناس، وقد يختارون أن يموتوا، حتى لو كان هذا ما لا يريدونه.

موضوع آخر متصل هو كيف يقوي القتل الرحيم من وجهة النظر القائلة إن حياة الشخص المعاق لا تستحق أن تُعاش، ويدخل في ذلك إجهاض الأجنة الذين يظهرون علامات على الإعاقة. هذا يمكن أن يكون له تبعات حقيقية على المعاقين، الذين حاربوا بقوة لكي يجعلوا المجتمع يرى كيف يعيشون حياة سعيدة ذات شأن.

على ضوء هذه الخلفية، لا أحب أن أكون قاسيًا على جيليان جيراردي، فردّة فعلها على انتحار دكتورة تيرنر لا يمكن النظر إليها على أنها إيجابية. ولقد قالت إن الدكتورة تيرنر "لم تكن قريبة بأي حال من السوء الذي أعانيه". لكني أخشى أن جيراردي كانت مخطئة عندما استمرت في القول، "نعم، كان خلل مخها يعني أن حالتها كانت ستتردى، لكن بقتل نفسها، كأنها تقول إن حياتها كشخص معاق لا تستحق أن تُعاش." كلا على الإطلاق. ما قررته تيرنر فحسب أنها لم تحكم على أهلية حياتها للعيش، ولا أن الآخرين فى نفس الظروف يمكن أن يقرروا شيئا آخر.

لكن منطق جيراردي يبدو قهريًا لكثيرين. لماذا؟ هناك عدة احتمالات. احتمال إن الناس يفترضون أنه يجب أن يكون هناك إجابات موضوعية حقيقية للأسئلة عن حرمة الحياة. نوع محدد من الحياة يجب إما أن يكون مستحقًا للعيش وإما لا. إذا كان هذا الفرض صائبًا، إذن يكون حقيقيًا أن أي واحد يقرر أن حياته لا تستحق العيش يقول نفس الشيء فعلا على الحالات المماثلة في الحياة. لكن ليست هذه هي الطريقة الوحيدة للنظر للموضع مطلقا. البديل هو القول إن قيمة الحياة جزئيًا على الأقل هي قيمة ذاتية، وإننا أحرار لنحدد ما إذا كانت الحياة، في حالاتنا الخاصة، تستحق

العيش أم لا. عندما يتخذ شخص قراراً في هذا الافتراض لا يكون مذنبًا بالقول إن الصحيح بالنسبة له هو صحيح بالنسبة للآخرين.

لقد أسميت هذا مغالطة الوجودي لأنه صدى لشيء قاله سارتر ذات مرة: "عندما أختار لنفسي أختار لكل الجنس البشري."(٩) بأخذ هذا حرفيًا، يبدو أنه يساند جيراردي. لكني أعتقد أن ما قصده كان عندما أختار لنفسي، فإني أشرِّع هذا الاختيار لكل الجنس البشري. في تعبير آخر، تضمن قرار دكتورة تيرنر اعتقادها أن الآخرين لهم حق فعل نفس الشيء، ليس أنهم يجب أن يفعلوه. اخلط هذين الاثنين، تقترف هذه المغالطة.

* * *

التعرف على الخطأ المنطقي في هذا المثال يترك سؤالاً أخلاقيًا كبيراً بدون إجابة: هل قيمة الحياة شيء يمكننا أن نقرره لأنفسنا، أم هي حقيقةٌ شأن موضوعي؟ هذه هي المشكلة الأعمق التي يعانيها كثير من رجال الدين مع القتل الرحيم. وهي ليست فقط ما نختار أن نفعل، بل ما نجرؤ على تقرير أنه قيمة قصوى. هل نحن على صواب، أم يجب علينا أن نتخذ قرارات عن هذه الموضوعات الكبيرة، سواء أكنا نؤمن أن الله لديه الأجوبة النهائية أم لا؟

انظر أيضًا :

١٠ . التشكيل التلقائي .

٢٠ . الفرقة الغنائية التي بدلت حياتي .

٢٤ . ما هو جيد بالنسبة لرجل جيد أيضًا للمرأة .

٩٤ . ليس من شأن الكرادلة .

٦ - الشاعر الوسيط الروحي المدهش
تحامل التأكيد

قابل (جوناثان كاينر) شاعر وسيط روحي يدعى شارلز جون كواترو، فأخبره أنه سيكتب ذات يوم عموداً عن التنجيم يقرؤه الملايين.

David Smith, Observer(١٠)

وهل تصدق، أن بعد سنوات عديدة، يكتب جوناثان كاينر عموداً عن التنجيم يقرؤه الملايين! على سبيل المصادفة، تكهنات كاينر نعمت بها صفحات "جريدة مخصصة للانتشار البارع للتعصب الأعمى". هذا الوصف لصحيفة الديلي ميل هو ما قرره جوناثان كاينر نفسه، عندما عمل لصحيفة أكثر توجها لليسار.

هل تأثرت بالدقة الغريبة لتوقعات كواترو؟ دعني أقل بتوقعاتي الشخصية: إذا كنت بالفعل تؤمن بالتنجيم، ستكون إجابتك "نعم". إذا لم تكن مؤمنًا بذلك، إجابتك ستكون "لا". إذا كنت لا أدريا، غالبًا ما ستجد هذا مؤثرًا بصورة ما.

هل كنت على صواب؟ غالبًا، على الرغم من أني لا أمتلك أي قوى روحية. بالأحرى، أنا ببساطة مدرك لتأثير يسميه علماء النفس "تحامل التأكيد". يختص هذا بكيفية تصفية كتلة من الدلائل مع أو ضد نظريات وفرضيات مختلفة، واعتبار الدليل الذي يدعم ما نعتقده بالفعل هو أقوى أو أكثر أهمية من الذي يقلل منه. بالفعل، قد نذهب أبعد عندما نهتم قليلا أو لا نهتم على الإطلاق بالدليل المعارض ونركز اهتمامنا بالكامل تقريبًا على ذلك المساند لقناعاتنا المسبقة.

يساعد هذا على شرح لماذا يتأثر عديد من الناس بادعاءات الوسطاء الروحيين والمنجمين. إذا كنا نميل للاعتقاد في الغيبيات، عندئذ سيكون سهلا علينا أن نركز على تلك الأمثلة التي تتحقق فيها النبوءات، أو عندما يدلي الوسطاء الروحيون ببيانات حقيقية عن الماضي أو الحاضر. هذه تؤكد اعتقادنا أن لديهم بالفعل القدرة على الولوج إلى مصدر المعلومات فيما وراء العالم المادي، أو على الأقل العالم كما يفهمه العلم.

إذا كنا لا نعتقد في الغيبيات، مع ذلك، سنركز على المرات التي لا تحصى عندما أخفقت النبوءات أو عندما يرتكب الوسطاء أخطاء. عند قراءة المقال عن جوناثان كاينر، على سبيل المثال - بصرف النظر عن الشكوك في صدق القصة - سوف نفكر أن هذه النبوءة الصحيحة لا تعني الكثير، لأن الوسيط غالبًا قال أيضًا أشياء كثيرة أخرى وكانت غير صحيحة.

يجب أن يكون واضحًا - بناء على ذلك - أن الناس على جانبي المحاورة يمكن أن يسقطوا ضحايا لتحامل التأكيد. مع ذلك، يجب أن يكون واضحًا أيضًا ، في هذه الحالة، أن تحامل التأكيد يعمل أكثر لفائدة المؤمنين عن المتشككين. هذا لأننا إذا حاولنا أن نلقي نظرة متوازنة حقيقة على الدليل، سنجد أن لكل مثال واضح من النبوءات الصحيحة لمنجم أخريات كاذبة كثيرة. والأكثر أن كثيرًا من النبوءات غامض ليكون من الممكن دائمًا القول إنها تحققت بطريقة ما. تحامل التأكيد بالتالي أكثر احتمالاً أن يقود المؤمن إلى الخطأ لأن توازن الأدلة يتراكم ضد حقيقة التنجيم. وربما يمكن الوصول إلى استنتاج أن التنجيم فاعل من خلال اختيار الدليل الذي يناسب معتقداته فقط.

تحامل التأكيد يلوث الأحداث السياسية أيضًا. كان من المؤكد تقريبًا أنه بمجرد اقتناع بلير وبوش بامتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، فإنهما وضعا وزنًا أكبر على الأدلة التي ساندت وضعهما أكثر من تلك التي عارضته. ربما حاولا أن يحتفظا بعقول

مفتوحة؛ لكن بمجرد أن تسلم نفسك لما ترى أنه الصواب، يصبح من الصعب للغاية تقييم كل الأدلة بتجرد.

على الناحية الأخرى، هؤلاء الذين اقتنعوا أن بوش وبلير كانا مُساقين بدوافع أنانية بحتة هم أكثر تأثرًا بالأدلة التي تساند وجهة النظر هذه أكثر من تلك التي توحي أنهما قد يكونا مخلصين، حتى لو كانا مخطئين. السؤال المفتوح بحق عما إذا كانا قد كذبا أو ارتكبا خطأ عن أسلحة الدمار الشامل يصبح حالة مفروغًا منها في وجه دليل "واضح" أنهما كذبا، بينما تم نبذ أي دليل مضاد.

* * *

تحامل التأكيد معوق حقيقي للتفكير الجيد، لكنه - عكس بعض أخطاء التفكير - صعب الاستئصال للغاية. إلى أين تميل أنت؟ هل أنت متفتح للادعاءات التي تقف مع الأغذية العضوية أكثر من التي تقف ضدها، أو بالعكس؟ هل تترقب أدلة تثبت أننا ندمر الكوكب أم لا؟ هل تحدد العلامات التي تدل أن طفلك موهوب بصفة خاصة أكثر من تلك التي توحي أنه عادي تمامًا؟

انظر أيضًا :

١٤ . أعجوبة الوخز بالألوان .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٥٢ . أزواج ومطلقون ومتعاشرون .

٩٨ . كثير من اللا شيء لا يكفي .

٧ - لأني أقول هذا
الحقيقة من خلال النص

"نحن قلقون أن تكون الحكومة قد انسحبت من التزام من القلب لتحقيق هدف ٢٠١٠-١١ . إن الفشل في تحقيق ذلك الهدف قد يمثل قرارًا واعيًا بترك مئات الآلاف من الأطفال في فقر لفترة أطول مما هو ضروري أو مطلوب."

House of Commons Treasury Select Committee[١١]

وضعت الحكومة البريطانية أهدافًا طموحة لتقليل فقر الطفل إلى النصف في عام ٢٠١٠ ومحوه بالكامل في عام ٢٠٢٠, ومنذ قطعت على نفسها ذلك العهد، أمكن إخراج ٦٠٠,٠٠٠ طفل من الفقر. لكن في ٢٠٠٥-٦ كان هناك تراجع خطير وارتفع الرقم بالفعل ٢٠٠,٠٠٠, وبأخذ تكلفة المساكن في الاعتبار، أحصت مؤسسة جوزيف راونتري أنه في ٢٠٠٥ سيكون واحد من ثلاثة أطفال لا يزال يعيش تحت خط الفقر[١٢] .

لكن ماذا يعني بالضبط "فقر الطفل"؟ رسميًا، يتم تعريفه على أنه أطفال يعيشون في أسرة تعيش على أقل من ٦٠ في المائة من متوسط الدخل. أنا متأكد من حقيقة أن الأطفال الذين يعيشون في مثل هذه الظروف في هذه اللحظة هم حقيقة محرومون، وأن المجتمع يجب أن يفعل ما بوسعه لتحسين حظوظهم. المشكلة عندي هي أنه، بالطريقة التي يعرَّف بها الفقر، قد ننتهي بالفعل خلال عقود قليلة لأطفال "فقراء" يأكلون جيدًا، وفي بيوت مريحة، ويستمعون لسماعات الأذن الموسيقية، ولديهم هواتف محمولة وتليفزيونات متصلة بالأقمار الصناعية. وما دام دخل أسرهم قد كان في النسبة المطلوبة بالنسبة للمتوسط، فينبغي علينا أن نقول إنهم فقراء.

والأكثر سخفًا هو حقيقة أن أفضل طريقة لخفض فقر الطفل في هذا الإجراء هي خفض متوسط الدخول مع الحفاظ على دخل الأكثر فقراً في المجتمع. بل لعله من الممكن منطقيا أن كل شخص في المجتمع يمكن أن يصبح أسوأ حالاً من حيث القيمة المطلقة، لكن ما دام مستوى المعيشة قد انخفض بأقل قدر، سيصبح عدد أقل منهم فقراء رسميًا. وبالمفارقة، مزيد من الفقر سوف يعني "فقرًا" أقل.

هذا النوع من الهراء يحدث غالبًا عندما نتوقف عن استعمال اللغة بطريقتها الطبيعية المنطقية، وننص ببساطة وكثير من الجمود على كيفية استعمال بعض المصطلحات. من المحتم أن ذلك يحدث، خصوصا مع الحكومات، لأنها تحتاج لتعريف المصطلحات المستخدمة على نحو صارم من أجل توفير تدابير ثابتة. على سبيل المثال، تقرير ماكفرسون، وهو نتيجة تحقيق أُجري بعد مقتل الشاب الأسود ستيفن لورنس، قرر أن الجريمة العنصرية يجب أن تعرَّف أنها "أي حادث ينظر إليه على أنه عنصري من جانب المجني عليه أو أي شخص آخر". هذا يعني أنك إذا ضربتني وأنا نظرت إلى هذا على أنه ذو دوافع عنصرية، إذن يصبح الحادث عنصريًا، حتى لو لم يكن للعنصر دخل في ذلك.

نستطيع أن ننص على ما نريده: إذا كنا مهتمين بالحقيقة نحتاج أن نعرف إذا كان ذلك النص منصفًا. التعاريف الرسمية، مع ذلك، تثَبِّت "الحقيقة" بصرف النظر عن الواقع.

الطريقة التي تم بها النص على تعريف الفقر – ولنتحدث بواقعية – تعني أننا لن نتمكن من التخلص منه. الإحصائيات الحديثة لليونيسيف عن فقر الطفل (في هذه الحالة يعرف بالحياة في أسرة تعيش على أقل من ٥٠ في المائة من متوسط الدخل القومي) أظهرت أنه حتى السويد – وهي ضمن أغنى عشرين دولة في العالم وفي نفس الوقت ثالث أكثر دولة بها مساواة – بها شيء من فقر الطفل – ٢,٦ في المائة، وهو أقل رقم في العالم. "١٣" وسيبقى دائمًا من خلال النص حقيقة أن بعض الأطفال فقراء، حتى إذا كان لديهم كل شيء يحتاجون إليه للتمتع بحياة صحية طويلة وناجزة.

هناك حجة أن عدم المساواة تكون دائما مهمة، بصرف النظر عن كم يبلغ حجم ثرواتنا. قد يكون هذا صحيحا، لكن لا يتبع ذلك صحة القول إن الحصول على أقل من ٦٠ في المائة من متوسط الدخل يجعلك فقيراً.

* * *

كثير من الادعاءات الصادمة تقوم على أسس من التعاريف الملتبسة. لذا فمن المهم سواء أكان حقيقيا أم لا اندراج الناس تحت هذه الفئات ، ألا يتم الاعتماد فقط على كيفية اختيار النص الذي يعني ذلك. على سبيل المثال، هل يحمل نص الاتحاد الأوروبي الحالي على ما يجعل الطعام "طازجًا" أي معنى عندما يطبق على اللحوم المخزونة لشهور؟ والأكثر خطورة، تبعًا لتعريف وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة للاجئ، أن كثيراً من النساء اللاتي يهربن من بلادهن نتيجة الاغتصاب المتكرر لسن لاجئات لأن الاغتصاب ليس اضطهاداً سياسيًا. هل هذا صواب؟ تعريف "المشرد" مطعون عليه أيضًا. كثير من الناس يعتقدون أنه ينطبق فقط على الناس الذين ينامون في العراء، لكن هؤلاء الموجودين في أماكن إقامة مؤقتة عادة ما يدخلون في الإحصاء أيضًا. لذا ما الذي ينبغي اعتباره ليكون الشخص مشرداً حقًا؟

انظر أيضًا :

٢٩ . قتيل، نعم. قاتل، لا .

٤٨ . سيقولون ذلك .

٧٤ . الجميع مختثون .

٩٩ . الشيء الحقيقي .

٨ - لا تقللْ من شأني

انعدام الإحساس

التقارير التي تقول إن شيئًا ما لم يحدث تكون دائما مثيرة بالنسبة لي؛ لأنه كما نعرف، هناك معروفات معروفة. هناك أشياء نعرف أننا نعرفها. كما نعرف أيضًا أشياء معروف أنها غير معروفة. هذا للقول إننا نعرف أن هناك أشياء لا نعرفها. لكن هناك أيضًا أشياء غير معروفة لا نعرفها - الأشياء التي لا نعرف أننا لا نعرفها.

Donald Rumsfeld, US Defense Secretary[١٤]

البراعة اللفظية الفنية الفائقة لدونالد رامسفيلد خرافية. "نحن نعلم بمعلومات مؤكدة أنه (أسامة بن لادن) إما أن يكون في أفغانستان، وإما في بلد آخر، وإما أنه ميت". ياله من نابغة. "أعلم ما أفكر فيه، و، حسنا، أفترض أنه ما قلته". ياله من مطمئن. " أعرف أيضًا أن تقريرا ما يمكن أن يكون مفضلا هو ببساطة تقرير ما يمكن أن يكون مفضلاً." ياله من ملهم.

إن التمازج بين حماقته الشفوية وخداعه السياسي المبتدع صنع لعبة رامسفيلد المناسبة خلال فترة قيده كوزير لدفاع أمريكا. في معظم الدوائر، كانت هناك طريقة واحدة فقط للتحدث عنه بسلبية.

رشق رامسفيلد وصل ذروته في المملكة المتحدة عندما منحته حملة الإنجليزية الواضحة جائزة "قدم في الفم" لأكثر تعليق مربك قيل بواسطة شخصية عامة. كان ذلك بالطبع، من أجل الملحوظة الشهيرة "أشياء معروف أنها غير معروفة". ومع ذلك،

هناك مشكلة واحدة: إن ملاحظاته اتسمت بطابع الحس السليم. إن تمييزه بين المعروفات المعروفة، واللا معروفات المعروفة واللا معروفات غير المعروفة منطقيٌ تمامًا وجدير بدورة متقدمة في علم الفلسفة.

المعروفات المعروفة تتضمن المسافة بين الأرض والقمر، والتركيب الكيميائي للماء وعاصمة بلجيكا. غير المعروفات المعروفة تتضمن كيف يثير المخ الوعي، وتركيب الثقب الأسود ومكان وجود اللورد لوكان. اللا معروفات غير المعروفة هى كل الأشياء الأخرى التي هي القضية لكننا لن نعرف عنها أو قد لا نعرف على الإطلاق. قبل ١٩٣٠، على سبيل المثال، كان كوكب بلوتو لا معروفًا غير معروف.

إذا كانت متماسكة إلى هذا الحد، فلماذا قوبلت ملاحظة رامسفيلد بهذه السخرية على نطاق واسع؟ أحد الأسباب أننا لم نمد تجاهه مبدأ الإحسان ، كما نفعل مع الناس الذين نتعاطف معهم. مبدأ الإحسان لا علاقة له بالتبرع بالأموال. بالأحرى، هو المبدأ المنهجي الذي يحدد، عندما نحاول فهم ما يقوله شخص ما، أن نعطيه أفضل تأويل ممكن. وبصورة أخرى، هو محاولة إعطاء الناس فائدة الشك بالنسبة لتماسك ما يتفوهون به. حتى لو اعتقدت أن رامسفيلد فقط له الحق في الحصول على فائدة الشك منذ سنوات عدة، فهناك أسباب لتوسيع نطاق هذه المجاملة عموما حتى لهؤلاء الذين لا نتفق بشدة معهم.

ضمن هذه الأسباب أننا نعرف أن الناس يختارون الكلمات الخطأ أحيانا؛ لكن عادة لا يكون صعبا إدراك ما يعنون. إذا طلبت من الساقي شراب "بينت كولادا" على سبيل المثال، سيكون من القسوة بمكان أن يعد شرابًا مخلوطًا يعتمد على الفول السوداني. على الأقل، يجب أن يتأكد إذا كان الفول السوداني هو حقيقة ما يريده الزبون.

ربما يكون أهم سبب لتكون مُحسِنا هو أن أفضل ما يمكن أن تفعله مع تفسيرك غير المتعاطف هو أن تصرف النظر عن ملاحظات الشخص. لكنك إذا أخذت أفضل

تفسير محتمل، فقد تستطيع أن تمسك بشيء ما يستحق المناقشة. هذا حقيقي بالفعل حتى في حالة كون أفكار الشخص غير معقولة على الإطلاق. المبدأ لا يقول إن الناس دائما يعنون أكثر التفسيرات تماسكا لما يقولون، لكنه يقول إنه فقط من الأفضل، عموما، افتراض أنهم يفعلون ذلك، حتى يثبت العكس.

* * *

تستطيع، بالطبع، أن تعطي شخصًا ما فائدة الشك. لذا كم تبلغ القيمة الصحيحة التي يجب أن تعطيها؟ انظر إلى تعليقات توني بلير على قراره الذهاب للحرب: "أعتقد أنه إذا كان لديك إيمان عن هذه الأشياء، إذن فأنت تدرك أن ذلك القرار تم اتخاذه بواسطة أناس آخرين، وإذا كنت تؤمن بالله، فهو قرار من الله أيضًا". سخَّر بلير استحضار الله للمناقشة على نطاق واسع ، لكن ألم يكن مجرد مخلص على نحوٍ ما لما يمكن أن يؤمن به أي مسيحي؟ وهل كانت هذه التعليقات للمغني موريسي ملاحظات مباشرة أو كلمات لرجل عنصري: "سافر إلى إنجلترا ولن تكون لديك أي فكرة أين أنت... إذا مشيت خلال نايستبريدج ستسمع كل اللهجات ما عدا اللهجة الإنجليزية." هل يستحق أي من الرجلين فائدة الشك؟

انظر أيضًا :

٣ . قرود مستكينة تأكل الجبن .

٤٢ . السيدة التي تحتجُّ كثيرًا .

٦٩ . مشاحنة مع الفزاعات .

٨٢ . اللسان الحاد لا يعني ذهنًا حريصًا .

٩ - ماء الصنبور للنباتات .
الخروج عن الاتساق

إن شرب حوالي ٣ لترات من الماء النقي المرشح في اليوم يقدم مساهمة حيوية للصحة.

Emma Mitchell, Guardian[١٥]

لسنوات عديدة، أعطت إيما ميتشل "معالجة الصحة الطبيعية" نصائح عن كيفية التمتع بحياة أكثر صحة في عمود أسبوعي بجريدة الجارديان. ميتشل كانت في العادة معقولة جدا، وكانت نصيحتها لشرب ماء أكثر تتسق مع توصيات معظم خبراء الصحة. ومع ذلك، لم تذكر ميتشل الماء إلا وذكرت الكلمة المؤهلة "المرشح" ملتصقة بكلمة الماء. الترشيح، كما قالت، "يساعد على التخلص من السموم".

هي محقة غالبًا ، لكني أرتاب في أن ترشيح الماء يوفر مثل هذه المنافع التافهة حتى أن التفكير في أن يفعل ذلك شخص من أجل صحته أقرب إلى التفكير في أن الشخص يمكن أن يزيد معدل العمر بممارسة الرياضة لمدة ٩١ دقيقة في الأسبوع بدلاً من ٩٠ .

بالتأكيد تعتقد هيئة تفتيش مياه الشرب البريطانية ذلك. فيؤكدون أن "كل إمدادات الماء العمومية في إنجلترا وويلز صالحة للشرب وليست هناك حاجة لتركيب معالجة إضافية في المنزل كوسيلة لحماية الصحة". ويدّعون أن الضوابط الصارمة على معدلات المبيدات الحشرية تعني أن "الترشيح الإضافي ليس مطلوباً". وجد تقرير حديث أن

٩٩.٩٦ في المائة من عينات الماء قد حققت المعدلات القانونية ولم تمثل أي من العينات التي فشلت في ذلك أي خطر صحي.

اتحاد المستهلكين أيضًا استنتج في تقرير أن ماء الصنبور، مرشحا أو لا، يكون مذاقه أفضل من ماء الزجاجات، وأنه لا يوجد مصدر للماء يحتوي على مستويات غير مأمونة من البكتيريا.

في الولايات المتحدة، يبدو أن نوعية ماء الصنبور أكثر تقلبًا. لكن حتى مجلس الدفاع عن المصادر الطبيعية، الذي يقوم بحملات من أجل نوعية أفضل لماء الصنبور، يعتقد أنه من غير الضروري إعادة ترشيح الماء.

هكذا يكون عدم أهمية الفوائد الصحية للمياه المرشحة التي لا يدعيها حتى منتجوها. بريتا قائدة سوق المملكة المتحدة ، على سبيل المثال، تركز تسويقها على الفوائد العامة لشرب الماء وعلى تحسن المذاق الذي تدعي أن المرشحات تقدمه فقط. وهي تقر بوضوح أن *الخراطيش* لا يمكن أن تزيل *النترات* فقط، مطمئنة إيانا أن "شركات المياه عليها الالتزام بالمستويات الموضوعة في قوانين نوعية الماء في الاتحاد الأوروبي". لكن إذا كانت هذه المستويات جيدة بدرجة كافية بالنسبة لما لا تستطيع المرشحات أن تزيله، إذن بالتأكيد هم جيدون بصورة كافية بالنسبة لما يمكنهم فعله.

بناء عليه، يصبح التفكير في أن الشخص مدين بصحته للاهتمام بترشيح الماء بينما إمدادات الصنبور محترمة تمامًا هو إخراج للأشياء عن اتساقها. لسوء الحظ، مثل *هذا النقص* في الاتساق شائع *دائمًا*، مثلما نحن سيئون جدًا عمومًا في تقييم المخاطر مع الميل إلى القلق الزائد على أشياء لها أهمية ضئيلة أو لا سيطرة لنا عليها، مهملون أساسيات الغذاء والتمرينات الرياضية التي تؤثر بالفعل في كل من معدلات العمر ونوعية الحياة. وللسخرية، فإن جنون الارتياب عن مواضيع مثل ماء الشرب قد يغذي نوع الإجهاد الذي قد يقضي عليك قبل الأوان.

وبصورة مثيرة للجدل، فإن هذا الأمر ليس مجرد خطأ ثقافي وعقلاني لكنه خطأ أخلاقي. فالقلق على الزيادة فائقة الصغر في الخطر على الصحة من شرب ماء غير مرشح أو أكل فواكه بها نسبة صغيرة من آثار المبيدات بينما هناك بليون من البشر لا يجدون ماء نظيفًا للشرب، ويموت أيضًا طفل كل ١٥ ثانية من أمراض مرتبطة بالماء، فإن الأمر يبدو كقصر نظر أخلاقي في أعلى درجات النرجسية. هذا هو السبب في أني عندما عدت من رحلة إلى شرق أفريقيا - حيث يشاهد الأطفال الصغار مرات كثيرة وهم يحملون أوعية حمل الماء لأميال - ألقيت بمرشح الماء لدى خارجًا باشمئزاز. (ومع ذلك، فقد أرجعته لمكانه بسرعة عندما اكتشفت أن مائي غير المرشح لم يكن حسن المذاق. مما يذهب إلى توضيح أنه على الرغم من أن سببًا واحدًا لفعل شيء قد يكون سيئا، يكون هناك سبب أخر وجيه للقيام بنفس الشيء بالضبط على أي حال.)

* * *

ليس من السهل دائمًا تحديد أي جانب من المناظرة أكثر إثمًا في إخراج الموضوعات عن اتساقها. من هو الأكثر إثمًا في قصور وجهة النظر: هؤلاء الذين ينقلبون ضد كل الأشياء الخضراء لأنهم قد ملّوا من البر الزائد لدعاة البيئة، أم محاربو البيئة المنافقون أنفسهم؟ هل العلم الزائف يشكلٌ مشكلة أكثر من الاتكال على العلم، أو العكس؟

انظر أيضًا :

٤٩ . هنا تكمن الكارثة .

٥٣ . آمنة تمامًا .

٨٠ . توازن المراوغة .

٨٥ . الخوف من الفلفل الأسود .

١٠ - مثير مثلي
التشكل الذاتي

غابات الدنيا تهمهم بالشهوة... الطبيعة متورمة بالجنس.

Jay Griffiths, Wild(١٦)

التجسد في كل مكان. عندما اخترع البشر الآلهة، في الأغلب الأعم تم تجنيسهم على شبه البشر مثلنا، لكن أكبر وأكثر قوة وأصلب من أن يُتركوا منتظرين على الهاتف. حتى الآلهة بأشكال الحيوانات لديها كثير من صفات البشر. ونحن أيضًا نمنح أسماء للحيوانات نفسها، وبعضها يتلقى الهدايا في الكريسماس. ولا يمكننا منع أنفسنا من رؤية الدلافين كما لو كانت تبتسم وكلاب جبل بيرنز كما لو أن عيونها حزينة.

في أغلب الأحيان يكون هذا غير ضار بالمرة. لكن التجسيد بطريقة ديزني هو بالضبط بديل يُثبِّت ما هو أوسع لدينا وأكثر انحيازًا في الخفاء نحو التجسيد: رؤية الأشياء الأخرى على صورتنا. إذا كان هذا سهل الاكتشاف كما في حالة دمية ميكي ماوس، فلن تكون لدينا مشكلة، لكن يبدو أن الأمر يميل إلى التغلغل فينا بصورة غير ملحوظة.

جاي جريفث في كتابها "متوحش" الفائز بجائزة، تبدو كما لو كانت ترتكب هذا الخطأ عندما ترى الطبيعة كائنًا فطريًا جنسيًا بصورة لا يمكن التحكم فيها، مستعملة عبارات مثل "الطبيعة متورمة بالجنس" و"البرية والطبيعة المتوحشة جنسيًا". إن نثرها

مبهر وعاطفي؛ لكنه رغم أني أشعر أني مثل مفسد البهجة عندما أشير إلى هذا - مضلل للغاية.

أول كل شيء، إن كثيراً من الطبيعة ببساطة ليس جنسياً. بل يقيناً عديم الجنس. وتقدم جريفث نفسها مثالا عندما توضح الشهوانية المفترضة للغابة عندما تصفها أنها "طحلبية ورطبة ويتصاعد منها البخار". لكن الطحالب عديمة الجنس، كما هو الحال في النباتات غير المزهرة والكائنات وحيدة الخلية.

الباقي معظمه ليس جنسياً ولا عديم الجنس لكنه خامل. أكثر من ثلثي الكوكب مغطى بالبحر الذي يحتوي على حياة كثيرة لكنه في حد ذاته مركب كيميائي. أضف إلى هذا الصخور والتربة والرمال والهواء وستجد أن لديك كثيراً من الأشياء الميتة بيولوجيا.

ثانياً، حتى الحيوانات التي تتناسل جنسياً لا تكون عامة نشطة في معظم الأوقات. تتذكر جريفث كيف استطاعت بمساعدة طبيب ساحر ودواء ذى تأثير نفسي، أن تحوِّل شكلها إلى نمر مرقط. "كانت الرغبة الجنسية تنساب خلالي". كانت تكتب من خلال تأثيرات عقار إن - دايميثيل تربتامين، و"تلألأ الجنس في داخلي، في كل خلية مني". يبدو أنها تلبست بالنمر في يوم شبقي غير عادي: فالنمر المرقط لديه دورة تناسلية مدتها سبعة وثلاثون يوماً ويكون شبقا خلال نصف تلك المدة فقط. وتتزاوج الكلاب خلال فترتين فقط في العام. بينما تكون الدببة والثعالب والذئاب نشطة في الربيع فقط.

ثالثًا، والأكثر أهمية، إن الجنس لدى الحيوانات عادة لديه القليل الذي يشترك فيه مع الشبق البشري. معظم جماع الحيوانات يستمر لثوان ولا يسبقه أي مداعبة. وصحيح أن بعض الأنواع تظهر علامات للملاعبة الجنسية، لكن هذا استثناء وليس القاعدة. حتى عندما تكون الطبيعة جنسية، عادة لا تكون شبقية.

وأظن أن وصف جريفث للطبيعة أكثر من مجرد تجسيد، بل هو تشكُّل ذاتي. ويبدو واضحًا للغاية في الكتابة دليل على أنها شخص حسي بشدة. ويظهر عندئذ أنها

تُسقط هذا على العالم: لأن الطبيعة تستدعي رد فعل حسي قوي لديها، فهي تعتقد أنها من الضروري أن تكون حسيّة أيضًا.

ومع ذلك، فإن الجانب المقابل للتشكل الذاتي بالكاد أقل خطورة. عدم القدرة على رؤية الصفات المشتركة بيننا وبين الآخرين ليس فقط خطأ منطقيًا، بل يمكن أن يقود إلى رعب أخلاقي. على مدى التاريخ الإنساني، رفض الناس قبول أن أولئك الذين من أصول عرقية مختلفة، أو حتى جنس مختلف، كانوا بالفعل مثلهم. والنتيجة تحول الناس إلى أشياء وذلك يمكن أن يقود إلى أكثر أنواع الامتهان جاذبية؛ لذا يجب أن ينظر للتشكل الذاتي كواحد من طرفي نقيض وليس كمقابل للناحية الأخرى من الطريق الصحيح لرؤية الأشياء. ينبغي أن نسعى لتحقيق التوازن بين رؤية الكثير من أنفسنا في الآخرين وعدم رؤية ما يكفي.

* * *

التفكير المباشر في كيف يكون الآخرون مثلنا مهم للغاية عندما يصل الأمر إلى تقييم كيفية الاستمرارية مع الحيوانات الأخرى. أغلب الناس يتقبلون الآن أنه ليس هناك فصل مطلق بين البشري والحيواني؛ لكنهم لا يتفقون على مدى التداخل. يتواصل العديد من الحيوانات؛ لكن هل من التجسيد القول إنها تستعمل لغة؟ هل نخوع أنفسنا إذا قلنا إن الإحساس الذي تشعر به الحيوانات ليس كافيًا مثل الألم البشري لكي نأخذه في الحسبان؟ أيهما الخطأ الأكبر: رؤية كثير من الصفات البشرية في الحيوانات؟ أم قليل جدًا من الصفات الحيوانية في أنفسنا؟

انظر أيضًا :

٥ . تحدث عن نفسك .

٢٠ . الفرقة الغنائية التي بدلّت حياتي .

٧٣ . ثقوب الأوزون في طبقة الكربون .

٨٤ . همبرجر الهيروين .

١١ - تناول الغذاء المعدَّل وراثيًا
الاستنباط غير المتفق مع المقدمات

كما استنتجت لجنة (بريطانية) أخرى هذا الأسبوع، فليس هناك دليل على أن المحاصيل المعدَّلة وراثيا الآن في الزراعة التجارية أكثر خطورة على الصحة البشرية من الأغذية التقليدية؛؛ لذا فليس هناك أي سبب لامتناع الأوربيين عن تناول الغذاء المعدَّل وراثيا الذي يستهلكه الأمريكيون بالفعل بكميات هائلة.

Economist(١٧)

معظم الحجج الفاسدة، بالمعني الواسع، هي تنويعات على استنباطات غير متفقة مع المقدمات: النتائج التي تُستخلص لكنها لا تَتبَع. أظهر صدام حسين نفسه كدليل عبقري على الاستنباط غير المتفق مع المقدمات في مقابلته السريالية مع البرلماني توني بن. في هذا اللقاء السريع استعمل كلمة "بناء عليه" ست مرات، في كل حالة كان إما مُقدِما استنباطًا غير متفق مع المقدمات أو مُستخلصًا استنتاجًا بديهيًا تافهًا ("بناء عليه نحن نواجه حالة حرجة"). وها هو أفضل مثال:

> **هؤلاء الناس وآخرون كانوا يخبرون إدارات الولايات المتحدة المختلفة، خصوصًا الإدارة الحالية، أنك إذا أردت أن تسيطر على العالم تحتاج أن تسيطر على البترول. بناء عليه فإن تدمير العراق هو شرط مسبق للسيطرة على البترول.**

الشيء المهم عن الاستنباط غير المتفق مع المقدمات أن المسألة ليست بالضرورة حقيقة المزاعم الرئيسية التي قُدِّمت، لكن في الصلة الاستدلالية بينها. على سبيل المثال،

إذا قلت، "أنا أحب الجبن، بناء عليه فاليوم هو الثلاثاء،" أكون قد لفظت باستنباط غير متفق مع المقدمات، حيث إن حقيقة أن اليوم الثلاثاء لا تتبع حقيقة أني أحب الجبن. لكن مع ذلك يمكن أن يكون حقيقيًا أن اليوم الثلاثاء وأني أحب الجبن. بالمثل، حقيقة أن "صدَّام" لفظ باستنباط غير متفق مع المقدمات لا يعني في حد ذاته أن الولايات المتحدة لم تكن تريد السيطرة على بترول العالم، ولا أنهم لم يروا تدمير العراق وسيلة لتحقيق هدفهم، الأمر ببساطة أن هذا الأخير لم يأت من السابق؛ لكن يبدو أن الناس يحبون أن ينثروا على مقولاتهم كلمات "بناء عليه" و "لذا" سواء هناك أي اتصال منطقي بين المزاعم التي تربطها هذه الكلمات أم لا.

استنباط الأيكونومست غير متفق مع المقدمات في أنه لم ينبع من حقيقة استنتاج لجنة بريطانية أن الأغذية المعدَّلة وراثيا مأمونة للأكل حتى أنه ليس هناك سبب لعدم تناولها. كثير من الناس يقاومون الأغذية المعدلة وراثيًا لأسباب لا علاقة لها بالصحة، مثل تهديدها المزعوم للتنوع البيولوجي، والقوة التي تعطيها لقطاع الأعمال الزراعية، أو للخوف من أننا لا نعرف قط ماذا ستكون التأثيرات طويلة المدى من المعالجة الوراثية على نطاق واسع للمحاصيل.

دفاعًا عن الأيكونومست، مقالات الصحف ليست حججًا رسمية بمقدمات ونتائج محددة بوضوح، فأغلب الحجج الصحفية يقوم على مقدمات غير محددة ومفترضة غالبًا.

ولا يحتاج الأمر لكثير من البحث للتعرف على هذه الطبيعة في افتتاحية الأيكونومست. أول الكلمات - "كما استنتجت لجنة (بريطانية) أخرى" - توحي أننا يجب أن نفترض كمقدمة أنه كان هناك كثير من الأبحاث في مخاطر الصحة للأغذية المعدلة وراثيا، وأن كل هذه الأبحاث تشير إلى نفس الاتجاه.

وبالمثل، يترك لنا هذا الاستنتاج القليل، يجب أن نأخذ "ليس هناك أي سبب لامتناع الأوروبيين عن تناول الغذاء المعدَّل وراثيًا" بمعنى أنه ليس هناك سبب صحي؛ حيث إن تلك الأنواع من الأسباب هي الوحيدة التي تؤخذ في الاعتبار في هذه النقطة.

بمجرد قبولنا هذا الحقائق الضمنية، يختفي الاستنباط غير المتفق مع المقدمات. فهو يأتي من حقيقة أن كثيراً من الأبحاث - وهي بالنسبة لنا كافية للوثوق في النتائج - تقول إن الأغذية المعدلة وراثيا مأمونة، وأنه ليس هناك سبب صحي جيد لعدم تناولها. وحيث إن الإيكونومست تفتخر بنفسها لوضوح حججها، فأنا لا أشعر بأي تأنيب ضمير في كشف هذه السقطة النادرة.

* * *

في بعض الأحيان يكون سهلا للغاية التعرف على الحجج السيئة في الكتابة التي لم توضع ليقرأها عالم منطق متحذلق، هل هذا الكتاب يذنب أحيانا في تعريف الاستنباطات التي لا تتفق مع المقدمات ببساطة عن طريق إهمال المقدمات والافتراضات المفهومة ضمنيًا بجلاء لمن يدقق باهتمام؟ ما عدد ما يسمى بالحجج الفاسدة التي قمت بوصفها يمكن أن يتم إنقاذها إذا تم توضيح مقدماتها وافتراضاتها غير المحددة؟ سأتركك لتكون الحكم في ذلك.

انظر أيضًا :

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٦٣ . المستشارون سرقوا أصدقائي .

٦٨ . الكلب والبراغيث .

٧٩ . الحقيقة النكراء .

١٢ - إسلاموفوبيا
لكي تكون يجب أن تظهر

يعاني المسلمون في بريطانيا من مستويات مرتفعة من الإسلاموفوبيا والتمييز تستند إلى إيمانهم، وليس لون بشرتهم، هذا ما يقوله تقرير نشر اليوم. (...) من بين المسلمين البريطانيين ٨٠ بالمائة قالوا إنهم عانوا من الإسلاموفوبيا.

Maxine Frith, Independent[١٨]

كي تكون يجب أن تظهر percipi est esse (ربما لا تتفق مع قواعد اللغة) هي عكس كلمات الأسقف بيركلي esse est percipi. بينما كانت كلمات بيركلي الأصلية ادعاء ميتافيزيقيًا عن طبيعة الواقع، فهذه الجملة "لكي تكون يجب أن تظهر" تجسد بدقة الطريقة التي ينزلق بها الناس من حقيقة النظر لشيء ما على أنه القضية إلى مزيد من المطالبة بأنه هو القضية فعلا.

هذا ما حدث في قصة الإندبندنت حول تقرير عن تصور الإسلاموفوبيا بين المسلمين، وهي تهتم فحسب بما إذا كان المسلمون يشعرون كما لو كانوا يعانون من التمييز بسبب دينهم، وليس ما إذا كانوا يعانون من التمييز فعلا. ومع ذلك، فقد أخذت حقيقة أن هناك زيادة في عدد المسلمين الذين يعتقدون أنهم يعانون من التمييز كبرهان على أن الإسلاموفوبيا الفعلية قد زادت. كانت هذه قفزة غير منطقية عملاقة.

لرؤية الخلل تحتاج أن تضع في الاعتبار فقط الأمثلة الأخرى التي يمكن فيها القيام بنفس الاستنتاج. اسأل البريطانيين البيض على قوائم الانتظار أمام مجلس

الإسكان إذا ما كانوا يشعرون بالتمييز ضدهم لصالح طالبي اللجوء والأقليات العرقية، وستجد نسبة كبيرة منهم يعتقدون أنهم يشعرون بذلك، حتى عندما تظهر الحقائق أن هذا غير ثابت. إذا كان لصحيفة أن تسجل تقريرا عن أن التمييز ضد البيض من طبقة العمال قد زاد فقط على أساس إحساس هذه الفئة؛ فسيرى معظم الناس الخطأ في المنطق والغرض على الفور.

وبالأخذ في الاعتبار أن هذا التفريق في منتهى الوضوح، فلماذا يفشل الناس في الحفاظ عليه؟ سأخمن أن هناك سببين: أول سبب أن اللغة خدَّاعة؛ فالقول إني "شعرت بوجود الله" يتضمن منطقيا أن الله كان بالفعل موجودا، والقول بأني "رأيت برج إيفل" يتضمن أن النصب الذي رأيته كان برج إيفل، لكن في كلتا الحالتين نحن نبسِّط ما يمكن أن يقوله تقرير صحيح وأكثر تحفظا تمامًا. قد يصمم متحذلق أن يقول "أنا شعرت كما لو كان الله موجودا" أو "إني رأيت ما بدا لي مثل برج إيفل"، لكن ولا واحد منها تضمن أن ما اعتقدت أنك شعرت به أو رأيته كان بالفعل حقيقة.

سبب ثان لارتكاب هذا الخطأ أنه غالبًا ما يكون هناك مؤشر موثوق به بوجود حقيقة. ولأغراض الحياة اليومية على الأقل، إذا اعتقدت أنك رأيت برج إيفل فمن المرجح أنك فعلت. لكن هذا ليس حقيقيا مع التجارب الأخرى. مع الله، حيث إنه ليست هناك طريقة يعتد بها لتمييز الإحساس الحقيقي بوجوده من مجرد التهيؤ، فنحن بالتأكيد لا نستطيع القول إن الأخير مؤشر يعتمد عليه للسابق، على الرغم من أن الكثيرين يصممون عليه. وفي حالة التحامل، حتى إذا كان حقيقيا أن في معظم الحالات التي يعتقد الناس فيها أنهم ضحايا للتحامل يكونون فعلا كذلك، فإن دليل الإدراك يظل مؤشرا غير موثوق به بما فيه الكفاية لإثبات أن التحامل موجود بصورة حقيقية.

بعض الحقائق المهمة تكون في غاية البساطة حتى أن أغاني الروك لا تستطيع فقط أن تعبر عنها، بل هي تفعل ذلك بوضوح أكبر من النثر الأكثر تعقيدا. أغنية راديوهيد "هناك هناك" تتضمن الخط، "فقط لأنك تشعر بها، لا يعني أنها هناك." وحيث

إني لم أستطع التجويد في تلخيص هذه المغالطة التي أردت وصفها، ففي عنواني عدت إلى حيلة قديمة: إذا أردت أن تبدو فكرتك أكثر ذكاء عما هي عليه استخدم اللغة اللاتينية، لكن، بالطبع، ليس معنى أنها تبدو أكثر ذكاء أنها بالفعل كذلك.

* * *

في بعض الأشياء في الحياة، يعتقد غالباً أنه ليس هناك فرق بين المظهر والواقع، إذا أحسست بالألم، على سبيل المثال، بالتأكيد أنت تتألم، ومع ذلك، ليس من الواضح أن مشاعرنا معصومة من الخطأ بنفس الطريقة. إذا شعرت أنك تحب، هل معنى هذا أنك تحب بالفعل، أو ممكن أن يكون مجرد افتتان؟ هل من الممكن أن نعتقد أننا نشعر بالغضب، عندما نكون واقعيا شاعرين بالغيرة أو الغيظ؟ كم يمكننا أن نثق في إدراكنا لعواطفنا؟

انظر أيضاً :

١ . شيء لا يصدق .

٣٢ . قراءة بين السطور .

٥٥ . ليست مصادفة .

٧٩ . الحقيقة النكراء .

١٣- محاكمة الثياب

الإضعاف الماكر

دخلت السيدة كلينتون الغرفة وهي ترتدي بذلة بنية اللون وقميص بلون الفيروز وتتحلى بالمجوهرات، وراحت تتحدث عن "مجالات الخبرة"، لعمال الصلب.

Jason Horowiz, New York Observer[١٩]

اغفر لي اللعب بالكلمات، لكن الثياب ليست شيئا غير مهم. ذهب وليم جيمس بعيدا عندما ادعى أن "في أوسع معانيه... ذات الرجل هي مجموع كل ما يدعوه خاصته"، بما في ذلك "ثيابه". ما نرتديه يمكن أن يكون ذا شأن.

يفهم السياسيون أهمية العلامات التي تظهرها الثياب وغالبًا ما يعتبرون خزانة ملابسهم مهمة للغاية؛ لذا ليس من غير المعقول أن يعلق المعلقون على اختياراتهم أحيانا. عندما ظهرت هيلاري كلينتون أمام مجلس الشيوخ في يوليو ٢٠٠٧ ، وهي ما عليه من الخبرة السياسية، كاشفة جزءًا من صدرها، على سبيل المثال، كاد يكون من المؤكد أنها فعلت هذا لسبب، وتكهنت الصحافة كما ينبغي إلى ما يحتمل أن ترمي إليه. وخلصت معظمها إلى أنها كانت تحاول أن تضع أنوثتها في الصدارة.

سيكون من القسوة الاستدلال على أي شيء محدد عن جيسون هوروفيتز فقط على أساس ذكره ثياب كلينتون المزركشة عندما قابلت عمال الصلب. ربما كان يرسم ببساطة التباين بين مظهرها الأنيق للغاية ووضع الياقات الزرقاء. لكن، على العموم،

أعتقد أننا نعرف جيداً لماذا يحوز مظهر بعض الناس اهتمامًا أكبر من أناس آخرين. على سبيل المثال، فقد بحثت في محرك البحث "جوجل" على الإنترنت عن عبارة "ارتدت هيلاري كلينتون" وحصلت على ١١٧٠ صفحة. بينما أظهرت عبارة "ارتدى باراك أوباما" ١٦٧ صفحة فقط، كثير منها عن كاريكاتير يمثله وهو يرتدي عمامة وقفطانًا. سيذكر المراسلون الصحفيون مرة تلو المرة ما ترتديه سيدة، بينما لن يفعلوا نفس الشيء إذا كان الشخص موضع السؤال رجلا في نفس المنصب.

كثير من الناس، بما فيهم كثير من النساء، إما أنهم لا يلاحظون هذا وإما أنهم لا يهتمون كثيرا إذا تمت الإشارة إليه. ربما يقولون، إن الرجال يميلون للظهور بمظهر متشابه ، فهم يرتدون السترات وربطات العنق ، بينما تظهر النساء تنويعا جماليا أكثر، ولهذا يمكن ملاحظتهن، قد يكون هناك شيء في ذلك؛ لكن بالتأكيد هناك أيضًا شيء في الشكوى أنه بوصف ما ترتديه سيدة عندما يكون غير ملائم للقصة موضع البحث فإن هذا يكون له تأثير ماكر في الإضعاف قليلا من جدية المرأة موضع الحدث. بإضافة بعض الأهمية على كيف تبدو، فأنت تأخذ بعض الأهمية بعيدا عما تقوله.

هناك طرق أخرى كثيرة تُعامل بها النساء أو يتم بها التحدث عنهن خلافا عن الرجال؛ فالنساء الصغيرات، على سبيل المثال، غالبًا ما يوصفن "بنات" بينما لا يدعون الرجال في نفس السن "أولاد". والقوة في النساء أيضًا غالبًا ما ترتبط بصفات سلبية مثل "البرود" أكثر من القوة في الرجال، التي تقريبا ينظر إليها دائما كشيء جيد.

من السهل نبذ الاهتمام عن هذا كمحاولة لجعل أكوام التراب جبالا. لكن ربما يكون المثل أفضل مع أكوام من الرمل. كل مثل صغير، مثل حبة رمل منفردة، هو بالحقيقة غير مهم بحد ذاته. لكن التأثير المتراكم لآلاف من مثل هذه النمطية المعززة يضيف الكثير، بالضبط كما تملأ كمية كافية من الرمال الصحراء. وجود ملايين من مثل هذه الحبات غير قابل للجدل. انظر فقط إلى مقولة وليم جيمس التي افتتحت بها؛

فـقط تكلم ليس عن ذات الشـخص ولكن عن "ذات الرجل"، إذا كـان الرجل قـد وضع نموذجا للبشر فلا مناص من نفي الأنثى لمكان آخر.

* * *

الحـجج القـائلة إن الفـروق الصـغـيـرة في اللغـة والسلوك تضـعف بمكر بعض المجموعات الاجتماعية يبدو أنها تجد عددا أقل، وليس أكثر، من المؤيدين هذه الأيام. أحد الأسباب الشك المبرر في حجة تعتمد على تراكم انحيازات لا تكاد تذكر. قد يكون من المناسب أن تسأل، كـيف يمكن أن نعرف إذا كـانت الحـالة فـعلا هـي أن الفـروق البسيطة في استعمال اللغة لها هذا التأثير الكبير؟ كيف يمكن أن أكون متأكدا هكذا أن التعليق على ثياب امرأة يوحي فعلا بطريقة ماكرة بالأشياء التي ادعتْ أنها تحدث؟ حتى إذا كنت تظن أني على حق، أليس من الممكن أن يستخدم هذا النوع من الحجج لدعم ادعاءات أقل مـعقـوليـة؟ هل يجب أن نذهب بعـيدا فنتـجنب الكلام عن الأغنام السوداء والأسواق السوداء والابتزاز ؛ لأنها تعزز بصورة ماكرة الإحساس بأن كل ما هو أسود سيئ؟

انظر أيضاً :

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئا لك؟

٤٢ . السيدة التي تحتج كثيراً.

٨٢ . اللسان الحاد لا يعني ذهنا حريصاً .

٩٧ . هجوم على الشجيرات القاتلة.

١٤ - أعجوبة الوخز بالألوان
التأثير على زهر الطاولة

جولي (المنفتحة على الأمور الروحية) وكيت (الساخرة) تواصلان رحلة استكشاف عالم العصر الجديد. هذا الشهر سيحاول فريقنا المزدوج اختبار الوخز بالألوان.

Spirit and Destiny[٢٠]

تخيل أنك كاتب كوميدي وأنك ترغب في إرسال الطب البديل إلى عصر جديد. "الوخز بالألوان" سيكون ضربة عبقري كوميدي. لكن فات الأوان - فهذا بالفعل موجود، وحقيقي.

طبقا لما جاء في جريدة "الروح والمصير"، فإن الوخز بالألوان ابتدعه عالم ألماني "اكتشف أن هناك صلة بين شبكة قنوات الوخز بالإبر الصينية في أجسامنا والتأثير العلاجي للألوان المستجيبة للضوء". حسنا، أنا أستطيع رؤية صلة واضحة - وهي أن الاثنين غير موجودين حقيقة.

إن وصف "الروح والمصير" بالقشور سيكون إهانة للقشور. إن المشكلة الوحيدة للتعرف على الحجة الفاسدة فيها هي من أين تبدأ. إن الاقتطاف الذي اخترته يحتوى على مثال جيد "للتأثير على زهر الطاولة"، وذلك عندما يبدو أمر كما لو أنه وصف بحت بينما هو في الحقيقة يحتوي على واحد أو أكثر من أحكام قيمية ضمنية.

لذا فأنت تلاحظ أن جولي قد وُصِفت بأنها "منفتحة"، وهذا يُعتبر عموما أمرا طيبا، وفي حد ذاته يتضمن أن نظيرتها، كيت، لديها ذهن منغلق، وهو أمر لا يمكن

الافتخار به. ويسوء الأمر بالنسبة لكيت، مع ذلك. فلا توصف أنها متشككة بل "ساخرة"، وبينما تتضمن كلمة "منفتحة" توجهًا غير منحاز ونزيهًا، توحي كلمة "ساخرة" بالتحامل ضد الروحيات.

لذا فعندما تناقش جولي وكيت "فحص" الوخز بالألوان، فإن زهر الطاولة قد تم التأثير عليه؛ فإذا تحدثت كيت بسلبية، قد نكون قادرين على رفض وجهات نظرها كمتشككة منغلقة الذهن. نحن قادرون على الثقة بجولي، من الناحية الأخرى، إذا أعطت رأيا إيجابيا، حيث إنها منفتحة الذهن وعادلة. والأكثر من ذلك، هناك "رحلة للاستكشاف" تتضمن في البداية أن ما سيتم "فحصه" هو عالم مدهش من الحكمة والمعرفة، وليس بحرًا ملتبسًا من هراء التفكير الضبابي.

وبحدوث ذلك، تنتهي كيت بتقييم الوخز بالألوان بدرجة أكبر حتى من جولي! لا بد أن إقناع شخص ساخر متقدم في السن مثلها أمر مثير للإعجاب. ليس لأن تشككها يبدو عنيدا على وجه خاص. فقد تأثرت بسهولة بنشرة المعالج الخاصة التي تدعي أن "التأثيرات تم إثباتها بصورة مؤكدة، حتى أن شركات التأمين الألمانية ستدفع ثمن العلاجات. لم ترفع "كيت الساخرة" حاجب الدهشة. بدلاً من ذلك، أغشى عليها، "آه، مساندة شركات التأمين، وتأييد ألماني، هذا هو نوع المنطق الذي أحبه".

عندئذ يبدو محتملا أنه قد تم التأثير على زهر الطاولة بأكثر من طريقة، ولعل الرمي باللغة كان الأقل وضوحا، فهو أمر يمكن أن يحدث كثيرا دون أن نلاحظه. على سبيل المثال، التلاقح بين المحاصيل المعدلة جينيا وغير المعدلة يشير إليه نشطاء البيئة على أنه "تلوث جيني". حيث إن "التلوث" له دلالات سلبية بوضوح، فهذا الوصف يجعل هذا التلاقح يبدو سيئا قبل تقديم أي حجة أو دليل على أنه سيئ.

تبدو المشكلة واضحة بما فيه الكفاية. لكن هل من الممكن دائما رمي الزهر بطريقة عادلة؟ أحيانا يبدو أن وصف أمر ما بلغة خالية من القيمة ، إما أنه غير ممكن وإما أنه

يتركه وشأنه باستهزاء، وغالبًا فإن أفضل ما يمكن أن نفعله هو أن نختار كلماتنا بعناية، وأن نحاول ألا نؤثر على الزهر وأن نكون على حذر من الأحكام الضمنية في الكلمات التي نقرؤها أو نكتبها. أنا واثق أن القراء الأذكياء والمنفتحين سيوافقونني، لكني مستعد لتقبل النقد من المنتقدين أو بطيئي الفهم، ومع ذلك، فهذا عادل.

* * *

ليس من الصعب العثور على أمثلة تبدو فيها حتمية التأثير على زهر الطاولة بطريقة أو بأخرى، على سبيل المثال، في حرب العراق كلمات مثل "التحرير" و"الاحتلال" تحمل دلالات تقييمية؛ لكن هل من الممكن وصف ما حدث هناك دون الاستعانة بلغة تحمل بعض لمحات الإدانة؟. مثال أكثر خداعا هو ختان الإناث، هذا التعبير الطبي رسمي بدرجة كبيرة وغامض في معظم السياقات، لكن هل يجب أن يشرح في كلمات مثل "البتر التناسلي للأنثى" أو "التشويه التناسلي للأنثى"؟ التعبير الأخير يتضمن بوضوح رفضًا أخلاقيًا عنيفًا لكن أليس أي شيء آخر تجنبًا مفرط الحساسية للحقيقة؟

انظر أيضًا :

٧ . لأني أقول هذا .

٢٩ . قتيل، نعم. قاتل، لا .

٧٤ . الجميع مخنثون .

٩٩ . الشيء الحقيقي .

١٥ - من يعلم؟
حجج من المجهول

هذا المرجع يناقش التطور، وهي نظرية خلافية يقدمها بعض العلماء كتفسير علمي لأصل الأشياء الحية،.مثل النباتات والحيوانات والبشر. لم يكن أحد موجودا عندما ظهرت الحياة أولا على الكوكب. بناء عليه، أي إعلان عن أصل الحياة يجب أن يعتبر نظرية، وليس حقيقة.

Notice put in all biology textbooks by the Alabama State Board of Education, 1996-2001

كان تدريس التطور في المدارس الأمريكية دائما مثار جدل. في "محاكمة القرد سكوبس" التي انعقدت في ١٩٣٥ ، أدين مدرس في تينيسي لأنه قام بتدريس التطور بالإخلال بقانون الولاية المعروف بمرسوم بتلر الذي نقض في ١٩٦٧ فقط. وفي العام التالي، حكمت المحكمة العليا أن قانونا مماثلا في أركانساس انتهك التعديل الأول. في ٢٠٠٥، حكمت المحكمة الجزئية للمنطقة الوسطى في بنسلفانيا أن التصميم الذكي لا ينتمي لمنهج العلوم، ولا تزال مجادلات شبيهة تدور حتى الآن.

معظم العلماء قانطون أمام هذا، غير قادرين على فهم لماذا يقاوم كثيرون نظرية التطور بينما الأدلة العلمية على حقيقتها ساحقة للغاية، لكنْ المقاومون يفعلون ذلك، ليس فقط في أمريكا . في استطلاع قام به برنامج الأفق في إذاعة البي بي سي وُجد أن ٤٨ في المائة من البريطانيين يؤمنون أن التطور وصف وجهات نظرهم في أصل وتكون الحياة بأحسن ما يمكن، وفضّل ٢٢ في المائة الخلق و ١٧ في المائة التصميم الذكي.[٢١]

هناك أسباب كثيرة تفسر لماذا يكون من الصعب تقبل التطور، واحد منها بالتأكيد هو أن الناس متأثرون بشدة بالادعاء أن التطور "نظرية، وليس حقيقة".

التطور بالفعل نظرية، ونحن أيضًا لا نعرف بالتأكيد أنه حقيقة، لكن هذا في حد ذاته ادعاء ممل. ومن المثير للجدل، أننا لا نعرف شيئا عن يقين، ربما لا نكون أسلاف الإنسان الذين يمشون على الأرض على الإطلاق، ولكننا سحالٍ متصلة بماكينة واقع افتراضي على ألفا قنطوري*، ونتغذى على وهم الحياة الأرضية الطبيعية، هذا أمر مستبعد للغاية، لكنه ممكن، ونحن لا نعرف بيقين مطلق إن كنا قد خدعنا في هذا أو في طرق تخيلية عديدة أخرى.

إذا علمنا في مدارسنا حقائق كاملة اليقين فقط، فلن نعلِّم أي شيء على الإطلاق، ما نفعله عوضا عن ذلك هو تدريس أمور لدينا أدلة ساحقة للاعتقاد أنها الواقع. ما نسميه "حقائق" ليست يقينا صلبا، لكنها اعتقادات جائزة بدون شك معقول أو أنها محتملة بصورة كبيرة.

مع ذلك، أراد مجلس التعليم لولاية ألاباما أن يخلق كثيرا من الارتياب المحيط بالتطور. وكان من الممكن أن يفعل هذا بصورة محترمة عقلانيا، بادعاء أن النظرية غير مؤكدة تمامًا لكي يتم تدريسها بدون تقديم شيء بديل، مثل الخلق أو التصميم الذكي. هذه الطريقة للتعليم ليست غير مسبوقة: فمدرسو التاريخ – على سبيل المثال – دائما ما يجعلون تلاميذهم واعين للروايات المختلفة لما حدث بالفعل.

الادعاء لم يتمكن من النهوض، مع ذلك، لأن كل العلماء تقريبا أجمعوا على أن الأدلة على التطور قوية ، مثل أدلة عدد لا يحصى من الثوابت العلمية، وبينما تدور شكوك بالنسبة لكيف يعمل التطور بالضبط، فإن الادعاء بتطور الحياة على الأرض مؤكد مثل أي ادعاء علمي آخر.

لذا عوضا عن ذلك قرر المجلس ببساطة أن يحتكم إلى التمييز بين الحقيقة والنظرية كما لو أن هذا قد حسم الأمر، بينما وضع ادعاءات إضافية عن النظرية كونها "خلافية"، وهو ما ينتشر بين العامة لكن ليس مطلقا بين هؤلاء الذين يفهمونها

(*) أقرب نظام نجمي للشمس .

فعلا. الجدل العلمي يحيط بالتفاصيل عن كيفية عمل التطور، وليس إذا كان يعمل أو لا.

يبدو أن الناس يفكرون أن الشك يدعو للاستهجان. في الحقيقة، اليقين هو مسألة درجات. عندما يكون هناك قليل منه، فأنت دائما لا ترغب في تعليق الحكم. غالبًا ما يكون كافيًا أن تظل منفتحًا للاحتمال البعيد لكن يظل ممكنا اكتشاف أنك مخطئ. التفكير الجيد لا يتطلب وضع كثير من الشك الموروث في اعتقاداتنا ولا الركون إلى إحساس زائف بالأمان.

* * *

مجرد وجود حالة عدم اليقين قد لا يتطلب اللاأدرية، لكن متى تصبح الأمور غير واضحة بهذا الشكل لدرجة أن تعليق الحكم يصبح الخيار الأفضل؟ هل يكون الشخص لا أدريا لأن عدم وجود الله ليس مؤكدا؟ هل يجب ألا يكون لك رأي في إمكانية عدم وجود حياة بعد الموت، حيث من الواضح أن لا أحد يعرف بالتأكيد ما سوف يحدث له عندما يتوقف قلبه؟ هل يجب أن نصرف النظر عن تقرير لجنة ١١ سبتمبر لأن حيثياته قد تكون خطأ؟ كيف تتيقن أن عدم اليقين يشكل أرضية كافية لتعليق الإيمان؟

انظر أيضًا :

٥٣ . آمنة تمامًا .

٦٢ . من قال إن التدخين قاتل؟

٧١ . ما لم يعرفه شرلوك .

٩٠ . كيف يمكن أن أصدقك مرة أخرى؟

١٦ - حظ أفضل

مغالطة المقامر

هو يستحق فوزا .

Damon Hack, New York Times[٢٢]

عندما يقول الناس إنهم "يستحقون فوزا" في الرياضة أو القمار أو، أكثر مجازا، في الحياة عموما، فهم في أكثر الأحيان لا يفعلون أكثر من الإعراب عن الأمل النابع من اليأس، لكن أحيانا يعتقدون بالتعبير الحرفي أيضًا أن حظهم يستحق التبديل.

الفكرة، وعادة ما تكون غامضة أكثر منها واضحة، إن الطبيعة توازن الأمور على المدى الطويل، حتى أن السلسلة الأخيرة من النتائج التي تذهب في اتجاه ما تتطلب توازنا من نتائج ، تذهب في الاتجاه الآخر وإلا فإن العالم سيكون متعنتا .

ربما كان أكثر الأدلة وضوحا على أن كثيراً من الناس يعتقدون هذا ، هو شيوع مواقع الإنترنت التي تدلك كم مرة تم اختيار أرقام بعينها في اليانصيب الوطني ويانصيب الدولة. حقيقة أن الناس يستشيرون هذه المواقع يحمل فقط معنى اعتقاد الناس أن اختيارات الماضي يمكن أن تمدهم ببعض الإشارات عن احتمالات المستقبل.

أحيانا يصدِّق الناس هذا لأسباب خرافية، لكن في مناسبات أخرى يرتكبون خطأ بخصوص احتمال الحدوث العشوائي المعروف باسم "مغالطة المقامر"، خذ مثلا رمي العملة. الفرص في أن تأتي الصورة أو الكتابة هي ٥٠ – ٥٠ ، هذا يعني أنك إذا رميت العملة ١٠٠ مرة، فمن المحتمل أن تأتي الصورة تقريبا بنفس المعدل الذي ستأتي

به الكتابة، لكن هذا لا يعني أنه من المحتمل أنك ستحصل بالضبط على خمسين صورة وخمسين كتابة. كل رمية للعملة هي حدث مميز ولا يؤثر على الرميات التالية أو السابقة: إذا جاءت الرميات بخمسين صورة ، فإن الطبيعة لا "تعرف" أن الكتابة عليها الدور، أو العكس.

مصدر آخر للخطأ هو سوء فهم طبيعة الأحداث بعيدة الاحتمال، على سبيل المثال، فإن فرص الحصول على الصورة ١٠ مرات على التوالي من رمي العملة هي واحد في ١٠٢٤ مرة، دعونا نقل إننا قد رمينا عملة ٩ مرات على التوالي وأنها قد جاءت بصورة في كل مرة. بالتأكيد، سيشعر الناس، حيث إن الفرص في سلسلة من عشرة غير محتملة، إنه من المحتمل أن الرمية التالية ستكون كتابة أكثر منها صورة؟ خطأ، احتمال عدم حدوث تسع مرات صورة (فرصة واحد في ٥١٢) قبل هذه الرمية لا تؤثر على ناتج الرمية العاشرة، ما هو بالفعل غير محتمل قد حدث بالفعل. احتمال أن الصورة العاشرة ستحدث من نقطة البداية هذه هكذاً ليست واحدا في ١٠٢٤ لكن ٥٠ - ٥٠، لأنها تتوقف على رمية واحدة، تكون كالآخرين، رهانًا متساويًا.

على الرغم من افتراض أن أحداث الماضي العشوائية تؤثر على نتيجة أحداث المستقبل مغالطة واضحة، فقد يبرر ذلك رؤية سلسلة غير محتملة لتكون دليلاً على أن التتابع ليس عشوائيا على الإطلاق. على سبيل المثال، إذا ألقيت عملة وأظهرت صورة تسع مرات على التوالي، فقد تراهن على الصورة للمرة العاشرة على أساس أنك تتوقع أن الرمي ليس عشوائيا. وهذا بالتأكيد معقول، ما دمت تفهم أن مجرد وقوع سلسلة غير محتملة لا يعني في حد ذاته أن رمي العملة لم يكن عادلا.

النقاد حريصون على التعبير المجازي "يستحق فوزا"، واستعمله دامون هاك عندما رجح فوز رتيف جوسن في بطولة ٢٠٠٦ المفتوحة للجولف، وحتّم بوبي كلامبت في إذاعة تيرنر سبورتس أن الأوربيين يستحقون فوزا في البطولة. وكما اتضح، حصل

جوسن على المركز الرابع عشر، متأخرا بإحدى عشرة ضربة خلف الفائز، وهو الأمريكي تايجر وود. ولكي نكون عادلين في الحالتين، مع ذلك، فإن الجولف واحد من أكثر الرياضات التي يصعب التنبؤ بنتائجها، وفي هذا السياق تكون عبارة "يستحق فوزا" ليست دائما مثالا على مغالطة المقامر على الإطلاق، لكن ببساطة تعبيراً عن الاعتقاد أن فريقًا أو لاعبًا يلعب بصورة جيدة حتى أنه من المحتمل أن يفوز عاجلا أو آجلا. وعندما تسمع في المرة القادمة أن شخصًا ما يقول إن أمرًا مستحق الحدوث، اسأل نفسك لماذا قبل أن تفترض أنه مذنب بالتفكير الخاطئ.

* * *

هنا سؤال يمكنك توجيهه لنفسك وللآخرين لترى كم حجم وقوعك في قبضة المغالطة. يراهن جاك وجيم على رمي العملة الذي تقوم بها فريدا، عشرين مرة على التوالي. يعتقد جاك أن نتيجة الرميات السابقة تؤثر على نتيجة الرمية التالية. ويعرف جيم – بعدما قرأ عن مغالطة المقامر – أن هذا ليس صحيحا. من منهما أكثر احتمالاً أن يفوز بأكثر الرهانات، جاك أم جيم؟

الإجابة في آخر الكتاب

انظر أيضًا :

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٣٧ . الطريق الوحيد متجه للأسفل .

٤١ . المعرفة بأثر رجعي .

٥٥ . ليست مصادفة .

١٧ - إذا لـم تقـتـلـه فـلا تـأكـلـه

لـن ويـجـب ألا

إذا اضطر الوزراء لمصاحبة القوات، فسوف نعود للديار بحلول يوم الإثنين القادم.

Martin Samuel, The Times[٢٣]

كانت القاعدة الكونفشيوسية الذهبية "لا تفعل للآخرين ما لا تريد أن تفعله لنفسك"، والقاعدة الذهبية لكثير من دعاة اللا عنف والنباتيين تبدو أنها "لا تفعل للآخرين ما لن تفعله لهم بنفسك".

هذا مبدأ أخلاقي أساسي شائع إلى أقصى حد. المناهضون للحرب يوبخون الصقور على أساس أنهم عادة لا يظهرون سوى القليل من الاستعداد للخروج إلى أرض المعركة ومواجهة الأعداء بأنفسهم، معارضو عقوبة الإعدام يمكنهم أن يجعلوا من يخالفهم الرأي يرتبكون بسؤالهم إن كانوا مستعدين أن يقوموا بإعطاء الحقن القاتلة بأنفسهم، مناهضو الإجهاض يستخدمون صورا لأجنة مجهضة للإيحاء بأننا يمكننا الاستمرار في مساندة الإجهاض فقط إذا أبقينا أنفسنا بعيدا عن الفعل ذاته، الرسالة التي يبعثها كل هؤلاء أنه إذا كنت لا تستطيع أن تفعل ذلك بنفسك، إذن فأنت مرائي لتقول إنه مسموح للآخرين القيام بذلك نيابة عنك.

القوة البلاغية غير المُنكرة للحجة، مع ذلك، لا تدعمها أي حجة منطقية، ليست هناك صلة ضرورية بين الصواب والخطأ في عمل ما وقدرة الإنسان أو عدم قدرته على

القيام به، يمكن رؤية هذا بسهولة من خلال النظر في كل من الأربع وصلات المحتملة التي يمكن القول بها بين الموافقة وعدم الموافقة والرغبة وعدم الرغبة للعمل:

١ . إذا كان هناك شخص راغب في القيام بتصرف ما، والتصرف خاطئ.

٢ . إذا كان هناك شخص راغب في القيام بتصرف ما، والتصرف سليم.

٣ . إذا كان هناك شخص غير راغب في القيام بتصرف ما، والتصرف سليم.

٤ . إذا كان هناك شخص غير راغب في القيام بتصرف ما، والتصرف خاطئ.

الاحتمالان الأول والثالث هراء واضح، الثاني أيضًا زائف بوضوح. مناهضو الإجهاض يرون الناس الراغبين في تنفيذ ذلك كأشرار، وليس تحديا لقيمهم. الحمائم يفكرون بنفس الطريقة عن الصقور المدججين بالسلاح، كما يفعل مناهضو عقوبة الإعدام في هؤلاء الراغبين في التصرف مثل الجلادين. كل هذا يمكن أن يكون مفاجئا إذا كانت رغبة الشخص في تنفيذ تصرف ما مؤشراً من أي نوع على حالته الأخلاقية.

وهو ما يتركنا مع القضية الأصلية، الاحتمال الرابع في القائمة، حيث انعدمت الرغبة في القيام بتصرف يفترض أنه يشير إلى أمر مشتبه به. ومع ذلك فإن الشيء الوحيد الذي ينبع من عدم القدرة هذه هو الحقيقة النفسية في عدم الرغبة في فعل ما نجده بشعا، لكن منذ متى كانت البشاعة مقياسًا للأخلاق يمكن أن يعتد به؟ معظم الناس سوف ينكصون على أعقابهم عند القيام بتشريح جثة، لكن هذا لا يجعل التشريح غير أخلاقي ، وكثير منا قد يجد أن قتل شخص بشعٌ للغاية أو تعريض حياتنا لخطر داهم في عملية بطولية لإنقاذ آخرين، لكن هذا يخبر شيئا عنا، وليس عن أخلاقية ما لا نستطيع عمله؛ حيث إن الحقيقة هي أن عدم رغبتنا أو قدرتنا على القيام بأمر ما لا يجعله خطأ، فليس هناك شيء من الرياء في الاعتقاد أن أمرًا ما صحيح وفي نفس الوقت عدم القدرة على القيام به بنفسك.

في الواقع، غالبًا ما يكون هذا علامة على أعمال شجاعة معنوية يحجم عنها الناس العاديون. لكنك لا تسمع الناس يقولون "أعتقد أنك إذا لم تكن مستعدا لمحاولة

إنقاذ بحرية من الجو بنفسك، فيجب عليك ألا تستفيد منها إذا عرضت عليك"، أو "أنا لا يمكن أن أحتمل هؤلاء الناس الذين يؤيدون مساعدة الفقراء في بلدان العالم الثالث، ولكنهم ليسوا على استعداد للذهاب هناك وفعل ذلك بأنفسهم." في هذه الأمثلة، يبدو السخف واضحا، لكن المنطق هو نفسه بالضبط كما في الحالات السابقة للنباتيين وعقوبة الإعدام والحرب: عدم قدرة أو عدم رغبة في فعل أمر ما بنفسك يؤخذ كعلامة على أنك يجب ألا توافق عليه.

وأظن أن السبب الذي من أجله تبدو الحركة شائعة هو معقولية أن نطلب من الناس بطريقة أو بأخرى أن يواجهوا واقعا يدعمونه، إذا كان هذا الواقع غير سار، وهكذا يكون الطلب من شخص أن يتخيل حقيقة فعل ما يدعمه هو وسيلة لتركيز العقول على ما هو على المحك، وهو يساعد على التداول المعنوي، وليس طريقا مختصرا إلى نتيجة.

* * *

هل هناك أية آثار غير مستحبة في ما تعتقد أنك غير راغب فيه أو غير قادر على التصدي له؟ إذا كنت من مناصري عقوبة الإعدام، فهل تدرك تمامًا أنها تنتج موت إنسان، وأحيانا الشخص الخطأ؟ إذا كنت من آكلي اللحوم، أو مجرد مستهلك للحليب، هل تتنصل من واقع أن الحيوانات يجب أن تموت حتى يمكنك الحصول على اللحم أو منتجات الألبان؟ إذا كنت مؤيدا لاختيار مصير الحمل، هل تدرك ما الذي يتم تدميره في الإجهاض؟ ردود أفعالك الانفعالية لهذه الأفكار قد لا تبدو كبدهيات أخلاقية، ولكن ألا تخبرك بشيء ما على الأقل؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو؟

انظر أيضًا :

١ . شيء لا يصدق .

٤٢ . السيدة التي تحتج كثيراً .

٨٢ . اللسان الحاد لا يعني ذهنا حريصاً .

٨٩ . ميثاق مسترق النظر .

١٨ - الوجبات السريعة جعلتني بدينًا
وساطة التبديل

سيحصل سبعة عشر عقارا على النقود هذا العام ، وهذا مجرد جزء ضئيل من ثلاثة الآلاف ضاحية المحرومة حيث أطفال مثل آمي وهايلي وجون ستيفن قد حُرِمُوا من فرص يتوقعها معظمنا.

Kim Catcheside, BBC social affairs correspondent(٢٤)

يكون اللغويون مفيدين مثل علماء المنطق عندما يتعلق الأمر بملاحظة الناحية البلاغية في خفة اليد، فرق بسيط في بناء الجملة يمكن أن يغيِّر بشدة ما يرد في التعبير.

إحدى أهم الأشياء التي يمكن للغة أن تقوم بها هي نقل المعلومات عن الواسطة: من فعل ماذا، ويبدو أنه حتى الأطفال الصغار يدركون غريزيا الفرص التي يتيحها هذا في وضع دوران أكثر حيادية على معلومات قد تكون مُجرِّمة: لماذا القول "أنا كسرت اللعبة" عندما تستطيع القول إن "اللعبة مكسورة"؟

نستطيع أن نستعمل كل أنواع البناء البديلة لتحويل الأداة المتصورة لعمل أو حدث ما، على سبيل المثال، "أنا أشعر بالإهانة" هي وصف محايد لحالتنا الانفعالية الشخصية، بينما "لقد أهنتني" توضح بشدة سبب هذا الإحساس مع شخص آخر، لكن الأخير قد يكون مُضَلِلا، إذا كانت القضية هي أن مشاعر الإهانة أساسا سببها عدم إحساسك بالأمان أو الحساسية أكثر منها نتيجة تصرفات خبيثة أو طائشة من آخرين.

استعملت كيم كاتشسايد طريقة ملتبسة شبيهة بوضع أمور في أخبار البي بي سي عن نتائج خاصة بالأحياء المحرومة، لقد رغبت حقًا في أن تنهي تقريرها بالإشارة إلى أنه، على الرغم من كل الكلمات اللطيفة عما ستفعله نقود الحكومة الجديدة، فإنها لن تغير حياة الأغلبية الساحقة الذين يعيشون في مثل تلك المناطق، لكنها وصفت ورطة هؤلاء الناس بطريقة غريبة؛ فقد قالت إنهم "قد حُرِمُوا من فرص يتوقعها معظمنا"، وإذ قالت إنهم "لا يملكون" هذه الفرص، كان من الممكن أن يكون تعليقها محايدا بالنسبة للمسئول عن هذا، أو بالفعل إذا كان هناك شخص مسئول على الإطلاق، لكن بقولها إنهم " قد حُرِمُوا"، فإن هناك تضمينًا واضحًا أن شخصًا ما يحجب الفرص عنهم بإيجابية، فهناك إحساس بالوساطة قد تدخل، ومعه شعور بالمسئولية.

قد تعتقد أن هذا صحيح، لكن مثل هذا الرأي في هذه الحالة محمل سياسيا بوضوح ولا يمكنك أن تتوقع أن يطرح تقرير نزيه للبي بي سي مثل وجهة النظر هذه، كما أن هذه ليست الحالة التي لا تتوفر فيها أوصاف محايدة.

بالطبع، من الممكن قراءة الجملة بتعبيرات أكثر تجريدا؛ لذا فإن الأطفال موضع البحث يكونون "قد حُرِمُوا" فقط بالقدر أو الصدفة، وقد يكون هذا كل ما تعنيه الجملة، لكن تضمين الوساطة ليس فقط مجرد اختيار إضافي، أو دقة زائدة في التفسير؛ بل هو موجود في قواعد اللغة، إذا لم نقصد تضمين وسيط مسئول، فيجب ألا نستعمل التركيبات التي تفعل هذا بالضبط.

بنفس الطريقة، إذا كان هناك وسيط مسئول، فيجب ألا نخفي هذه الحقيقة، هناك عبارة تستخدم كثيرا هذه الأيام وتفعل هذا بالضبط: "هذا لم يحدث". قد نتحدث بحماس عن ترتيب لقاء للأصدقاء القدامى في عطلة نهاية الأسبوع ولكننا لا نعقده أبدا، قد يوجه لنا شخص سؤالا، "ما الذي حدث في نهاية الأسبوع تلك التي كنت تخطط لها؟" ونجيب، "هذا لم يحدث"، كما لو أن فشل ذلك الحدث في الانعقاد لم يكن

له علاقة بفشلنا في التخطيط، على الرغم من أن الأحداث الاجتماعية لا تحدث ، فيبدو أنها فقط لا يمكن أن تحدث من تلقاء نفسها.

تضمين الواسطة مغروس بعمق في لغتنا؛ لذا يجب أن ننتقي كلماتنا بدقة إذا رغبنا في أن نتميز بالدقة عن مَن سبب ماذا.

* * *

ما مدى دقة أو تضليل الإفادات التالية التي نسمعها مرارا؟ "لقد وجدنا أنفسنا في ناد للعراة"، و"لقد أغوتني"، و"لقد مات عشرة مدنيين خلال الغارة الجوية"، و"الوجبات السريعة جعلتني بدينا،" و"لم يعلمني هذا الكتاب شيئا"، هناك طرق مختلفة للتعبير عن نفس الأشياء: هل هي أكثر أو أقل دقة؟

انظر أيضاً :

٤ . ليكن ما يكون .

٥ . تحدث عن نفسك .

٦٤ . أمري كان لي .

٩٦ . ما الفرق الذي يصنعه؟

١٩ - إن لم يكن واضحًا فلن يكون واقعيًا

تفريق حقيقي وضبابي

لقد كنت أدعو الحياة التي بداخلي طفلا لأني أردت ذلك، ومع ذلك إذا لم أردها فينبغي عليَّ أن أفكر فيها كمجرد مجموعة من الخلايا التي أوافق على قتلها. هي نفس الكيان. كان مجرد رد فعلي هو الذي سيحدد ما إذا كان سيعيش أو يموت، وهو ما بدا لي غير عقلاني، وربما غير أخلاقي.

Miranda Sawyer, Observer(٢٥)

هناك شكوى عامة من أن الحياة مليئة بالمناطق الرمادية، ومع ذلك يفضل الناس التفكير بالأسود والأبيض، والغريب، مع ذلك، أن هذه الملحوظة توجه غالبًا لدعاة العقل والمنطق كما لو أن الرغبة في التفكير – بأكبر قدر من الوضوح – تؤدي إلى أن ينسى الناس هذه الحقيقة البسيطة. وعلى الرغم من أن هناك أمثلة للفلاسفة الذين حاولوا شق التفريق المفاهيمي بأكثر مما تسمح الطبيعة، فإن حسن التفكير ينبغي أن يساعد، ولا يعوق رحلتنا في مناطق الحياة الضبابية.

وعلى سبيل المثال، يبدو أن الصحفية ميراندا سوير قد اكتنفها نوع من الضباب المعرفي عندما فكرت في رد فعلها للنتيجة الإيجابية لفحص الحمل، الكتابة عن كيفية الحصول على طفل غيرت رأيها بشأن الإجهاض، فقررت سوير أنها الآن شعرت بالارتباك، بينما كانت سابقا مؤيدة بدون لبس للإجهاض، في قلب همومها، كان قلق نموذجي عما يوجد بداخل رحم الحامل بالضبط، هل هو مجرد تجمع للخلايا أم طفل بشري؟ ظنت سوير أنه لا توجد إجابة لذلك: فهو كل ما نختار أن نسميه، لكن هذا كان محيرا، لأنه يوحي أن الفرق بين قتل طفل وقتل عدة خلايا مجرد دلالات لفظية.

الرد الواضح هو أن ما يبدأ في الحمل كتجمع للخلايا يصبح بالتدريج طفلا بشريا، لكن المزعج هو أن أي نقطة فاصلة قد تبدو متعسفة. ولا عجب أن مناهضي الإجهاض يحاولون أن يوضحوا هذا الغموض غير المُرضي بالإلحاح على أنه دائما طفل، منذ بداية الحمل.

ويبدو لي أن كلاً من مؤيدي الحياة وسوير يرتكبون خطأ أساسيا، وهو التفكير في أنه ما لم يكن هناك حدودٌ واضحة بين حالتين أو مفهومين، فلن يكون هناك تفريق حقيقي بينهما، وأفضل ما يمكننا فعله هو أن نقدم أحدهما، وبتطبيق هذا على حالة الخلايا البشرية الأولية والأطفال، تخلص سوير إلى أن عدم التفريق الهادف يتركنا في تشوش أخلاقي، بينما يقول مناهضو الإجهاض إن مثل هذا التفريق عديم المعنى يجب أن يُرفض ويُستبدل به فئة واحدة من الحياة البشرية منذ بدء الحمل.

ومهما كانت أخلاقيات الإجهاض، فإن المنطق خلف هذين الموقفين معيب جدا. فاللغة والمنطق يعانيان من مشكلة في وصف الحدود الضبابية في الطبيعة ، لكن من الضروري توضيح أن مثل هذه الحدود موجودة وأن التفريق الذي يفصلها حقيقي على الرغم من ذلك. اللون مثال واضح، رتب كل الألوان في طيف ولن تجد نقطة محددة فيها يتحول الأحمر ليصبح برتقاليا، أو الأخضر أزرق، ومع ذلك هناك فرق واضح ومهم بين البرتقالي والأحمر والأخضر والأزرق. هذه هي الحالة رغم أنه لا يمكن لأحد أن يرسم خطا فاصلا بينها.

وبالمثل، الذين يدعون أن هناك تفريقًا حقيقيًا بين الخلايا التي لم تتحول بعد إلى شخص والإنسان كامل التكوين لا يدحضون ملاحظة أنهم غير قادرين على القول عند أي نقطة تتحول حالة إلى أخرى، إن غياب حدود محددة واضحة ليس حجة ضد وجود تفريق حقيقي.

إذن التفكير الصافي يساعدنا على فهم طبيعة مناطق الحياة الرمادية، ولكنه لا ينكرها، فمقاومة الغموض تميل إلى أن تكون نفسية أكثر منها منطقية، على سبيل

المثال، يكون من الصعب أحيانا معرفة وصف ميليشيا مسلحة كإرهابيين أو مجاهدين من أجل الحرية، بدلاً من محاولة التعايش مع هذا الغموض، يكون من المغري إنكار يقينية التفريق، ومع ذلك فهذه الحالة تناسب ببساطة كلاً من السلطات التي ترغب في تصنيف كل جماعات المقاومة كإرهابيين، والإرهابيين الذين يرغبون في المطالبة بالتكافؤ الأخلاقي مع مجاهدي الحرية.

* * *

كيف تجد من السهل المحافظة على التفريق بدون رسم خط؟ هل تقبل اختلافا بين التجارة الشرعية والرأسمالية المتوحشة؟ الإحسان البنّاء والشفقة المدمرة؟ التدخل المسلح المبرر، والعنف العسكري غير القانوني وغير الأخلاقي؟ التجارب الجنسية المشروعة، والشذوذ الجنسي الضار؟

انظر أيضًا

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئا لك؟

٣٩ . تجميع مريب.

٧٠ . لا شيء سوى الحق.

٧٣ . ثقوب الأوزون في طبقة الكربون.

٢٠ - الفرقة الغنائية التي بدّلت حياتي

كانت فعالة معي...

من المثير للاهتمام أن نرى كيف سيكون العالم مختلفا إذا استمع ديك شيني بالفعل لألبوم أوكي كومبيوتر لفرقة راديوهد، أعتقد أن العالم قد يتحسن، هذا الألبوم رائع للغاية، قد غير حياتي، فلماذا لا يغير حياته؟

Chris Martin of Coldplay(٢٦)

إن قدرتنا على التنبؤ بما سيحدث واكتشاف النظام الذي يعتمد عليه العالم يتوقف على نوع من الجدل هو بالمعني الدقيق للكلمة غير منطقي، التحريض هو شكل من أشكال المنطق الذي يتيح لنا أن نستنتج مبادئ عامة من خبرات خاصة. في بعض الأحيان يكون لدينا الكثير من الخصوصيات نعمل عليها: عدد لا يحصى من الملاحظات أظهر أن الماء هو مركب من الهيدروجين والأكسجين، وبالتالي فإن فرضية أن كل الماء مكون هكذا تبدو مترابطة تمامًا. ومع ذلك، فنحن غالبًا ما نعمم على أساس عدد قليل جداً من الملاحظات. إذا كان لديك أداة جديدة، وتضغط زرا فيتحدث شيء ما، فأنت تفترض حدوث نفس الشيء إذا ضغطت الزر مرة أخرى. هذا لأن تفكيرك قد تعلم بعديد من التجارب الأخرى التي تخلق افتراضا عاما عن الانتظام في وظيفة الأزرار، لكن إذا كنا نضع قاعدة تعميما على حالات كثيرة أو مجرد حالة أو اثنتين، فنحن لا نزال نخلص إلى أن شيئا ما يكون دائما هو الحال على أساس مجموعة محددة من الملاحظات.

وحتى بوضع هذه المخاوف النظرية جانبا، في الممارسة العملية يصبح من الصعب مقاومة إغواء المبالغة في التعميم على أساس من التجارب الخاصة المحتمل أن تكون مضللة. وتعليق كريس مارتن عن ديك شيني وراديوهد بشكل خاص هو مثال فاضح على الخطأ؛ فمن الصعب تصديق أن مارتن يعتقد فعلا أن الاستماع لألبوم غنائي مبهم وهو لا شيء بالمقارنة بمقال سياسي محكم من شأنه تغيير ذهن شخص أمضى كل حياته مطوِّرا وضعه السياسي، لكنه "غيَّر حياتي، فلماذا لا يغير حياته؟".

ما تجاهله مارتن هو أن استجابة الناس للموسيقى والفن متغيرة للغاية، لذا فإن حقيقة أن ذلك الألبوم غَيَّر حياته ليس ضمانا على الإطلاق أنه سوف يغيِّر حياة آخرين. في الواقع، الدليل على أنه غالبًا لن يفعل واضح بصورة مباشرة؛ حيث إن مارتن يجب أن يعرف جيداً أن بعض الناس يكرهون ذلك الألبوم.

وعندما يبالغ الناس في التعميم من عدد محدود من الحالات الخاصة يقال إنهم يبالغون في قراءة مجرد "أدلة قولية"، لكن هذه العبارة خادعة قليلاً، حيث إنه أحيانًا يكون كافيًا حدث أو اثنان لتكوين فرضية عامة مؤقتة على الأقل، وليس المهم عدد الحالات بالتحديد التي يقوم عليها استدلالك، ولكن كونها من النوع الصحيح.

قد يكون من الصعب تحديد النوع الصحيح بدقة، لكن الملامح النمطية للنوع الخطأ واضحة بما فيه الكفاية، كما في مثال مارتن، فأنت لا تستطيع أن تعمم من أحوال يكون معروفا فيها اختلافات كبيرة في كيفية استجابة الناس أو الأشياء.

لكن هناك مشكلة أخرى مع تعميم مارتن الذي هو نموذج للحجج المأخوذة من دليل فردي: افتراض أن الحالات التي يتم التعميم منها يكون لها بالفعل الصفات التي يعتقد أنها لها. هل غيَّر ذلك الألبوم فعلا حياة مارتن؟ ربما، لكني متأكد جداً أنه لم يغيره من أحد أتباع شيني من المحافظين الجدد إلى مضاد للرأسمالية؛ لذا فالأمر ليس أن الألبوم لا يحقق التأثير المدعى له على كل الناس، بل إنه حتى لم يحقق ذلك التأثير على مارتن.

* * *

توصيات كريس مارتن الشخصية المغالية على الرغم من ذلك، هي الأكثر إقناعاً للاتِّباع غالباً، ومع ذلك أنا على يقين أنك أيضاً مررت بتجربة في عمل شيء أوصى به شخص ما بقناعة أن فيه شيئاً، لتجد فقط أنه لم يكن أمرا يخصك على الإطلاق، كيف إذن تشارك خبراتك وحماسك مع آخرين دون تضليل؟ خدعتي الشخصية هي محاولة التفكير في الأسباب التي تجعل الآخرين قد لا يحبون شيئا أفعله، وعلى الأقل يحذرونه، قد ترغب في محاولة ذلك، ولكن يجب أن أحذرك من السلبيات: البعض سوف يرى نهجك المدروس شكوكًا مضللة أكثر منه أفكاراً دقيقة. التروِّي يوازن بين الأمور، لكن الاقتناع يُرَجِح.

انظر أيضاً

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

١٦ . حظ أفضل .

٤٥ . درس الماضي.

٨١ . لقد جلبت لكم السلام والازدهار .

٢١ - موسيقى المزاج

قوة الإيحاء

هل تفكر فيما نفكر فيه؟

UK Conservative Party 2005 election manifesto slogan

الانتخابات هي الوقت العقلاني للناس الذين يميلون للاعتقاد أن الحجج يعول عليها وأن الآراء يمكن أن تتغير بالنقاش الرشيد. الحجج السليمة لا علاقة لها بنجاح أو فشل الحملات. ويبدو أن ما يهم أكثر هو الانطباع العام الذي يعطيه مختلف المرشحين، وهذا هو السبب في أن كل الأحزاب الرئيسية لها ما يبررها تماماً عندما تهتم بشدة بالشكل.

في الواقع، عندما يرفع حزب سياسي قضيته عن طريق عدم رفع قضية على الإطلاق، ولكن بالتركيز على خلق انطباع، يكون من الصعب تحديد الأخطاء في التفكير. في الواقع أن الحملة الجيدة حقًا سوف تستخدم تفاهات باطلة لا تقبل الجدل، كما كان الحال في حالة المحافظين البريطانيين في ٢٠٠٥ ، انظر إلى بعض شعاراتهم: "ما الخطأ في بعض الانضباط في المدارس؟" لماذا، لا شيء بالطبع. "ليس من العنصرية فرض قيود على الهجرة." بالطبع لا "لماذا لا يمكن أن يكون السياسيون أكثر عرضة للمساءلة؟" سؤال جيد.

تم خوض الانتخابات باستعمال شعارات كانت صحيحة على وجه العموم، والخدعة التي حدثت أنه عندما اختيرت الكلمات والشعارات ووُضعت معا بصورة

صحيحة، تم خلق انطباع عام مختلف عن العناصر الفردية المستخدمة نفسها. كل تعبير، وكل شعار، هو نغمة فردية تساعد على خلق "موسيقى المزاج" فقط إذا عزفت في المكان الصحيح وفي الوقت الصحيح.

العديد من الدوافع لموسيقى المزاج لحملة المحافظين كان واضحًا جدًا وجذابًا، أحد الموضوعات كان الخوف، قال مايكل هوارد في انطلاق بيان حزبه في ويلز، "أريد أن ينظر المجرمون من فوق أكتافهم في خوف، وليس الجمهور الملتزم بالقانون، وأنا أستخدم هذه الكلمة عن عمد – الخوف". كان هذا أسلوبًا ذكيًا. كان هوارد يتكلم عن جعل المجرمين يخافون من القبض عليهم، ومن يقف ضد هذا؟ لكن الخوف ظل موضوعًا يعود إليه مرارًا ، ومن الصعب تجنب استنتاج أن الهدف الحقيقي كان الاستمرار في ضرب تلك النغمة لخلق جو من عدم الأمان بين الناخبين، والانطباع أن المحافظين هم من سيقلِّصه.

لذا كان الكلام عن ضبط الهجرة، والمدارس غير المنضبطة، والمستشفيات غير النظيفة. وإجمالا، كان الانطباع الذي تم إعطاؤه هو أننا يجب أن نكون خائفين، وخائفين جدا، وخصوصًا من الناس المختلفين، مثل الغجر وطالبي اللجوء. لكن البيانات عن هذه الموضوعات بصورة فردية غير ضارة. "ليس من العنصرية فرض قيود على الهجرة." صحيح.

لقد ركزت على حملة المحافظين في ٢٠٠٥، لكن كل الأحزاب السياسية تلعب الآن نفس اللعبة، إنهم يستخدمون ما أعتقد أنها واحدة من أقوى الحيل البلاغية المتاحة، وبالتحديد لأنه لا يمكن دفعها للخطأ في المنطق أو الاستدلالات المراوغة، وحتى من الصعب إثبات أنها قد حدثت؛ لأن كل ما هنالك هو خلق انطباعات، وليس بيانات تم الإدلاء بها، ويمكن الادعاء أن أي شخص يفسر موسيقى المزاج على نحو خاطئ أنه ببساطة قد حصل على انطباع خاطئ. ويمكن الادعاء أن إدراكي يعكس فقط تحاملاتي.

ومع ذلك، فليس سرًا أن المحافظين كانوا يستعملون ما يمكن تسميته تقنية "صفَّارة الكلب": بقول أشياء يمكن أن ترسل رسائل يمكن أن يسمعها الجمهور

المستهدف فقط؛ حيث إن كل هذه الاستراتيجية تعتمد على كونها رسائل ضمنية بالإضافة لكونها واضحة، الادعاء أن بعض الأشياء متضَمنة وهي لم تقل بالفعل ما لا يمكن إنكاره، ومساحة الخلاف تتعلق فقط بماهية الرسائل الضمنية.

وكلما ازداد التسويق تعقيداً، تم النفخ في "صفارات الكلاب" هذه كل الوقت انظر واستمع بعناية، مع ذلك، فقد تستطيع أن تلتقطها.

* * *

ما عدد المنتجات التي اشتريتها لأن لديك سبباً صائباً للاعتقاد أنها الأفضل؟ هل تستطيع القول بأمانة إنك لم تتأثر بالانطباع العام الذي زرعه مسئولو التسويق بعناية؟ انظر حولك في منزلك، وفي خزانة طعامك، وخزانة ملابسك، وحتى في سيارتك. كم مرة تحركت على إيقاع موسيقى مزاج مسئولي التسويق؟

انظر أيضاً :

١٣ . محاكمة الثياب.

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئاً لك؟

٧٠ . لا شيء سوى الحق.

٨٢ . اللسان الحاد لا يعني ذهنا حريصاً.

٢٢ - احترس من جونسون داخلك

عدم الاكتراث بالسياق

سيدي، لماذا لا تجد على الإطلاق رجلا مثقفًا راغبًا في الرحيل عن لندن: لا يا سيدي، عندما يسأم الإنسان من لندن، فهو قد سئم من الحياة؛ لأن هناك في لندن كل ما تستطيع الحياة تقديمه.

Samuel Johnson[٢٧]

ترنيمة المديح هذه التي يقدمها د. جونسون للندن تتكرر دائمًا كما لو كانت حقيقة مستقرة: إن الاعتراف بالسأم من العاصمة البريطانية هو الاعتراف بتهالك الحياة ذاتها، لكن حتى إذا كان ما ادعاه جونسون حقيقة، فهذا يتركنا مع عديد من المشاكل لهؤلاء المعجبين بهذه الحقيقة ليدعموا حبهم للندن العصر الحديث، لعل أكثرها وضوحًا هو أن هذه الملاحظة قد عفا عليها الزمن منذ ٢٠٠ سنة. في ١٨٠١، بعد عشر سنوات من نشر كتاب بوزويل "حياة صمويل جونسون" كان تعداد سكان لندن حوالي ٩٠٠,٠٠٠ ، في ٢٠٠٢ كان العدد ٧,٤ ملايين، لكن على الرغم من وجود كثير من المباني التاريخية، ما كان لجونسون حتى أن يتعرف على لندن اليوم، ناهيك عن أن يكون في أي وضع للحكم على ما إذا كانت هذه هي أفضل مكان للعيش في العالم.

علاوة على ذلك، فإن فحصًا سريعًا لسياق اقتباس جونسون يُظهر أنه لا يعبر عن موافقة عامة للحياة في لندن على الإطلاق، فيتحدث جونسون فقط عن حياة الرجال "المثقفين". بالطبع، المثقف في ذلك الوقت يعني فردًا في الطبقات الوسطى

المستريحة، وبالتأكيد رجل وليس امرأة. والناس خارج هذه الدائرة الحصرية، أذكياء أو لا، مفهوم أنهم يعانون من لندن ليس من قبيل المعاناة من الحياة ولكن بسبب التوق إلى حياة أفضل.

انظر إلى هذا الوصف الذي وضعه ريتشارد شوارتز في كتابه "الحياة اليومية في لندن جونسون" ، "الخيام والأكواخ شائعة، الكثير من الفقراء احتشدوا في منازل مهجورة، عدد كبير من سكان المدينة عاشوا وعملوا على السواء تحت سطح الأرض". [٢٨] حتى في أيام جونسون، كان هناك العديد من الأسباب الوجيهة للمعاناة من لندن.

في هذه الحالة عدم الحساسية للسياق لا اعتراض عليه في العادة. اقتباسات تتخذ حياة خاصة بها ويمكن استخدامها فقط للتعبير عن وجدانيات بطريقة بلاغية خاصة، وأنا شخصيًا قد استخدمت قول ييتس "الأفضل يفتقر إلى الإقناع، بينما الأسوأ مليء بالكثافة العاطفية" خارج السياق للتنويه عن عدم الإقناع. في الحقيقة يتباكى ييتس في القصيدة الأصلية. (وأنا أيضًا عزوتها خطأ وهذا أقل قابلية للعفو.) وبطريقة مماثلة، عندما يعرض الناس كلمات جونسون لا يفعلون في العادة شيئًا أكثر من استعارة بعض الكلمات للتعبير عن مشاعرهم بشكل أفضل من استخدام عباراتهم الخاصة. ومع ذلك، إذا كنا نأخذ شيئًا كحجة، للتبرير وأيضًا للتعبير عما نفكر فيه، إذن فتجاهل السياق ينبغي ألا يغتفر، مثال لافت آخر لهذا النوع من عدم الحساسية للسياق هو زعم ماركس وانجلز، الذي وضعاه في البيان الشيوعي في ١٨٤٨ أن "البروليتاريين ليس لديهم ما يخسروه سوى القيود"، حتى الماركسي المتباه المتمسك بالمبادئ عليه أن يعترف، نظرًا للاختلافات الكبيرة بين ظروف الطبقات العاملة اليوم وقبل ١٥٠ عامًا، أنه إذا كان هذا التأكيد صحيحًا فإنه بحاجة إلى إثبات أنه لا يزال صحيحًا. لا يمكن لأحد أن يزعم أن الادعاء الذي قدم في وقت ومكان تاريخيين محددين يصبح صحيحًا للأبد بمقتضى تكراره على مر السنين.

* * *

معظمنا لديه اقتباسات مفضلّة نحب أن نلوح بها لنبرر ونعرب عن معتقداتنا، لكن متى كانت آخر مرة رجعت فيها إلى مصدر ودققت في ما يقصده المؤلف حقًا؟ جرِّب هذا: فقد تجد أن الأفكار التي اعتقدت أنها واضحة ومستقرة هي في الحقيقة أقل مباشرة وأكثر إثارة للاهتمام.

انظر أيضًا :

٣ . قرود مستكينة تأكل الجبن.

٤٥ . درس الماضي.

٦٨ . الكلب والبراغيث.

٨٤ . همبرجر الهيروين.

٢٣ - النهاية قريبة (ربما)

محاذير خفية

البنتاجون يخبر بوش الآن أن تغير المناخ سوف يدمرنا.

Observer headline[٢٩]

في بريطانيا على الأقل، تتوقع أن تبالغ مانشيتات الصحف في قضيتها قليلاً، لكن في هذا المثال بالذات من ٢٠٠٤، تحولت القصة لتكون درامية بقدر ما توقعت المانشتات. وكما يبدو، حذر تقرير للبنتاجون "أن المدن الأوروبية الكبرى سوف تغرق تحت بحار فائضة بينما تنغمس بريطانيا في جو "سيبيري" بحلول عام ٢٠٢٠".

وفي إطار مصاحب للمقال بعنوان"الحيثيات الرئيسية"، نكتشف أيضًا أنه "بحلول ٢٠٠٧ ستدمر عواصف شرسة الحواجز الساحلية فتعرض أجزاء كبيرة من هولندا لأن تصبح غير صالحة للعيش، ومدن مثل لاهاي ستُهجر".

حسنا، جاءت ٢٠٠٧ وذهبت ولاهاي لا تزال في مكانها، إذن ما الخطأ الذي حدث في البنتاجون؟ لا شيء: لم تكن هذه توقعات مؤكدة على الإطلاق، بل كانت مجرد بعض السيناريوهات المتطرفة التي تم التفكير في أنها قد تحدث كنتيجة لارتفاع حرارة كوكب الأرض. كل المحاذير تم إخمادها حتى أنها أصبحت واقعيًا غير مرئية.

كان يجب على المقال أن يستخدم في الأغلب أشكالاً مشروطة - مثل "ربما" و"قد يحدث" - مع بعض الدلائل عن الكيفية التي يحتمل أن تحدث بها هذه النتائج، لكن بدلاً من ذلك، تمت الكتابة في صيغة المستقبل - "صراع نووي وجفاف ضخم وجوع

وشغب واسع الانتشار سيندلع في العالم كله" - أو في صيغة المضارع البسيط - "شغب وصراع داخلي يمزق الهند وإندونيسيا"، وبصياغتها بهذه الطريقة، تبدو الأحداث الموصوفة توقعات مؤكدة، وليست مجرد احتمالات.

كان هناك عدد قليل منتثر من كلمة "قد"، لكن عدد الأشكال المحددة من الأفعال الدالة تخطى ذلك. بالفعل، تحتاج أن تنظر بدقة لكي تتأكد أن التقرير موضع البحث تعامل فقط مع احتمالات وليس توقعات مؤكدة. وأوضح دليل على هذا جاء في تعليق، وفقا للتقرير، إن "سيناريو كارثيًا وشيكًا لتغير المناخ أمر "وارد". أن تقول إن هذه النتائج كانت واردة يختلف جداً عن قول إنها كانت متوقعة - كلمة استخدمت في أماكن أخرى من هذا المقال - أو حتى محتملة، ومن المؤكد أنه من المضلل وصف السيناريوهات بأنها "نتائج" وهي ليست أكثر من احتمالات واردة الحدوث.

هذا المقال كان مثالا متطرفًا، لكن الفشل غير الملحوظ في تضمين المحاذير والتحفظات المطلوبة للتحقق مما يقال هي أمور شائعة.

في بعض الأحيان، يمكن القول إن وجود تحفظ من عدمه هو فشل أو مجرد حالة من الاقتصاد المقبول في التعبير؛ حيث يمكن بأمان افتراض ما يحذر منه. وعلى سبيل المثال، مقال في صحيفة الجارديان احتوى على جملة، "مايناك تولكو، تناسخ اللاما القوي، هو السفير غير الرسمي للملك التنين للتكنولوجيا الحديثة."٣٠ كان يمكن أن يكون الكلام أكثر دقة عند كتابة شيء مثل "يعتقد أنه تناسخ للاما القوي". لكن يمكن القول إن مثل هذه المحاذير تفترض أننا: كلنا نعلم أن التناسخ من عدمه هو مسألة رأي. في سياق هذا المقال خصوصًا، أعتقد أن غياب المحاذير يساهم في قبول غير قابل للنقاش لمعتقدات البوذيين البوتان، لكن هذا يمكن أن ينظر إليه كمراوغة.

وبين حالة الخط الفاصل لتناسخ اللاما والحالة المتطرفة للكارثة العالمية التي ستبدأ في العام القادم يقع العديد من الحالات تكون المحاذير فيها. إما مفقودة تماماً وإما تم التقليل منها، ونحن ككتاب نحتاج للتأكد من تضمين كل المحاذير الضرورية

لجعل ما نقوله صحيحاً، والذي لا نستطيع افتراض أن القارئ سوف يأخذه من المسلَّمات. وكقراء، نحتاج أن نكون منتبهين أن كثيراً من الكتاب ليسوا على هذه الدرجة من اليقظة، وأن نبحث عن علامات التحفظ المخفية أو الغائبة.

* * *

لعبة "حدد المحاذير" يمكنك أن تلعبها بقراءة أي صحيفة أو مشاهدة أي نشرة أخبار. كل ما تحتاج لعمله هو أن تبحث عن ادعاءات مدهشة، في العناوين عادة ، ثم انظر كم من الوقت يستغرقه شخص ما للكشف عن التحفظات التي تجعلها أقل إدهاشا بعد كل شيء. إذا لم يفعل ذلك أحد، اذهب إلى الإنترنت لمحاولة العثور عليها، إذا كنت لا تزال عاجزاً عن العثور عليها، فتهانينا! فها أنت قد وجدت مثالاً نادراً لقصة مدهشة حقيقية، العبها عدة مرات وستدرك كم هي مخدرة قصص الأخبار.

لا توجد جوائز للكشف عن مثل هذا الفشل في هذا الكتاب، لكنك تستطيع التمتع بالبحث، خصوصاً إذا نجحت في اكتشاف بعضٍ منه.

انظر أيضاً:

٥٣ . آمنة تماماً .

٥٨ . مطبوعة على ورقة خالية من الدهون بنسبة ١٠٠ في المائة .

٧٢ . القاعدة غير موجودة .

٨٥ . الخوف من الفلفل الأسود .

٢٤ - جيد للرجل، والمرأة أيضًا

كذلك أنت

يبرر الأونناجاتا (الممثلون الذكور في مسرح الكابوكي الذين يلعبون الأدوار الأنثوية) احتكارهم الدائم لهذه الأدوار بقولهم إنهم يعتقدون أن المرأة قريبة للغاية من الأنوثة لدرجة أنها لا تدرك جوهرها.

Richard Eyre, theatre and film director[٣١]

بنظرة بعيدة في الأسس المنطقية التي استعملتها الطبقات المهيمنة لتبرير اضطهادها للآخرين، يبدو من اللافت للنظر هشاشة الحجج التي استخدمت في كثير من الأحيان، وما لم نكن على استعداد للقول إن الناس ببساطة كانوا أكثر غباء في ذلك الوقت، فإن أرجح تفسيرٍ لزوال هذه الحجج هو أن الأسباب التي كان الناس يعطونها لتأييد معتقداتهم لا علاقة لها غالبًا بالأسباب الحقيقية التي جعلتهم يتمسكون بها، ويبدو أيضًا أننا جيدون في إقناع أنفسنا بعقلانية معظم تحاملاتنا غير المعقولة.

منطق الأونناجاتا مثال صارخ على الامتياز الذي يُغطّى بطبقة بريق زائفة، وتبريرهم لاستبعاد النساء من مسرح الكابوكي، إذا كان صادقا، يستتبع أيضًا أن الرجال يجب ألا يمثلوا أدوار الرجال، ويبدو أن الاتساق هو أن نطلب من الرجال أن يلعبوا أدوار النساء وأن تلعب النساء أدوار الرجال، وليس أن يلعب الرجال كل الأدوار.

هذا الاعتراض هو تعميم: كذلك أنت. وهو يحدد أي عدد من النقلات الجدلية السيئة التي تظهر أنهم يقدمون انتقادًا أو اعتراضًا وهو ينطبق بنفس القدر على

الشخص الذي يقوم به. في هذه الحالة، السبب الذي يقدمه الأوننجاتا ضد قيام النساء بلعب أدوار النساء ينطبق بنفس القدر على الرجال الذين يلعبون أدوار الرجال.

ومع ذلك، هناك سببان لشرح لماذا لم تكن هذه الحركة قوية بوضوح كما قد تبدو أصلا. أولاً، عدم الاتساق المزعوم الذي تعتمد عليه هذه الحركة قد يتطلب غالبًا بعض التأسيس. في حالة الأوننجاتا، على سبيل المثال، يمكن المجادلة أني لم أوضح بعد أن المبدأ يمكن في الحقيقة أن يتحول ضدهم بحسم. أنا لم أنظر - على سبيل المثال - في إمكانية أن لدى الأوننجاتا أسبابًا وجيهة تدعو إلى الاعتقاد بأن المرأة أقرب للأنوثة من الرجال للذكورة. إذا كانت هذه هي القضية (وأنا أعترف أنه من الصعب رؤية ذلك)، فقد يكون هناك بالفعل سببٌ لعدم قيام النساء بلعب أدوار النساء ولا ينطبق ذلك على الرجال الذين يلعبون أدوار الرجال.

ومع ذلك، فإن حركة "كذلك أنت" ترغمنا - على الأقل - على مواجهة عدم الاتساق الظاهر. الأوننجاتا، إذا كانوا مهتمين بالدفاع عن ممارساتهم بعقلانية، عليهم إما قبول عدم الاتساق وإما شرح لماذا هي غير متسقة بعد كل ذلك. في كلا الاتجاهين، نحن نقترب من لُبِّ الموضوع. هل يعني هذا أنهم مخطئون في قولٍ إن النساء أكثر اقترابا من الأنوثة لدرجة عدم إدراك جوهرها، أم أن هذا يعني ببساطة أنهم على حق، لكنهم يجب أن يقبلوا أيضًا أن الرجال قريبون من الذكورة لدرجة عدم إدراك جوهرها؟

الاختيار هو بين التخلي عن المبدأ الذي يقود إلي عدم الاتساق أو التمسك به وقبول المبادئ الأخرى التي تزيل عدم الاتساق. لا شيء عن "كذلك أنت" يخبرنا أي اختيار عقلاني أكثر.

* * *

في المرة القادمة التي ترد فيها الانتقاد على منتقدك، اسأل نفسك ما إذا كان أي منكما أو كلاكما يجب أن يكون غير مرتاح. على سبيل المثال، إذا قيل لك إن سيارتك تضخ كثيرًا من غاز ثاني أكسيد الكربون وأنت ترد على من اتهمك أنه يضخ نفس

القدر من ثاني أكسيد الكربون في رحلة طيران إجازته السنوية، هل يشعرك هذا بالارتياح أم يظهر ببساطة أن منتقدك يجب أن يتغير أيضًا؟ كون الناس الآخرين ليسوا دائمًا أمناء كما يجب، هل يعطينا العذر في ريائنا؟ وإذا كنا مذنبين في توطيد حجج فاسدة، فهل يجعل هذا منطق الآخرين الفقير أقل خطأ؟

انظر أيضًا :

٤ . ليكن ما يكون .

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئًا لك؟ .

٣٥ . حقنة القهوة الشرجية تقهر السرطان .

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء .

٢٥ - نرفض هذه الحرب الفاشية

مغالطات الديموقراطية

على الرغم من أن غالبية الجمهور كانت دائما ضد الحرب، لم ينعكس هذا من خلال ممثليهم المنتخبين. تصرفت الحكومة بطريقة غير ديموقراطية بوضوح...

Brian Eno, musician[٣٢]

في ٢٠٠٣، شكا الموسيقار دامون آلبارن من حركة الحكومة البريطانية المتصلبة فيما يبدو تجاه الحرب في العراق بقوله: "لا أعتقد أنه قد تم استشارتنا بصورة ديموقراطية"[٣٣] . واستمرت الحرب على أي حال، وبالرجوع إلى الوراء في ٢٠٠٧، قدم بريان إنو نفس الشكوى. قد أكون ساخرا، ولكن عندما يتفق اثنان من مطربي الروك، أتوقع أن هناك خطأ ما.

لكن ألم يكن آلبران وإنو على حق؟ خلال الاستعداد لغزو العراق، أظهرت استطلاعات الرأي أن أغلبية الناس كانت ضد الذهاب للحرب مع العراق؛ لذا أليس صحيحًا أن البدء في حرب في تحد لرغبات الشعب البريطاني كان غير ديموقراطي للغاية؟

هذه الحجة ضعيفة من عدة نواح، ويفترض أنها لا تقوم على "مغالطة الديموقراطية": وجهة النظر التي تعبر عنها الأغلبية دائما صائبة، وسيكون من العبث القول إن المعتقدات تصبح خاطئة أو صائبة على أساس عدد الناس الذي يعتنقونها.

هذه المغالطة الفجة هي بوضوح ليست ما يضعه الناس في الاعتبار عندما يَدَّعون أن تدخل بريطانيا في حرب العراق الثانية غير ديموقراطي، ومع ذلك فإن مجرد

الاعتراف أن الرأي العام يمكن أن يكون خطأ يفضح فورا الضعف في الحجج الأخرى أن الحرب كانت وصمة عار على الديموقراطية.

على سبيل المثال، يمكن للمرء أن يقبل أن الغالبية يمكن أن تكون على خطأ لكنها تصر مع ذلك على أنه في الديموقراطية ينبغي اتباع رأي الأغلبية، سواء للأفضل أو للأسوأ، لكن هذا يخلط الديموقراطية بالأغلبية البسيطة. الديموقراطية نظام للحكم تستقر فيه السلطة العليا في يد الشعب لكن يتم ممارستها من خلال نظام للتمثيل. نظام الأغلبية البسيط، على النقيض من ذلك، هو النظام الذي تتبع فيه الحكومة دائما ما تريده الأغلبية.

معظم الديموقراطيات ليست بالأغلبية، إذا كانت بريطانيا تسير على خط الأغلبية – على سبيل المثال – إذن لكان صيد الثعالب قد أوقف منذ فترة طويلة ولكانت عقوبة الإعدام لم تلغ. وبتعبير آخر، فإن بريطانيا ستكون دولة تقتل كثيرًا من الناس وقليلا من الحيوانات.

الأغلبية ليست النظام المفضل في الغرب، ويرجع ذلك جزئيا لحماية الأقليات، وأيضًا لأن الأغلبية غالبًا ما تكون مخطئة. وبريطانيا – مثل الدول الغربية الأخرى – تسير على نموذج من التمثيل الديموقراطي. في هذا النظام، يتم انتخاب أعضاء البرلمان كممثلين لاتخاذ القرارات باسم ناخبيهم، وليسوا كمندوبين للقيام بكل ما يخبرهم به الناخبون، ويتم محاسبتهم كل أربع إلى خمس سنوات في الانتخابات؛ حيث يتم الحكم على سجل أعمالهم الكامل.

لذا لا يمكن القول إنه غير ديموقراطي للبرلمان أن يتصرف ضد رغبات أغلبية الشعب في أي وقت، هذا الاحتمال بالأخص هو ما يميز الأنظمة الديموقراطية التمثيلية عن أنظمة الأغلبية. البرلمان البريطاني، المنتخب من قبل الشعب، اتخذ قرارا بالذهاب للحرب وسيتم انتخاب أعضاء في ذلك البرلمان أو التصويت ضدهم من قبل الشعب في الانتخابات القادمة، وهذا نموذج للديموقراطية.

الرأي العام، على أية حال، من الصعب تقريره. في فبراير ٢٠٠٣ أظهر استطلاع للرأي أن ٢٩ في المائة فقط من البريطانيين أيدوا الحرب ضد العراق. في منتصف أبريل، عقب سقوط بغداد، ازداد التأييد إلى ٦٣ في المائة. وأظهر استطلاع آخر للرأي أن تأييد الحرب كان أكبر من المعارضة ضدها حتى نوفمبر. المعارضة للحرب أصبحت رأيا مستقرا للجمهور فقط بعد مايو ٢٠٠٤ . ويمكن القول إن هذا يُبيِّن كيف أن تقلب الرأي العام هو سبب جيد آخر للحكومات الديموقراطية الحقيقية أنها لا يمكن ويجب ألا تتبعه.

* * *

كل هذا يثير أسئلة ضخمة جداً عن طبيعة الديموقراطية. إذا قبلنا، كما يجب أن نفعل، أن الديموقراطية ليست مجرد فعل ما يريده الشعب في أي وقت محدد، ما هو الرابط الحقيقي بين قرارات السياسيين والرغبة العامة؟ الانتخابات قد تعطي الشعب الحق للتعبير عن وجهات نظره، لكن بالتأكيد هذا لا يعني أن حكومة منتخبة لها تفويض أن تفعل أي شيء بين الانتخابات؟ ما هو التوازن الصحيح بين حكومات تقود الشعب أو تتبعه؟

انظر أيضاً :

٥ . تحدث عن نفسك .

٥٦ . الواجب الوطني.

٦٧ . كريس.. أنت مجرد سحلية.

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح.

٢٦ - البطة التي فازت باليانصيب

مغالطات ما بعد المرحلة

أخبرنا المالك أنها كانت بطة جالبة للحظ وإذا ربَّت عليها فإنها ستجلب الحظ السعيد في اليانصيب.

Martyn Frost, Sun[٣٤]

عندما قال شريك مارتن فروست له إنهما ربحا حوالي مليون جنيه إسترليني في اليانصيب الوطني، انفجر في البكاء، ما هو سر نجاحهما؟ الشريكان قد لاطفا بطة ورقية محظوظة في مطعم استراحة الصين في وايتفيلد، في مانشستر الكبرى. والمؤكد، أنهما في السحب التالي، قد فازا.

بدا فروست غير مقتنع أن البطة بالفعل سببت حظه السعيد، لكن كثيراً من الناس ينبهرون عندما يفعلون شيئا خرافيا ثم يواتيهم حظ سعيد.

على سبيل المثال، اعتقد سليمان أحمد[٣٥] أن شراء رقم تليفون محظوظ "جلب لي كثيراً من الحظ بدرجة لا تصدق"، والتغيير الوحيد المحدد للحظ والذي ذكر في تقرير الصحيفة عنه كانت "أنه طورد بلا هوادة من قِبَل نساء يائسات للذهاب معه في مواعيد"، لم يتح لأي من أولئك النسوة أن يوجدن للتعقيب، وأكثر الأشياء حظا عن الرقم أن أحمد كان على وشك أن يصبح قادرا على بيعه بمبلغ أكبر وأن "يبدأ في شراء ممتلكات".

فلنفترض أن أحمد قد حظي بالفعل بحظوظ متفاوتة منذ شرائه للرقم، هل يثبت هذا احتواءه على صفات سحرية؟ هل ربح مارتن فروست لليانصيب يثبت أن الطائر

الورقي كان محظوظا؟ كلا في الحالتين. السبب بسيط للغاية، وهؤلاء الذين يعتقدون العكس يرتكبون خطأ عاما معروفًا باسم "مغالطة ما بعد المرحلة".

وإليك كيفية عملها، فكر في جملة شرطية في شكل "إذا س، إذن ص"، مثل "إذا كان هذا رقمًا جالبًا للحظ، إذن فإن امتلاكه سوف يجلب لي الحظ."، الذي سيحدث إذا تمتع أحمد فعلا بالحظ الطيب بعد شراء الرقم أنه سيفكر أن هذا يظهر حقيقة ما في فعل الشرط "إذا": "هذا رقم جالب للحظ"، لكنه لم يحدث، لأنه ليس حقيقياً أنه سيتمتع بالحظ الطيب فقط إذا كان الرقم جالبا للحظ، فقد يكون هناك تفسيرات أخرى. الحظ يوزع بعشوائية، كما يعتقد معظمنا، وفي أي وقت لك فرصة أن تدخل في حظوظ متفاوتة. إذن فالحدوث اللاحق للحظ السعيد لا يثبت أن ما كان قبله هو السبب.

والخطأ يصبح أسهل اكتشافا في أمثلة أخرى، تخيل أننا نشاهد مباراة في كرة القدم وأقول أنا، "إذا حككت رجلي سيكون هناك هدف في الساعة القادمة"، إذا حككت رجلي وجاء هدف فعلا، سيفكر عدد قليل من الناس أن الحك هو سبب إحراز الهدف.

ومن اللافت للنظر، مع ذلك، المدى الذي يقع فيه الناس في هذه المغالطة، فهم سرعان ما يرجعون القوى العارضة للأشياء التي وقعت قبل شيء آخر. كثير من الخرافات تبدأ بهذه الطريقة، يرتدي شخص قبعة للمرة الأولى وفي ذلك اليوم يربح فريقه في كرة القدم، ومنذ ذلك اليوم تصبح قبعته هي الجالبة للحظ.

ويثير الدهشة أيضًا كيف يعمى الناس عن تفسير آخر أكثر وضوحا. أحمد، على سبيل المثال، يصعب وصفه بأنه غير مبال بدينه عندما اشترى الرقم، حيث خصص ٥٠٠٠ جنيه إسترليني للرقم على أساس أهميته الدينية، وعندما قال إن امتلاكه للرقم ساعده "أن يصبح أكثر تركيزا" على دينه، بدا خالطا للسبب والنتيجة، وكونه مقتنعا بحظه بالتأكيد يعطيه ثقة محددة يمكن أن تترجم إلى نجاح أكثر مع النساء و في نواح أخرى في الحياة.

* * *

حالات أرقام التليفونات والحظ قد تبدو هزلية، لكن ما عدد المرات الأخرى التي نرتكب فيها مغالطات ما بعد المرحلة؟ إذا تناولت نوعا معينا من الدواء، تقليديا كان أو أي شيء آخر، فهل يثبت فعلا أن الدواء كان فعالا إذا تحسنت لاحقا؟ هل حقيقة أن شيئا سيئا قد حدث عندما قلت إنه لن يحدث يظهر أنك يجب ألا "تتحدى القدر"؟ وهل حقيقة أن بعض الناس ارتكبوا أمورا وحشية كبرى بعدما أصبحوا متدينين للغاية يظهر أن الدين يقود حتما إلى التطرف؟

انظر أيضًا:

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

٢٠ . الفرقة الغنائية التي بدلت حياتي .

٤١ . المعرفة بأثر رجعي .

٤٣ . مكافحة الجريمة بالموسيقى .

٢٧ - هل ٦ ملايين لا تعني شيئا لك؟

جرم بالتبعية

في هذا الطريق يكمن تحسين النسل، ونحن نعرف من التاريخ الألماني إلى أين يقودنا ذلك، ونحن فعلا على هذا الطريق: لماذا تم إنهاء حياة ٦ ملايين في الأرحام منذ إقرار قانون الإجهاض، واختيار الأجنة على أساس الجنس والجينات؟

Cardinal Cormac Murphy-O'Connor[٣٦]

بمعرفة أن الكاردينال كروماك مورفي- أوكونور كاثوليكي، فلن تكون مفاجأة أن نعرف أنه ضد الإجهاض، لكن يظل هناك بعض الصدمة في سماعه يقارن بين إنهاء حياة جنين وبرامج تحسين النسل النازية، وهو ما قام به في مناسبات عديدة، بل ويثير في الاقتباس السابق مقارنة مع الهولوكوست (المحرقة) بإشارته إلى "حياة ٦ ملايين".

مع ذلك، لم يقدم الكاردينال حججا مقنعة للغاية عن حتمية رؤية نوع من المساواة الأخلاقية بين تحسين النسل والإجهاض (وهي موضوعات منفصلة على أي حال)، والوحشية النازية، ربما لم يكن يحتاج لذلك. بوضع بعض الروابط ببساطة بين الاشتراكية الوطنية والممارسات التي يبغضها، ينجح في تضمين الذنب بالتبعية عن طريق وضع شيئين لا صلة بينهما على أمل أن السمعة السيئة لواحد تلوث الآخر.

نفس الخدعة يمكن أن تطبق على صف مذهل من المعتقدات والممارسات. فالنازيون كانوا حريصين تمامًا على البيئة، والغابات، والتجمعات العامة، وحلقات التدريب الجسدي الإجبارية للحفاظ على اللياقة، إذا اعترضت أنت نفسك على أي من

هذه، إذن تسلل إلى إشارة لسياسة النازي في المرة القادمة التي ترغب فيها أن تحقق انتقاداتك لكمة بلاغية إضافية. وإذا ضايقك شخص نباتي حين تحاول أنت أن تتمتع بشريحة من اللحم المشوي، إذن ذكّر منتقدك فقط أن هتلر كان يتجنب اللحم أيضاً.

المشكلة في الجرم بالتبعية أنه يخفق في إظهار الخطأ الحقيقي في الشيء الذي يتم انتقاده. حقيقة أن بعض الناس السيئين يحبونه أو يساندونه أو يفعلونه، لكنه لا يضيف إلى النقد الموجه ضده. هل يكون الحب سيئا إذا أحب الشيطان؟ هل تُحظر الكتب لأن كتاب "كفاحي" لهتلر كان كتابا؟ هل يجب أن نتوقف عن تدريس التاريخ والجغرافيا لأن هذا ما فعله بول بوت أيضًا؟ كلا بالطبع. لا شيء سيئ أو خطأ ببساطة لأن يد الشر قد لمسته. إذا كان خطأ، فيجب أن يظهر لماذا هو خطأ بدلاً من اللجوء إلى الغمز لجعله يبدو خطأ بالتبعية.

الجرم بالتبعية يمكن أن يتم تضمينه بمهارة أكثر من ذلك، على سبيل المثال، في ٢٠٠٢ انتشر على نطاق واسع أن كلينت استوود قاضَى كاتب سيرة لقوله إنه كان يضرب زوجته، وإنه متهرب من الخدمة العسكرية وملحد. لفت نظري هذا كربط غريب جداً من قبل الصحفيين؛ لم يقل أحد إن الإلحاد كان جريمة يمكن مقارنتها بضرب الزوجة أو الجبن، لكن على الأقل كان هناك شيء مزعزعٌ في الربط العارض بين الثلاثة، هل سيشعر أحد بالإهانة بالربط بين ضرب الزوجة والجبن وكونه يهوديا في نفس الجملة؟ هل سنقبل حقا أن أحدا لم يقترح أن اليهودي شخص سيئ؟

الجرم بالتبعية يعمل لأن على مستوى معين يبدو أننا نتقبل القاعدة التي تقول إنك "ستدان من قبل المجموعة التي تحتفظ بها"، مباشرة أو غير مباشرة، وبالفعل هناك بعض الحكمة في هذا، على الرغم من أن هناك مبالغة في كثير من الأحيان. إذا ثبت أن فكرة أو ممارسة قد ثبت أن لها شعبية بين أنواع بغيضة، فإنها تستحق على الأقل التراجع للوراء والتساؤل إذا كان هناك شيء خطأ بها. الشك بالتبعية، مع ذلك، ليس

هو نفس الشيء مثل الجرم، وحتى الشك يحتاج للتلطيف؛ لكي يحمينا من تحامل غير مبرر.

* * *

متى يكون الشك بالتبعية مناسبا؟ هل من المنطقي أو المعقول أن نسأل لماذا يكون كثير من مدبري حملات البيئة في المملكة المتحدة - مثل جورج مونبيوت (ابن مدرسة توريز البارزة - والمتعلم في أكسفورد)، وجوناثان بوريت(من مدرسة ايتون)، وزاك جولدسميث (إيتون)، والامير شارلز ولورد ملكيت- من الطبقات العليا؟ هل هذا مؤشر على المحافظة العميقة لحركة البيئة أم إنه ليس إلا مجرد حادث اجتماعي فضولي؟ إلى أي مدى يجب أن نسمح بالخلط البحت بين الأخضر والأزرق أن يؤثر في تفكيرنا عن علاقتهما؟ إن القفز إلى النتائج يمكن أن يكون متسرعا، لكن بالتأكيد سيُبنى على تجاهل العلاقة أيضاً؟

انظر أيضًا:

٤٢ . السيدة التي تحتج كثيراً.

٤٩ . هنا تكمن الكارثة.

٦٣ . المستشارون سرقوا أصدقائي.

٨٨ . إذا كان قديم فهو جيد.

٢٨ - اللبن للأبقار

مغالطات جينية

لبن الأبقار يفترض أنه للعجول الصغيرة، وهو ما يساعد على توضيح لماذا أصبح هذا الغذاء سببا رئيسيا لردود الأفعال غير المرغوب فيها للأغذية التي يمكن أن تقود إلى أمور صحية مختلفة مثل احتقان الأنف والجيوب والإكزيما والربو.

Dr John Briffa, Observer Food Monthly[٣٧]

من المضحك أنه كلما انتشر غذاء ما، كلما تعرض للتشهير من المبتدعين الصحيين. القمح ولبن الأبقار والشاي كلها أغذية سيئة، لكن الشعير ولبن الماعز وشاي الأعشاب جيدة، أكاد أشم رائحة فأر هنا، لكنه ليس القارض البلاغي الذي يهمني أمره كثيراً في اتهام بريفا التافه للبن الأبقار. إن خطأه هو القفز إلى نتائج غير مبررة عن الاستعمال الحالي أو طبيعة شيء من حقائق عن أصوله.

في منطق بريفا ساق الدجاجة موجودة لمساعدتها على الوقوف والمشي، هل يعني هذا أننا يجب أن نحذر من أكلها لأنها لم يقصد بها الأكل؟ وماذا عن العسل، وهو غذاء محبب آخر في مجال الأغذية الصحية؟ فهو موجود أساسا للنحل وليس للبشر، وبالنسبة للبيض، حسنا، فالمقصود به أن يكون صغار الدجاج وليس الأومليت، وحتى لو سمحنا لأنفسنا أن نتكلم بحرية عما تعنيه الأشياء في الطبيعة، فمن الواضح أن هذا لا يخبرنا بالقصة الكاملة عن استخداماتها.

النقطة بسيطة وواضحة: حقيقة أن شيئا لم يتطور كغذاء بشري لا يعني أننا يجب

ألا نأكله. في الحقيقة، إذا أكلنا فقط ما يجب أكله بدون لبس، إذن فإننا سنتضور جوعا حتى الموت بمجرد توقفنا عن رضاعة الثدي.

وبشكل أعم، لا شيء عن الطبيعة الحالية لشيء ما يتبع بالضرورة المنطقية الحقائق المتعلقة بأصوله. انظر إلى أن كيفية دراسة أصل الكلمات غالبًا ما تكون مثيرة للاهتمام لكنها غالبًا ما تكون غير متصلة بالاستخدام الحالي. على سبيل المثال كلمة "كريم" تأخذ جذورها من"كَرَم" التي تعني "نبل المحتد". لكن هذا لا يعني أننا عندما نقول إن شخصا ما كريم يتضمن شيئا عن خلفية أسرته. فالكلمات تُغيِّر معانيها مثلما تُغيِّر الأشياء استخداماتها؛ لذا فإن معرفة الاستخدام أو المعنى الأصلي لا يخبرنا بالاستخدام أو المعنى الحالي.

لا يعني هذا القول أن تاريخ تعبير ما يكون غير متصل تمامًا، على سبيل المثال، الماء هو المادة التي دائما ما نسميها "ماء"، والذي يتكون من جزيئين من الأيدروجين وجزء من الأكسجين، وإذا اكتشفنا شيئا آخر له كل مظاهر الماء، لكنه ليس في الحقيقة بنفس التركيب، فلن يكون ماء. "الماء" هو مثال لما أسماه سول كريبك "التسميات المحددة": وهي الكلمات التي لها معان ثابتة لأشياء خاصة أو مواد سميت بها أولا. العودة للأصول لها قوة بلاغية مؤثرة، خصوصا عندما تشير إلى حيث نمت الأفكار أولا. إذا أمكن تتبع أصول فكرة أو ممارسة ما إلى النازية أو العسكرية أو الاستغلال الزراعي أو الإمبريالية، فإنها تصبح في الحال أقل جاذبية لكثيرين، وبالمثل إذا كان لشيء أصول في "الطبيعة"، أو المجتمعات الأصلية، أو حركات العدالة الاجتماعية، فإنه يكتسب في الحال مصداقية بين البعض، لكن على الرغم من أن تاريخ فكرة أو ممارسة ما قد يخبرنا شيئا عن مزاياها حاليا، فإنه ليس من الضروري أن يفعل ذلك. كان النازيون معارضين مبكرين للتدخين، وفي هذا كانوا محقين.

مع ذلك، فالأصول لا ينبغي إهمالها دائما، فنحن نواجه بالعديد من الادعاءات من مصادر مختلفة، وإذا لم نستخدم معلوماتنا عن الموثوقية العامة لهذه المصادر لنقرر

على الأقل أيها نأخذه بجدية، فقد لا يكون لدينا وسيلة للتفريق ، ومن ثم فقد تطغى علينا بسرعة.

لدينا الحق أيضًا عندما نتشكك على الأقل بالنسبة لفكرة ما من حيث مصدرها. إذا قررت أبحاث السوق الحرة أن الأسواق الحرة شيء جيد، فعلى الأقل قد نتساءل عن موضوعية البحث. ومع ذلك، فذلك البحث قد يصمد أو يسقط على أساس موضوعي.

* * *

إجراء مراجعة لمصادرنا العادية للمعلومات وتفحص كيف نقسمها إلى مستويات مناسبة من الثقة يمكن أن يكون تدريبا جديرا بالاهتمام. أي المصادر نثق بها بسهولة، وأيها نرفضها بسرعة؟ تخيل شخصًا ما يراقبك من الخارج: هل يعتبر ردود أفعالك المنعكسة لمصداقية مصادر المعلومات بريئة أم متحاملة؟

انظر ايضا :

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئا لك؟

٣٦ . الاغتصاب والتطور البشري .

٦٥ . أنت السبب .

٨٨ . إذا كان قديمًا فهو جيد .

٢٩ - قتيل، نعم. قاتل، لا

إعادة تعريف عالية

أنا لست سائقا مخمورا: كان مجرد حدث فريد.

Keith Floyd, celebrity chef[٢٨]

لم تغن ماريون في حياتها من قبل قط، ثم حدث أنه في يوم ما في الكاريوكي الذي جرى في حانة، تقدمت بشجاعة إلى المنصة، وغنت بكل عنفوان وتلقت ترحيبا حماسيا من الزحام الذي فقد الإحساس من عدد لا نهائي من طبعات مقلدة لويتني هيوستون. قال لها واحد من الحضور: "لم أكن أعلم أنك مغنية كاريوكي"، ردت ماريون: "أنا لست كذلك، لقد صادف فقط إنه كان مجرد حدث فريد".

كان جوف واحدا من المخمورين المعجبين. وعندما عاد لمنزله ولزوجته التي يكرهها، وجدها في حالة سكر وهي تغني "سيستمر قلبي في طريقه" بنفس الطريقة التي تجعلك تعجب بحسد بالمقدرة الفنية لصوت سيلين ديون. في ثورة الغضب، أمسك بسكين المطبخ وقتلها. وفي المحكمة، قال، "أنا لست قاتلا، لقد صادف فقط أنه كان مجرد حدث فريد".

كم مرة تحتاج أن تفعل شيئا لكي تصنف كفاعل له؟ لكي تكون مغنيا أو كاتبا أو رساما أو ممثلا، على سبيل المثال، يجب أن تكون قد غنيت أو كتبت أو رسمت أو مثلت أكثر من مرة، لكن إذا قتلت أو غزوت أو اكتشفت أو زرت حتى مرة واحدة، فأنت قاتل أو غاز أو مكتشف أو زائر.

تختلف القواعد من نشاط لآخر ولا يمكن أن يكون لها الشكل نفسه تمامًا. انظر إلى معنى أن تكون فائزا، أحيانا فوز واحد يكون كافيا. فريق إنجلترا لكرة القدم هو الفائز بكأس العالم استنادا إلى نصر وحيد يرجع إلى عام ١٩٦٦ . وفي سياقات أخرى، على أية حال، نستعمل تعبير "فائز" لوصف شخص ما يربح بصورة متكررة. غالبًا، سيكون من غير الواضح أي سياق سيطبق.

بالطبع، كثير من الكلام مثل هذا، والمعنى الدقيق للكلمات يمكن أن يختلف، أحيانا نفضل هذا لكي نضع تمويها مناسبا أكثر على الأحداث، وهو بالتأكيد ما حدث في حالة كيث فلويد؛ كان فلويد يقود سيارته بينما مستوى الكحول في دمه أكثر من المسموح بثلاثة أضعاف ونصف، محدثا اصطداما مباشرا في طريق ريفي ضيق، ولحسن الحظ لم يصب أحد بأكثر من جروح خفيفة.

هل يجعل ذلك من فلويد سائقا مخمورا؟ يعتمد ذلك على كون الوصف أكثر شبها "بالقاتل" أو "المغني". لا يعني السياق بعض الحرية في الاستعمال هنا، لكن بالتأكيد، عموما، "السائق المخمور" هو أقرب من "القاتل" (لغويا، وليس أخلاقيا، بالطبع). إذا وُجد شخص ما مذنبا بالقيادة تحت تأثير الخمر مرة واحدة فقط، فإنه يوصف بأنه "سائق مخمور مذنب".

ومع ذلك – برغم اعترافه بشعوره "بالخجل" و"الخزي"– كان فلويد معارضا لرؤية نفسه كسائق مخمور. وهكذا حول معنى التعبير ليصبح أضيق. ضيقًا جداً، في الحقيقة، حتى أنه لم يعد منطبقا عليه.

هذه الحركة تسمى "إعادة تعريف عالية"، وهي طريقة شائعة لجعل الإنكار المُصدَّق ممكنا. ربما يكون أكثر مثل دارج هو عندما ينكر الناس خداعهم لأي شخص. في العادة، فإنهم يفعلون ذلك بالتركيز على مطلب أن الخداع يتطلب النية، ثم تُعرَّف النية بصورة ضيقة حتى أنه في حالة إمكانية رؤية سوء الفهم وهو يظهر وعدم قيام الشخص بفعل أي شخص لمنعه، يتم إنكار الخداع لأنه لم يمكن الغرض الواضح والمحدد والوحيد للشخص المتهم.

إعادة التعريف العالية تكون مبررة عندما يكون هناك حاجة أن تكون منقحا في اللغة والتنقيح علنيًا، على سبيل المثال، يمكن المجادلة أن تعبير "فيلسوف" أصبح واسع الاستعمال تدريجيا، بصرف النظر عن نوعية الفلسفة الأصلية؛ لذا هل يجب أن نحاول القيام بإعادة تعريف إصلاحية على مستوى عال، وخلال هذه العملية يتم سلبي الحق في هذه التسمية؟ إعادة التعريف العالية قد تكون حركة بلاغية متسللة، لكن في بعض الأحيان نحتاج الكثير منها.

* * *

إن قائمة الكلمات والجمل المرشحة لإعادة تعريف عالية مبررة طويلة بالفعل. سأقترح "شرب الخمر الصحي"، و"نجم المسرح والسينما"، و"مؤلف أفضل مبيعات"، و"الأزمة"، و"عناصر الجودة"، و"تليفزيون يجب أن تشاهده"، و"قراءات ضرورية" كبداية. ربما كان الأسوأ هو لقب "شهير"، كما في لافتات مثل "مشوياتنا الشهيرة ليوم الأحد" المنتصبة خارج الحانات المغمورة. ماذا سيكون في قائمتك؟

أنظر أيضًا :

٧ . لأني أقول هذا .

١٤ . أعجوبة الوخز بالألوان .

٧٤ . الجميع مخنثون .

٩٩ . الشيء الحقيقي .

٣٠ - عزيزي القارئ الحكيم .

التملق

انظروا، أنا أثق في الشعب الأمريكي، الأمريكيون رائعون، مواطنون عظماء. يتعين علينا أن نثق في الناس بخياراتهم الخاصة في الحياة.

George W. Bush[٣٩]

"أثق بالشعب البريطاني، وأثق في دوقه" ليم هيج : زعيم حزب المحافظين[٤٠]

في ١٩٣٧، صدر واحد من أعظم الكتب مبيعا في كل العصور يختص بتحسين الذات: "كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس" وباع أكثر من ١٥ مليون نسخة، وهو الآن أحد أكثر العناوين المعترف بها في العالم.

الكتاب لا علاقة له ببناء حجج سليمة، لكن مع ذلك، ربما ينبغي على فلاسفة أكثر أن يقرءوه، وإذا فعلوا فقد يدركون سبب عدم وجود أثر ملحوظ لهم في العالم الأوسع. أحد الأساليب الأساسية للتعامل مع الناس والتي يقترحها المؤلف ديل كارنيجي كانت "لا تنتقد ولا تدين ولا تشكو".الفلسفة بدون نقد مثل اصطياد غزال بدون بندقية؛ لذا، إذا أردت أن يحبك الناس، فتجنب المناقشات الفلسفية القوية.

والنصيحة الجوهرية الثانية كانت "أعط الناس إحساسا بالأهمية". وبتعبير آخر، تملقهم. قد يبدو التعبير فجا، لكن يبدو أنه فعال، ما دام التملق غير ظاهر الزيف. (إذا بدا الكلام زائفا قليلا، فمن المحتمل أن تحصل على فائدة الشك.) يظهر هذا في أكثر أشكاله عبثية في فرق الغناء، عندما تظهر الفرقة سعادتها بصفة خاصة للقيام بالعزف في مدينتك، مثال واحد يضحكني دائما هو استقبال الجمهور الحماسي لإريك بلوم في

ألبوم حفل طائفة المحارة الزرقاء، عندما يقول: "نحن نحب الحضور من مدينة نيويورك إلى هنا لأننا نعرف أن مدينة بوكيبسي تهتم بالروك أند رول!" وحصل هذا على تصفيق حاد. لكن انتبه، فربما كان صادقا: عندما قام ذلك المغني الذي اعتاد ملء مدرجات الاستادات بالغناء في مكان أكثر تواضعا في مسقط رأسي مدينة فولكستون، قال: "لم نعزف هنا من قبل. لا أعرف لماذا،" بنبرة توحي أنه يعرف جيدا.

مع هذا، مثل هذا التملق ليس مقصوراً على الثقافة المتدنية. غالبًا ما يقول المؤلفون في مهرجانات الكتب أشياء شبيهة لجمهورهم، وأنا لا أستطيع تصديق أنهم كلهم صادقون تمامًا (ما عداي بالطبع). ويلعب السياسيون أيضًا بورقة التملق، وأكثر الحيل شيوعا وخصوصًا التي يستعملها المحافظون، هو أننا نثق بك بينما لا يفعل الآخرون ذلك. والرسالة الفجة هي، هل تفضل حكومة تعتقد أنك أحمق من أن تتخذ خيارات حياتية هامة لنفسك أم أنك تريد حكومة تقدر حكمتك وذكاءك؟ أنا أعرف أي واحدة سأختار.

لكن في أكثر الأحيان، يكون هذا الكلام فارغا. الثقة التي تكون لدى الحكومات المحافظة في الناس اختيارية إلى حد بعيد. صَوَّت بوش لصالح تشريعات تسمح بأبحاث الخلايا الجذعية، وهي لا تظهر قدرا كبيرا من الثقة في العلماء والأطباء أن يتخذوا خيارات أخلاقية. كما سحب أمريكا من صندوق الأمم المتحدة للسكان، وهو لا يثق في أن يقرر الناس خياراتهم الخاصة في الموضوعات الإنجابية، وهو أيضًا الذي وقَّع على قانون التسرب من التعليم، الذي كان أكثر، وليس أقل، فرضا لما تعلمه المدارس وكيف تحقق ذلك. مهما كانت مزايا هذه القرارات، فهي لا تتفق مع القصة البسيطة التي يحب أن يرويها عن ثقته بالناس بينما لا يفعل ذلك الديموقراطيون.

ولا يختلف المحافظون البريطانيون عن ذلك. فهم يفضلون نظامًا ضريبيًا يشجع الزواج، ولا يثقون بالناس أن يتخذوا قراراتهم لأسباب شخصية في أن يتزوجوا أو لا. وأدخلوا أيضًا منهجًا وطنيًا للمدارس، يعطي سلطة أكبر لإدارات التعليم في

وستمنستر عن المدارس المحلية. مرة أخرى، لا تتحقق الرسالة البسيطة "نحن نثق بكم أكثر".

على الرغم من أن التملق حيلة رخيصة تنجح غالبًا، يوجد البعض الذين يفكرون في أن كون الشخص غير تافه، ومن النوع العقلاني يعني أنه يجب أن يتجنب أي محاولات للكياسة على الإطلاق، فقط قل ما تقصده واقصد ما تقول، وغير ذلك مجرد هراء.

لكن بعض أساليب كارنيجي تخدم السعي للحقيقة كما تفعل في السعي للمحاباة، فهو ينصح، "إذا كنت مخطئا، اعترف بالخطأ بسرعة وبشكل قاطع." ربما أكثر أهمية، "حاول أن ترى الأشياء بصدق من وجهة نظر الشخص الآخر." هذا ليس فقط لطيفا، بل ضروريًا إذا أردت حقا أن تصل إلى نتيجة في مناقشة. وبينما يكون حقيقيا أن نحذَر الناس الذين يكونون لطفاء نحونا لتحقيق مآرب دنيئة، فهذا لا يعني أن عدم اللطف هو السمة المميزة للمثقفين المتزمتين.

* * *

إليك مشروعًا يمكن أن يحققه شخص ما (إذا تم هذا بالفعل، أرجوك أن تعلمني)، في أي انتخابات قَيِّم خطب كل مرشح حسب عدد المرات التي يتملق فيها ناخبيه، لن تكون النتائج مثيرة فقط في حد ذاتها، بل سيكون رائعا رؤية كيف وما إذا كانت مرتبطة بالنجاح. يمكننا جميعا محاولة صنع نسخة مصغرة من هذا: فقط استمع إلى التملق في الخطب السياسية وحلقات الاستجواب في الراديو والتليفزيون، الشيء المحبط هو أنها عادة ما تحصل على التصفيق.

انظر أيضًا :

٥٠ . كلمات لاذعة.

٥٦ . الواجب الوطني.

٧٢ . القاعدة غير موجودة.

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح.

٣١ - أبـي يقـول
حجـج من المرجعـية

نتيـجة لعمل الفلاسفة المسيحـيين، مثل ألفن بلانتنجا، تم الاعتـراف على نطاق واسع بأن المشكلة الداخلية للشر فاشلة كحجة للإلحاد.

William Lane Craig, theologian[٤١]

عندمـا كنا أطفـالا، تحدثنا كـأطفـال، وفـهـمنا كـأطفـال، وفكرنا كـأطفـال، وعندمـا أصبحنا بالغين، تظاهرنا أننا نضع جانبا الأشياء الطفولية. في ملاعب المدارس في كل الدنيا، نرى في نقائهم وأكثر أشكالهم الأصلية، نماذج للأفكار والتصرفات التي تستمر طوال الحياة. لاحظ، على سبيل المثال، هذا التراشق النموذجي:

"يقول أبي إن التويوتا أفضل كثيراً من الفولفو".

"حسنا، أبوك أحمق".

من النادر عند البالغين أن يتم الإشارة إلى الأب كمرجعية في النزاع، لكن الأكثر ندرة هو الشخص الذي لا يشير إلى المرجعيات على الإطلاق. مثلما يأخذ الصغار غالباً آراء الوالدين كأحكام نهائية في الخلافات، يحتكم البالغون أحيانا إلى آراء الذين يعجبون بهم، كما لو أن هذا يفصل في الأمر بصورة ما، لكنه بالطبع لا يفعل.

لا يمكن لأحد أن يخطئ فيأخذ اللاهوتي الجاد وليام لين كريج كشاب مزعج، لكنه لم يتحرج من تسوية نزاع باقتباس سريع لرأي خبير. في "دليل كمبريدج إلى الفلسفة"، يرفض كريج ما يطلق عليه مشكلة الشر الداخلية ببساطة عن طريق إخبارنا

أنه "تم الاعتراف على نطاق واسع" أنها تفشل في عدم إثبات وجود الله، ولقد اقترب كثيراً من القول إن ذلك حقيقة لأن ألفين بلانتنجا قاله.

حتى إذا كان كريج على صواب، فهذه ليست حجة على الإطلاق للتذرع ببساطة بمرجعية مازالت تعمل حتى اليوم لمن يعد ربما أفضل فيلسوف مسيحيٍ، ولا هو دفاع معقول منه في هذه الحالة بالقول إن وظيفته كانت مجرد إقرار الموافقة، التماسه للمرجعية ظهر في كتاب أخذ بصفة عامة وقتا لشرح الحجج، وإن كان في بعض الأحيان في شكل تلغرافي.

بالتأكيد، مع ذلك، هناك فرق بين قول "لأن بلانتنجا وأنوار قيادية أخرى يقولون ذلك" و "لأن أبي يقول ذلك"؟ أليس من الضروري أحيانا الانحناء أمام الناس الذين يعرفون عن موضوع أكثر مما تعرف أنت؟

نعم، مع التحفظ. ينبغي أن نلجأ للاعتماد على المرجعيات فقط عندما نكون غير قادرين على إقامة حجة؛ لذا بهذا المعنى تصبح "حجة من المرجعية" تسمية خاطئة، فهي في الحقيقة تستخدم المرجعية بدلاً من الحجة.

ما الذي يهم إذن عندما تكون غير قادر حقيقة أن تتابع حجة؟ أحيانا يكون الأمر نقصا أساسيا في القدرة. إذا وجدت الرياضيات صعبة، إذن فحتى إذا استطاع عالم رياضيات أن يشرح لماذا تم حل آخر نظريات فرمات، فلن تكون قادرا على فهمها؛ لذا إذا كنت في حاجة لتقرير ما إذا كانت قد حُلت أم لا، فلن تستطيع أن تفعل أكثر من أن تنظر إلى ما يقوله الشهود المتخصصون.

في مناسبات أخرى تكون عدم قدرتنا على الفهم نتيجة لنقص الوقت، إما لأننا لا نملك دقائق حرة كافية لقراءة أو سماع تفسير كامل، وإما لأننا لا نملك السنين المطلوبة لدراسة الموضوع بصورة كافية لنفهمه حقيقة. مرة أخرى، في هذه الظروف، تكون شهادة الخبراء هي أفضل ما نلجأ اليه.

في كلتا الحالتين، مع ذلك، الاعتماد على الخبراء شر لا بد منه، وعموما تمرير المسئولية لآخرين، ونحن نتحدث على المستوى الفكري، هو ما ينبغي تجنبه.

* * *

ليس واضحًا دائما ما إذا كنا نفهم بما يكفي لتقييم الأدلة بأنفسنا، أو ما إذا كان ينبغي علينا أن نثق بالآخرين. الاحتباس الحراري في كوكب الأرض نموذج جيد: كل الأكاديميات الوطنية للعلوم في الدول الصناعية الكبرى تتفق في أن ارتفاع حرارة الكوكب حقيقة تسبب فيها النشاط الإنساني بصفة أساسية، ومع ذلك لا يزال كثير من الناس غير الخبراء يعتقدون أنهم يفهمون ما فيه الكفاية عن الموضوع ليروا أن هناك شكوكا خطيرة عن صواب هذه النتائج. عندما يكون هناك مثل هذا الصراع بين رأي مجموع الخبراء وما يقوله مثقفونا، كيف نختار؟ هل من العجرفة أن ننكر رأي خبراء كثيرين، أم أنه تنصل من المسئولية يسمح بنقض فكر أي شخص آخر؟

انظر أيضًا :

٥٠ . كلمات لاذعة .

٦٦ . اثبت نفسك .

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٨٨ . إذا كان قديمًا فهو جيد.

٣٢ - قراءة بين السطور

"إنها تبعث برسائل خاطئة"

إتاحة حبوب منع الحمل لجميع الفتيات فوق سن السادسة عشرة على هذا النحو يبعث برسالة خاطئة بشأن الحاجة إلى نشاط جنسي مسئول. ذلك لا يمكن إلا أن يزيد من مخاطر تفاقم الوباء الحالي من الأمراض المنتقلة بالاتصال الجنسي.

Dr Liam Fox, Shadow health secretary[٤٢]

المملكة المتحدة تملك واحدا من أعلى المعدلات في أوروبا من حمل المراهقات غير المرغوب فيه والوالدين المراهقين. بالطبع، إذا توقف اللاعبين الصغار عن ممارسة الجنس، فهذا من شأنه أن يوقف سريعا هذه الحالة. ومع ذلك، فتشجيع التعفف مثير للمشاكل الأخلاقية (ليس أقلها أن معظم البالغين لا يعارضون الجنس خارج نطاق الزواج لأنفسهم) وغير فعال أيضاً.

أظهرت دراسة لجامعة أكسفورد أن برامج التعفف في الولايات المتحدة – مثل الشيء المسمى الخاتم الفضي – لا تأثير لها على معدلات الأمراض المنتقلة جنسيا أو الجنس غير الآمن.[٤٣] ودراسة أخرى، نشرت في مجلة صحة البالغين، أوضحت أن الأولاد الذين تعهدوا بالتعفف كانوا أربع مرات أكثر عرضة للانجذاب للجنس الشرجي أكثر من أولئك الذين لم يتعهدوا.[٤٤]

هناك بديلان أن تنشر رسالة أنك إذا مارست الجنس، فيجب أن يكون "آمنا" (بدون إعطاء انطباع خاطئ أنه سيكون بذلك خاليا من المخاطر)، وأن توفر حصول

سهل على حبوب منع الحمل لأولئك الذين يمتنعون عن استخدام الواقي الذكري أو الذين يفشل معهم هذا الواقي. هذا الإجراء الأخير كان هو ما اقترحته حكومة المملكة المتحدة، التي أرادت "منع الحمل في الحالات الطارئة" ليكون متاحا للبنات فوق سن الستة عشر بدون وصفة طبية أو إذن من الوالدين، وتم الترحيب بذلك على نطاق واسع بين المهتمين بتنظيم الأسرة والأطباء.

"مؤيدو الأسرة" وجماعات مناهضة الإجهاض لم ترحب بذلك، بالطبع. إذا كنت حقا تؤمن أن حبوب منع الحمل تسبب الإجهاض، والإجهاض (قاتل)، فأنت بالطبع لن تريد أن يتغاضى المجتمع عن أي من الممارستين، لكن كانت هناك حجة واحدة، أثارها ليام فوكس المتحدث باسم صحة المحافظين، ولم تبد حقيقية، فقد ادعى أن هذا الإجراء سوف "يبعث برسالة خاطئة".

هذه الحجة تستخدم غالبًا عندما تُقترح قوانين متحررة، وسمعناها كثيراً عندما تم إعادة تصنيف الحشيش من الفئة ب للفئة ج الأقل خطورة، فقيل إن هذا سيبعث برسالة أن الحشيش آمن، وهو ليس كذلك في الحقيقة.

واضح أن هذه لم تكن الرسالة الرسمية، كل ما فعلته إعادة تصنيف الحشيش علنيا إعلام الجمهور أن السلطات تعتقد أن القنب ليس بمثل خطورة الأمفيتامينات، لكنه في نفس الفئة الواسعة من المخاطر مثل الكيتامين والجي اتش بي. يستطيع الناس قراءة الكثير بين السطور إذا رغبوا، لكن لا شيء مكتوب هناك.

بالمثل، لا يحتاج الأمر بعث رسائل بجعل الوصول إلى حبوب منع الحمل سهلا، عدا أن المجتمع يعتقد بصورة جماعية أنها وسيلة مقبولة أخلاقيا للمساعدة في التعامل مع حالات الحمل غير المرغوب فيه. لماذا يتم النظر إلى الرسالة على أنها " أيها الصغار لا بأس بالجنس الخطر " بينما يمكن أن تكون ببساطة "لقد قررنا أن نمد مزيداً من المساعدات للبلهاء الذين لا يلعبون في المضمون في أول مرة"؟ إذا كنت تعتقد

أن الناس عرضة لاستخلاص النتائج الخاطئة من مثل هذا القانون، يمكنك دائما أن ترسل رسالة علنية لمجابهة ذلك، ذلك ما كان يجب أن يحدث مع إعادة تصنيف الحشيش. بعد سنتين من التغيير قرر وزير الداخلية شارلز كلارك أنه يجب أن تكون هناك حملة دعائية لتحذير الناس من المخاطر، لكنه رفض أن يرجع في تصنيف المخدر، ويبدو من هذا الإقرار أنه على الرغم من أن هذا التغيير كان على حق، فإن الناس قرأت الرسالة الخاطئة فيه. ومع ذلك، لا يحتاج الأمران بالضرورة أن يكونا معا.

أحيانا تكون القوانين مجرد بعث رسائل، من الأمثلة الشهيرة الفصل ٢٨، جزء من تشريعات المملكة المتحدة التي سنت في ١٩٨٦ بواسطة المحافظين واستبدلت في ٢٠٠٣ (٢٠٠٠ في اسكوتلندا). حظر القانون ترويج السلطات المحلية للمثلية الجنسية، ولم ينجح الادعاء العام في إدراج أي حالة تحت حكم ذلك القانون، لكن هذه النقطة لم تكن هى المهمة: فقد كان الموضوع أساسًا عن الرمز، "بعث رسالة" أن المجالس لا ينبغي أن تكون مؤيدة لحقوق المثليين، إلغاء التعديل بذلك أصبح رمزا لهذا الرفض المزعوم للمثلية الجنسية.

لذا بالرغم من الادعاء غالبًا أن الإجراءات تبعث برسائل لا تحتاج اليها، أحيانا يكون بيت القصيد من الفعل السياسي رمزيًا. وعندما يعترض شخص أن شيئا يبعث برسالة خاطئة؛ لذا نحتاج أن نسأل أولا ما إذا كانت الرسالة قد أرسلت على الإطلاق، وعندئذ فقط ننظر ما إذا كان ينبغي أن تتغير.

* * *

كثير من التصرفات تبعث برسائل، أحببنا هذا أم لا، لكن الناس لا يتفقون على ماهية هذه الرسائل، هل الآباء الذين يتركون أطفالهم المراهقين يدخنون بالمنزل يرسلون رسالة أنهم لا يستطيعون إيقاف ما سوف يفعله أطفالهم وسيحترمونهم حتى

إذا كانوا لا يوافقون على ما يفعلونه، أم أنهم لا يشعرون بدرجة كافية بسلوكهم المدمر للذات؟ هل الاستمرار في مد يد العون للقريب العابث يبعث برسالة إيجابية بالدعم غير المحدود، أم أنه علامة على أن القرابة لن تتحمل أبدا كامل المسئولية عن أفعاله؟

انظر أيضًا :

١٢ . إسلاموفوبيا .

١٣ . محاكمة الثياب .

٧٠ . لا شيء سوى الحق .

٨٩ . ميثاق مسترق النظر .

٣٣ - المعتدلون لا يتقدمون

التحوير لتحقيق التوازن

منذ بعض الوقت، ومنظمة أوكسفام والمعونة المسيحية قد أعطيتا فرصة للمانحين لتقديم هبة لرعاية حيوان مزرعة في العالم النامي(...) ولا يعتقد كل الناس أن هذه فكرة جيدة تمامًا: أندرو تيلر مدير المعونة الحيوانية هو واحد من هؤلاء، وجين مويو المتحدثة باسم معونة العمل.

James k, Naughtie, Today programme(٤٥)

أحيانا يتصل بي معد لبرنامج إذاعي أو تليفزيوني كمساهم محتمل لنوع ما من المناقشة الموضوعية، وغالبًا ما لا ينتج شيء من المناقشة الأولية، لكن في أكثر من مناسبة يتركني - بسبب عدم ملاءمتي قلقا - وكما قال أحد المعدين صراحة وضمّنها آخرون، إني لست متطرفا في وجهات نظري.

أيقظني هذا لحقيقة أنه في كثير من الأحيان التوازن في النقاش يعني ، أولا، أن تعطي لطرفي الجدال فرصة متكافئة لعرض وجهتي نظرهما، وثانيا، تقديم كلا الجانبين في أكثر جوانبهما حدة، لكن هل يقدم هذا فعلا صورة متوازنة؟

بالطبع هي كذلك في أحد معانيها: هناك توازن لأن هناك رأيين متساويين ومتعارضين، لكن فكرة تحقيق التوازن بالتأكيد قيام مناقشة عادلة، وأنا لست متأكدا أن هذا النهج يحقق ذلك الهدف.

أحيانا لا تكون الموضوعات متصارعة كما يوحي هذا النهج، الرأي العلمي نادرا ما يقسم بنسبة ٥٠ - ٥٠، لكن النوع العادي من المناقشات المتوازنة يمكن أن يعطي انطباعات زائفة أنه كذلك.

في مناسبات أخرى، تتشوه الحقيقة بوجود طرفين مع وجهتي نظر مستقطبتين، وثابتتين لدراسة الموضوع، في بعض الأحيان يجب القيام بذلك، لإثارة النقاش المتحدي، لكن في المثال المأخوذ من برنامج "اليوم" لا يسعني إلا أن أفكر في أن اختيارهم للضيوف يجب ألا يكون الأكثر وهجا. المعونة الحيوانية ليست حريصة على استعمال الحيوانات لغايات بشرية على الإطلاق. لا توجد جوائز، إذن، للتخمين على المواقف التي يتخذها ممثلوها للتدليل على أخلاقية رعاية حيوانات المزرعة في العالم النامي.

المشكلة هي أن معظم الموضوعات واضحة بالفعل فقط لهؤلاء الذين يقفون على طرفي نقيض من الاختلاف، تماماً مثل المشاركين في البرامج، كثيرون آخرون قد يحصلون على الكثير من نقاش يتناول تعقيدات موضوع ما بدلاً من مجرد التبادل البسيط بين وجهتي نظر مختلفتين بشدة.

إن عرض مناقشة من منطلق أقوى القضيتين التي يمكن تقديمهما من أي من الجانبين هو أمر خطير بشكل خاص في القضايا بالغة الحساسية، مثل القرار الذي اتخذه مسرح برمنجهام لإلغاء عروض لمسرحية بهشتي Behzti بسبب احتجاجات عنيفة قام بها السيخ الذين وجدوا أن مشاهد الاغتصاب في معبد مهينة.

هذا ما تحدث عنه في برنامج "اليوم" كل من إيفان هاريس من الجمعية الوطنية العلمانية دكتور جاسدف راي، مدير مجموعة حقوق الإنسان السيخية. ٤٦ ومرة أخرى، لم تأت المواقف المتخذة ولا الحجج المساندة لها مفاجئة، فتقديم المجادلة كصدام بين أصوليات فاقم الشعور بوجود فجوة هائلة بين طائفة السيخ والأغلبية، مع ذلك، واقعيا، فقد يتفق معظم الناس في المعسكرين بدرجة كبيرة، والتمويه على ذلك يمكن أن يزيد التوتر بين وداخل المجتمعات.

برنامج "اليوم" ليس الفاعل الرئيسي في هذا الصدد، إذ يمكن القول إن الأمثلة

التي اخترتها مجرد جزء من خليط يُسمع فيه أصوات مستقلة أخرى، لكن في الإعلام بصفة عامة، صيغة اجتذاب وجهتي نظر متساويتين ومتعارضتين هي المتبعة دائما، والتأثير المتراكم لكل هذه المناقشات هو تقديم صورة لمجتمع تسيطر عليه الصراعات ومليء بالفجوات الكبيرة، مع ترك التوافق والأرضيات الوسطية والمعتدلة، والتي تحتلها الأغلبية، غير ممثلة؛ لذا فإن السعي لتحقيق التوازن لا يعكس في الواقع التوازن الحقيقي للآراء المطروحة.

وبالطبع لن يتحسن الوضع كثيراً، إذا ذهبنا بعيدا للناحية الأخري وأجرينا كل المناقشات بين معتدلين فقط، فالوصول للتعادل الصحيح بين المتناقشين لتحقيق التوازن ليس سهلا.

* * *

عندما تنظر إلى كيفية تقديم المناقشات في وسائل الإعلام التي تتعامل معها، هل تعتقد أنها قريبة بدرجة ما من تحقيق التوازن الصحيح؟ حاول أن تستمع أو أن تشاهد برنامجك الإخباري المفضل وأن تهتم أكثر بمن يعلق لديهم. ما عدد مرات محاولات التوازن التي تم فيها تقديم رأيٍ دقيقٍ، وكيف يشوه ذلك الواقع بالفعل؟

انظر أيضاً :

١٤ . أعجوبة الوخز بالألوان .

٨٠ . توازن المراوغة .

٨٧ . إذا لم يكن الكل سيئا فيجب أن يكون الكل جيداً .

٩٨ . كثير من اللاشيء لا يكفي .

٣٤ - لو كنت أعلم

الترشيد بعد معرفة الحقيقة

لو كنت قد عرفت وقتها ما أعرفه الآن، لما كنت قد استطعت التصويت لذلك التحرك.

Michael Howard, leader of the Conservative Party(٤٧)

لو عرفت هذا في ذلك الوقت، لما كنت قد صوتت لهذه الحرب.

Senator John Edwards(٤٨)

لو عرفت وقتذاك ما أعرفه الآن، لما صوتت بتلك الطريقة.

Harriet Harman, deputy leader of the Labour Party(٤٩)

ساند كثير من السياسيين والمعلقين قرار غزو العراق في ٢٠٠٣ ، ثم ندم كثير منهم على ذلك الاختيار، سار الغزو على ما يرام بما يكفي، لكن عاقبته أصبحت صراعا دمويا طويلا بعد ذلك، وبنظرة للوراء بالنسبة للكثيرين، يبدو أنهم راهنوا على الحصان الخطأ.

من الصعب الاعتراف بالخطأ في موضوع كبير، ويظل من الأصعب الاستمرار في القول بالصواب عندما تكون التكلفة في الأرواح البشرية عالية؛ لذا فمن المفهوم أن كثيرين حاولوا التراجع، ولحسن الحظ بالنسبة لهم، فقد اتيح لهم طريق للخروج؛ فقد تبين أن تقارير المخابرات التي أوحت بأن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل كانت خاطئة تماماً، وهذا يعني أن أمثال جون إدواردز وهارييت هارمان ومايكل هاوارد بات

بإمكانهم الآن قول إنهم ما كان لهم أن يساندوا غزو العراق إذا كانت قد أتيحت لهم معلومات صحيحة، لقد كانوا مُضَلَّلين، وهكذا، على الرغم من مساندتهم لمغامرة عسكرية مُضَلَّلة، فأنت لا تستطيع لومهم على ذلك.

مشكلة واحدة مع هذا النوع من التاريخ المضاد للحقائق وهى ببساطة عدم وجود وسيلة لمعرفة صحة الافتراض المطلوب، فالأمر ليس مجرد أننا لا نستطيع أن نعرف إن كان الناس يقولون الحقيقة أو لا. ففي حالة صدقهم، معظم الناس الذين يقولون إنه كان عليهم أن يفعلوا العكس لايستطيعون في الحقيقة معرفة إن كان هذا هو الحال. يمكن أن يحكم علينا فقط بما نفعله فعلا، وليس بما نقول إن علينا أن نفعله.

هذه الافتراضات غير المثبتة غالبًا ما تكون وهمية؛ لأنها تُرَشِّد الأخطاء بعد معرفة الحقيقة بدلاً من الحسابات الحقيقية لما كان علينا أن نفعله، الترشيد بعد معرفة الحقيقة هو وسيلة لإعطاء معنى لما قد حدث، بعد وقوع الحدث الذي أعطى وصفا خاطئا لما تم فعلا، وهي أمور شائعة جداً في التقارير الرياضية، حيث يُقلل غالبًا من دور الفرصة، ويُرفع قدر عوامل أخرى أقل عشوائية في تفسير النتائج، على سبيل المثال، في نهائي دوري أبطال أوربا لكرة القدم ١٩٩٩ بين مانشستر يونايتد وبايرن ميونخ تأخر الفريق البريطاني ١-صفر طوال المباراة تقريبا، لكن بشكل ملحوظ سجل الفريق البريطاني هدفين في ثلاث دقائق في الوقت الإضافي وفاز بالكأس، كانت ردة فعل المعلق تيلدسلي على أول هذه الأهداف مع التعجب "اسم على الكأس!" وبالفعل، تكلمت تقارير ما بعد المباراة عن فوز اليونايتد كما لو كان حتميا، بينما اعتمد في الحقيقة على مزيج من التصميم والحظ.

في الحالة الأخطر للتصويت لصالح الحرب في العراق، كان من المستحيل قول إن أيًا من إدواردز وهارمان و هاوارد، كان متورطا في الترشيد بعد معرفة الحقيقة، لكن بالتأكيد على الأقل بعض من الآخرين الذين ادعوا أنهم كانوا سيتصرفون بطريقة

مختلفة يخدعون أنفسهم. خلال تصعيد الحرب، كان الادعاء بامتلاك صدام لأسلحة الدمار الشامل مجرد عامل واحد تم الاستشهاد به من قبل هؤلاء المشجعين للغزو، السبب الرسمي كان عدم الاستجابة لشروط قرارات الأمم المتحدة؛ لم يكن صدام متعاونا مع مفتشي الأسلحة، وهي حقيقة لا يتنازع فيها أحد، لكن بإعادة النظر يقر كثير من الناس الآن أن العامل الحاسم كان ادعاء امتلاك أسلحة الدمار الشامل. هل من السخرية الشديدة حقا الإشارة إلى أن السبب في التركيز على هذا ليس كونه بالفعل العامل الحاسم في اختيارهم، ولكن لأنه الشيء الوحيد الذي يمكنهم الآن أن ينأوا بأنفسهم عنه؟

* * *

كلنا عرضة للترشيد بعد معرفة الحقيقة، حيث إنه يساعدنا على الحياة مع الحقائق غير المريحة عن الماضي، لكن عندما ننظر للخلف في قراراتنا، هل يمكن أن نقول بصدق إننا وضعنا دائما اهتمامات الآخرين فقط في القلب؟ عندما نقول "فعلنا ما بدا لنا الأفضل في ذلك الوقت"، هل حاولنا ما في وسعنا لمعرفة ما كان الأفضل في الحقيقة؟ ألن نكون أكثر صدقا إذا وقفنا وقلنا إننا أحيانا فعلنا الشيء الخطأ للأسباب الخطأ وكان يمكننا وينبغي علينا أن نفعل الأفضل؟

انظر أيضًا:

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .
٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .
٤١ . المعرفة بأثر رجعي .
٨١ . لقد جلبت لكم السلام والازدهار .

٣٥ - حقنة القهوة الشرجية تقهر السرطان

التماس السؤال

أعطى (دودلي بوبلاك) (الأمير) شارلز نسخة من كتاب "وقت للشفاء: انتصاري على السرطان" - قصة بيتا بيشوب في كيفية انتصارها على سرطان الجلد الخبيث منذ ٢٣ عاما باتباع النظام الغذائي الصارم.

Jo Revill, Obsrver[٥٠]

"النظام الغذائي الصارم" لبيتا بيشوب كان علاج جيرسون، الذي يستبعد العقاقير لصالح حقن القهوة الشرجية وعصائر الفواكه، حصل هذا العلاج على دعم خبراء طبيين معروفين أمثال الأمير شارلز، ومصمم الديكور دودلي بوبلاك وخبير التعليم اللورد بولدوين من بودلي، وحملت آراؤهم ، بالطبع، وزنا أكبر من آراء جمعية السرطان الأمريكية التي حذرت من أن هذا العلاج يمكن أن يكون خطيرا.

لذا فإن القول بأن علاج جيرسون مثير للجدل هو شيء من البخس، مع ذلك لسوء الحظ بالنسبة للعامة أن الأمير شارلز كان قادرا على استعمال سلطته لمساندة العلاج، وهو تحرك يمكن تفهم أنه "أغضب المؤسسة الطبية".

التقرير الجيد عن قضايا الصحة أمر مهم؛ لأن الناس غالبًا تتخذ خيارات مهمة على أساس ما يقرءونه فيما يعتقدون أنها صحف محترمة. جو ريفل دقيقة جداً في العادة، لكنها أخطأت عندما ذكرت أن بيشوب "انتصرت" على السرطان "باتباع النظام

الغذائي الصارم"، هذا الوصف يلتمس السؤال: فهو يفترض بدقة ما هو موضع نزاع، ما كان يجب أن تقوله ريفل هو أن بيشوب شعرت بتحسن أثناء اتباع النظام الغذائي، فالحقائق تشير إلى مصادفة وقتية، وليس علاقة سببية.

وعلى الرغم من أن تصحيحي قد يبدو متحذلقا، فإنه حاسم؛ لأن ما تضمنه شكل كلمات ريفل هو أن العلاج كان فعالا على الأقل في مناسبة واحدة، وهذا يعني أن الجدل قد تحول إلى نقاش عن عدد المرات التي يعمل فيها وكيف يمكن الاعتماد عليه، بينما ينبغي أن يتم الاهتمام بما إذا كان يعمل على الإطلاق.

التماس السؤال – افتراض ما يجب أن يتم النقاش حوله – هو غالبًا نتيجة للإهمال في استعمال اللغة، ويمكن أن يحدث عندما نستعمل كلمات "النجاح" بينما يكون المطلوب هو كلمات أكثر حيادية. على سبيل المثال، نقول "تعلم" الفرنسية" عندما نكون بالفعل قد درسناها فقط ولم تتكون لدينا أي قدرة حقيقية. يقول الجمهوريون إن رونالد ريجان قد "ربح" الحرب الباردة، بينما قد تكون الحرب الباردة انتهت عندما كان رئيسا، الرد العسكري قد يحقق القليل، لكن يظل القول إنه انتقام لهجوم. عندما نتعلم أو نفوز أو ننتقم، فنحن نحقق شيئا بتصرفاتنا. مثل هذا النجاح لا يتضمن حقيقة أننا درسنا أو قمنا بهجوم مضاد أو ببساطة امتلكنا القوة. الاستخدام غير المبرر لكلمات النجاح ليس خطأ مثل التماس السؤال، لكنه غالبًا ما يكون الوسيلة التي من خلالها يتم التماس السؤال، كما حدث عندما كان من الخطأ التسليم أن بيشوب "انتصرت" على السرطان بعلاج جيرسون.

* * *

ما الفرق بين التماس السؤال والتسليم الحميد أن القضية رابحة؟ هل يجب أن أقول إن شرب الخمر فقط يبدو أنه يدمر كبد مدمن الخمر، لأني لا أستطيع استبعاد الأسباب الأخرى بالكامل؟ حتى وقت قريب، لم يفكر الكثيرون في أن الادعاء بأن عقار

بروزاك قد عالج اكتئاب شخص ما قــد التمــس السؤال، لكن بحثًا نشر في ٢٠٠٨ – مستطلعا فائدة مضادات الاكتئاب الحديثة في الحالات الخطيرة – لمح إلى أن هذا بالضبط ما يفعله مثل هذا التقرير. مالم نكن مستعدين جيدا لإلحاق الشروط التي لا نهاية لها فيما نقول، ألسنا ذاهبين حتما إلى التماس بعض الأسئلة لبعض الوقت؟

انظر أيضاً :

٧ . لأني أقول هذا .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٤٨ . سيقولون ذلك .

٥٥ . ليست مصادفة .

٣٦ - الاغتصاب والتطور البشري

التفسير ليس تبريرا

من الغرابة ما يبدو من هذه الوقائع، فكلها تكون مفهومة عندما ينظر للاغتصاب كظاهرة طبيعية وبيولوجية وهي نتاج تراث التطور البشري.

Evolutionary biologist Randy Thornhill and evolutionary anthropologist Craig Palmer(٥١)

من أكثر الكتب الأكاديمية المثيرة للجدل في السنوات الأخيرة "التاريخ الوطني للاغتصاب: الأسس البيولوجية للإكراه الجنسي" لراندي ثورنهل وكريج بالمر، جادل ثورنهل وبالمر لشرح الاغتصاب وسبب شيوعه، وأن من المفيد النظر إليه كإستراتيجية متطوِّرة للإنجاب بالنسبة للذكور أكثر من النظر إليه كمحض عنف كاره للنساء بدون هدف سوى الإذلال والهيمنة والجنوح للمتعة.

اعتقد ثورنهل وبالمر أن هذه النظرية ستشرح بصورة أفضل العديد من الوقائع التجريبية عن الاغتصاب (الوقائع "الغريبة" ذكرت من قبل)، مثل أن "معظم ضحايا الاغتصاب هن من النساء في سن الإنجاب"، "في كثير من الثقافات يعامل الاغتصاب كجريمة ضد زوج الضحية" و "يقوم الاغتصاب ليس فقط بين البشر لكن أيضًا في مختلف أنواع الحيوانات الأخرى".

اتهم الكثيرون ثورنهل وبالمر بتبرير الاغتصاب، وأن ادعاء أنه "طبيعي" يجعله بطريقة أو بأخرى مقبولاً طبيعيًا، وفي استجابة لذلك أشار المؤلفان إلى أن تفسير شيء ليس مثل تبريره.

على سبيل المثال، الحصول على إدانة في جريمة قتل يتطلب وجود دافع ووسيلة وفرصة للقتل، هذه الوقائع مجتمعة تُفسر القتل، لكنها بالطبع لا تبرره، وبالعكس تماماً مثل هذا التفسير مطلوب لعقاب شخص ما لارتكابه جريمة.

هناك بالتأكيد أوقات يشعر فيها الناس أن التفسير يُلطف ضد الإدانة، على سبيل المثال، يقال لنا غالباً إن المعتدين على الأطفال كانوا مُعتَدَى عليهم هم أنفسهم، وهذا، بمعنى ما، يميل حتمياً إلى استنتاج أنه ينبغي علينا أن نتعاطف مع المعتدي كما نتعاطف مع ضحيته.

لكن حتى هنا يوجد تمييز جذري، التفسير قد يجعلنا نعالج مرتكب الجريمة بتعاطف أكثر، لكنها لا تجعل جريمته أقل شناعة بأي حال. قد يجعلنا ادعاء ثورنهل وبالمر أقل تفاؤلا عن احتمال التخلص من الاغتصاب تماماً من مجتمعنا، لكنه لا يجعل هذه الجريمة أقل خطورة بأي شكل، والأكثر من ذلك حقيقة أن قواعد الاغتصاب تختلف بشدة بين الثقافات وأن الغالبية العظمى من الرجال لا يغتصبون تطرح رأيا بأننا لا نملك أسبابا لنكون أكثر ليونة مع المغتصبين أيضاً.

إذا كان علم نفس التطور يعزز اللا مساواة، إذن فهذا بسبب علم النفس وليس المنطق، وفي واقع الأمر، يبدو أن الناس يضعون خطوة يسيرة بين التفسير والتبرير؛ ربما لأنهم يعتقدون أن تفسيرات كثيرة للسلوك تُظهر أن الأشياء ينبغي أن تظل كما هي، وبذلك نكون حمقى لتغييرها، إذا كان الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، أليس من الجنون أن نحاول تغيير طرقهم المريخية والزهرية؟

إذا أشار تفسير للسلوك الإنساني فعلا إلى حقائق ثابتة للطبيعة البشرية، فهذه الحجة تكون صحيحة، لكن هذه ليست الطريقة التي تعمل بها معظم التفسيرات السلوكية. في الحقيقة، نحن نعلم أن الأدوار تتغير تماماً بنوع الجنس. لكن الدول الإسكندنافية، على سبيل المثال، كانت ناجحة جداً في جعل الرجال والنساء يتشاركون في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وبعض التفسيرات قد تطرح حدودا على قابلية التطويع هذه، ما لا يمكن فعله هو تبرير أعمال نعرف أننا غير مضطرين للقيام بها.

* * *

إلى أي مدى ينبغي أن تؤثر معرفة ما هو طبيعي على سياساتنا الاجتماعية، على سبيل المثال، تم التنظير أن هناك اختلافًا أوسع بين أمخاخ الرجال والنساء، وهو ما يعني أنه من المحتمل أن يقدم الرجال المزيد من العباقرة لكن أيضًا الكثير من البلداء، إذا كان هذا صحيحًا، هل يجب أن نراجع توقعاتنا بنسبة ٥٠-٥٠ من التمثيل للرجال والنساء في المناصب العليا في المجتمع؟ أم ينبغي علينا أن نستمر في الضغط من أجل هذا لأسباب أخرى؟

انظر أيضًا:

٥١ . ثغرات قانونية.

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء.

٦٥ . أنت السبب.

٧١ . ما لم يعرفه شرلوك.

٣٧ - الطريق الوحيد متجه لأسفل

خدعة الارتداد

نسبة البطالة – مازالت مرتفعة جداً – هي الأقل في سبع سنوات تقريبا، وشعبنا قد خلق تقريبا ١٣ مليون وظيفة جديدة.

Ronald Reagan[٥٣]

لم يفتقر الاقتصاد الريجاني أبدا للمنتقدين، لكن كما قال ريجان في خطاب حالة الاتحاد في ١٩٨٧، فإن البطالة تحت رئاسته انخفضت إلى أقل نسبة في سبع سنوات، بالتأكيد كان يفعل شيئًا صائبا؟

ربما فعل، لكن المعلومات وحدها لم تثبت أنه فعل، في ١٩٨٢، أي بعد عام من توليه المنصب، كانت البطالة في الولايات المتحدة مرتفعة في معدلات فترة ما بعد الحرب بنسبة ٩،٧ في المائة، وكان يمكن أن تزيد، لكن الفرص كانت عاجلا أو آجلا، وغالبًا عاجلا، ستبدأ في الانخفاض؛ والسبب في هذا هو ما يسميه الإحصائيون "الارتداد للمعدل"؛ عندما تقيس شيئا ما وتجد أنه شديد التطرف، فدائمًا يحتمل في المرة التالية التي تقيسه فيها أن يكون أقل تطرفا؛ لذا فعندما بدأت البطالة بالفعل في الهبوط مجددا، هل كان هذا بسبب سياسات ريجان أم بالرغم منها؟ بعد كل شيء، عند نسبة ٦،٢ في المائة، كان معدل البطالة في ١٩٨٧ تحت ريجان ما زال مرتفعا بمعايير تاريخية، وفي العام الذي تلي مغادرته لمنصبه، بدأت البطالة في الارتفاع مجددا، قبل ظهور أي تأثير للنظام الجديد.

لذا فإن الادعاء أن "شعبنا قد خلق تقريبا ١٣ مليون وظيفة جديدة" يبدو غير مؤكد على الأقل. من الممكن أن يكون هذا ما حدث في الحقيقة، لكن أيضًا من

المكـن أن يكون هذا مثالا على خدعة الارتداد: الاعتقاد أن الأعمال التي تقوم بها في ذروة دورة مـا هـي المسـئولة عن عـبـور هذه الذروة. مـثـال نموذجي هو عندمـا تصـاب بالبرد وتبدأ بأخذ دواء، البرد غالبًا ينتهي من تلقاء نفسه ولا علاج له، لكن لأن الناس عادة يبدأون بأخذ الأدوية عندما يشعرون أنهم أقرب من أسوأ حـالاتهم، ثم يبدأون في التحسن، فيميلون للاعتقاد أن الدواء له تأثير على مـا حدث، ونفس الشيء صحيح في كل الأمراض السيئة، ولهذا يُقسِم كثير من الناس بالعلاجات التي لا تعمل في الواقع.

نفس الخدعة تجعل تقييم فعالية علاجات الاكتئاب صعبة للغاية. يميل الناس إلى الذهاب للأطباء أو المعالجين فـقط عندما يصلون إلى القـاع، وبافـتراض أنه ليس من الممكن الشعور بـالأسـوأ، ومـعظم الناس يتجنبون مـحاولة الانتحار؛ لذا فمن المحتمل أكثر أن يشعروا بتحسن بعد عدة أشهر؛ إذن كيف يمكننا أن نقول إذا كانت العلاجات أو العقاقير قد ساعدت فعلا؟ هناك طرق، لكن يجب أن تكون حذرا جداً.

الارتداد للمعدل ليس بعض القوانين الغريبة الطبيعة التي تقول إن كل شيء سوف يتعادل على المدى البعيد، أحيانا تستمر ذروة الدورة في الارتفاع ، كما كان الحال في البطالة تحت حكومة المحافظين لمارجريت تاتشر في أوائل الثـمـانينيات من القرن العشرين، عندما وصلت في معدلات ما بعد الحرب إلى ما يقرب من ٥ في المائة تحت حكومة العمال السابقة اعتقد الناس أنها رهيبة، لكنها استمرت في الارتفاع لعدة سنوات لتتخطى ١٠ في المائة في ١٩٨٦ .

في حـالة ريجـان، كان من الصعب مـعرفـة مـا إذا كانت البطالة سـتسـتمـر في الارتفاع أكثر إذا ما لم ينفذ سياساته الاقتصادية. وستكون حماقة واضحة افتراض أن المخـاوف من الاحـتـبـاس الحـراري سـتـقل لأن "مـا يرتفع لأعلى ينبـغي أن يهـبط لأسـفل". الارتداد للمعدل بالتـأكيد هو مسـألة مـا هو مـحتمل: لا يمكن التنبؤ بشيء أو تفسيره بيقين على أساس منه.

وهكذا ، فإن الانتباه لخدعة الارتداد يكون بالضرورة مسألة حذر بالنسبة القفز للنتـائج فـوق مـا سـبب انخـفـاض شـيء أو ارتفـاعـه من حـالة الذروة. نحـتـاج أن نأخذ

حذرنا على أساس كل حالة على حدة لنحقق فيما إذا كانت تصرفات شخص ما هي السبب الحقيقي.

* * *

هل يلام أي شخص على سوء نوعية "آل سمسون" منذ المسلسل رقم ٩، أم أن الحال ببساطة أنه لا يمكن لأحد أن يحافظ على مستوى الامتياز الذي ظهر في العصر الذهبي للمسلسلات ٤ حتى ٨؟ ما هي الإجراءات التي اتخذتها الولايات المتحدة عسكريا وكانت مسئولة عن ارتفاع وانخفاض مستويات العنف في العراق؟ وفي الحالتين، أليس من المحتمل أنه لا الارتداد الطبيعي للمعدل ولا العمل المتعمد يفسر بالكامل ما حدث لكن كلا منهما لعب دورا؟ على أي حال، كيف كانت أهمية كليهما؟

انظر أيضاً :

١٦ . حظ أفضل .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب.

٤٣ . مكافحة الجريمة بالموسيقى.

٥٢ . أزواج ومطلقون ومتعاشرون .

٣٨ - يتعين عليك أن تفعل المستحيل
ينبغي بدون الاستطاعة

في ١٩٩٨ انكمش الأمريكيون في رعب بعد إطلاق النار على أربعة طلاب ومعلم في مدرسة في جونزبورو، أركانساس. قال السياسيون وقادة الكنيسة والأعضاء العاديون في المجتمع أنه يجب ألا يُسمح أبدا بحدوث هذا مرة أخرى.

BBC News Online[٥٤]

عادة ما يُعزى مبدأ أن "ينبغي" تتضمن "أستطيع" لإيمانويل كانت، على الرغم من أنه لم يقل فعلا أي شيء بهذه البلاغة، المبدأ في حد ذاته واضح ضمنا: لا معنى للقول ينبغي أن نفعل شيئًا إلا إذا كنا بالفعل نستطيع عمله، من السخف قول "ينبغي عليك أن يكون طولك ٨ أقدام" أو "ينبغي عليك أن تقضي على الفقر في العالم حتى وقت الغداء"؛ حيث إن كلاً من هذا لا يمثل إمكانية حقيقية، فكيف يمكن أن يكون لديك مهمة ينبغي القيام بها وهي مستحيلة؟

منطق المبدأ واضح بما فيه الكفاية، لكن يتم تجاهله كثيراً. الناس يطلبون من السياسيين فعل أشياء ليست في نطاق قدرتهم أو من الرياضيين أن يؤدوا فوق قدراتهم، على سبيل المثال، في بريطانيا كثير من الناس شعروا أن أعظم امرأة في ركض المسافات الطويلة، باولا رادكليف، كان ينبغي عليها أن تؤدي أفضل في دورة أثينا الأوليمبية، حيث انسحبت من السباقين اللذين نافست فيهما، ما لا يبدو أنهم أخذوه على محمل الجد هو احتمال أن رادكليف كانت تؤدي بأحسن ما تستطيع.

مثال باولا رادكليف مفيد، لأنه على الرغم من أن "ينبغي" تتضمن "أستطيع" فالمبدأ ساطع الوضوح نظريا. في العالم الحقيقي "مستحيل" تحمل أكثر من معنى، فالبعض يخسرون أكثر من الآخرين، لم تستطع رادكلييف أن تركض الماراثون في ساعة واحدة، ليس لأن ذلك مستحيل منطقيا لكن لأنه بدنيا مستحيل. في السياق العادي، من الجائز تمامًا قول إن شيئا ما ليس ممكنًا عمليا حتى وإن لم يكن هناك شيء بدني أو منطقي يمنعنا من القيام به. كان في استطاعة رادكليف بالتأكيد أن تنهي السباق إذا وضعت كل طاقتها في ذلك؛ لذا ألا يمكننا أن نقول إنه من الخطأ الاعتقاد أنها يجب أن تنهي السباق لأنه من غير المعقول أو غير الواقعي توقع أن تستطيع فعل ذلك، على الرغم من عدم استحالته بشدة؟

هذا يبدو أنه يوسع نطاق "ينبغي" لتتضمن كثيراً من "أستطيع"، ونحن انتقلنا من لا أستطيع (منطقيا) خلال لا أستطيع (بدنيا) إلى لا أستطيع (عمليا) حيث مفهوم ما هو "واقعي" غامض إلى حد ما.

وبالتأكيد سيكون دقيقا وصف هذه النسخة من المبدأ كعامل مساعد أو امتداد للجوهر وليس مجرد نتيجة طبيعية له. لكني أعتقد أننا نحتاج شيئًا مثله لكي نجعل المبدأ فعالاً بصورة حقيقية في التفكير النقدي عن العالم الحقيقي.

انظر – على سبيل المثال – إلى الدعوى بعدم السماح بتكرار أحداث مثل القتل في مدرسة جونزبورو مرة أخرى، ليس واضحًا على الإطلاق أن أي مجتمع يمكن أن يضمن ذلك واقعيا. إن حظر كل الأسلحة النارية في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية ليس خيارًا سياسيًا قابلاً للتطبيق، وحتي إن فعلوا ذلك، فالتأكد من عدم وجود أيها في تداول غير مشروع شيء لا يمكن أن تحققه أي حكومة، ثم هناك موضوع أمن المدرسة الذي لا يمكن أن يكون صارما مثل ذلك الموجود بالمطارات.

نستطيع رؤية مبدأ "ينبغي" المتضمن "أستطيع" في نسختين، واحدة تختص بالصلة بين الواجب وما هو ممكن منطقيا وبدنيا ويجب أن تكون غير خلافية، لكن يمكن القول جدلا إنه كلما كانت النسخة مثيرة ومفيدة، وإن كانت أكثر إثارة للجدل

وغير دقيقة أيضًا، فهي إننا لا يمكننا قول إنه يتعين على الناس فعل ما لا يستطيعونه من الناحية الواقعية.

* * *

جادل الفيلسوف سيمون كريتشلي أن "ينبغي" تتضمن "لا أستطيع" واقعيا،(٥٥) وما يعنيه هو أن المبادئ الأخلاقية الصحيحة تطلب منا أكثر مما في استطاعتنا إعطاؤه. وفكرة اللاهوت المسيحي هي أننا محكوم علينا بالتقصير فيما ينبغي علينا أن نقوم به بالفعل. الطرح خادع، لكن حتى إذا كان صحيحًا، أليس هذا هو الحال على الرغم من أنه في حالات عملية عديدة، مثل السياسية، يجب علينا حقيقة ألا نطلب ما لا نستطيع أن نفعل؟ أم هل نحن أفضل حالا عندما نطلب المستحيل من هؤلاء الذين سيقصرون حتما؟

انظر ايضًا:

٤ . ليكن ما يكون .

١٧ . إذا لم تقتله لا تأكله .

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء .

٧٨ . طبيعي فقط .

٣٩ - تجميع مريب

فرديات كاذبة

العلاج اليوم مثل الثقافة الأشمل الذي هو جزء منها، يُعلِّم الناس أن يعرفوا مكانهم، وكل ما يقدمه في المقابل هو تمجيد مشكوك فيه للتأكيد والتقدير.

Frank Furedi, Therapy Culture(٥٦)

العادة البشرية في التصنيف غالبًا ما تحظي بتغطية صحفية سيئة، قيل لنا إنه ينبغي تجنب القوالب وتصنيف الناس، الرغبة في وضع الأشياء في فئات منظمة ينظر إليها كمقاومة مرَضية للواقع الفوضوي للعالم.

لكن اللغة التي تضع اسما لكل شيء منفرد ولا تضع كلمات للمجموعات التي تضمها ليست التي يمكن أن تستعمل لتكوين معني صحيح للعالم، العلم والفلسفة كلها أمور حول تصنيف أفضل، وهذا يعني غالبًا صنع فروقات أحدث وأدق، لقد كان تقدما عندما تم تقسيم المادة للعناصر الأربعة، وتقدما ثانية عندما فككت الكيمياء المادة إلى ١١٧ عنصرا تكوِّن الجدول الدوري.

المثل الأعلى الذي نسعى له جاهدين هو عدة فئات بالعدد الكافي المطلوب لتقسيم العالم بدقة، لكن بأقل عدد يسمح لنا بالقيام بذلك بكفاءة. وعندما نخطئ نميل إلى فعل ذلك في جانب العدد القليل جداً، وليس الكثير، وخصوصا أننا منجذبون نحو الثنائية؛ لذا، على سبيل المثال، نتكلم عن الطب التكميلي والتقليدي، وعندما نفعل ذلك نجمع معًا سخافة الريكي مع نبتة سان جون المختبرة إكلينيكيا. يتحدث كارهو الأجانب عن

السكان الأصليين والمهاجرين، على الرغم من أنه في بلاد مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، لا يستطيع أحد أن يقول إن هناك خطا عرقيا نقيا للسكان الأصليين، وحتى عندما نمد عدد الفئات لثلاث، فإنها غالبًا ما تكون غير كافية بتاتا، مثل محاولة حكومة المملكة المتحدة المثيرة للسخرية لوضع علامة ضوئية حمراء أو برتقالية أو خضراء على الأطعمة لتقدير قيمتها الغذائية سريعا.

قام عالم الاجتماع فرانك فوردي ببعض التجميع المريب في هجومه على ما أسماه "ثقافة العلاج"، فوردي كان لديه كثير من الأشياء الحقيقية المثيرة والجديرة بالاهتمام ليتكلم عن كيف يقوض تمييز العاطفة من الاعتماد على الذات ويصف عدم الرضا العادي بالمرض، لكنه يسيء لحجته عندما يطلي بنفس فرشاة القطران كل أشكال العلاج. وفي جملة أخيرة في كتابه "ثقافة العلاج"، لا يحاول فوردي أن يميز بين أشكال العلاج المختلفة، ويتحدث ببساطة عن العلاج فيما يمكن تسميته بالمفرد الكاذب. العلاج، كما قيل لنا، يحفظ الناس في مكانهم ويقدم فقط التقدير والتأكيد.

بعض هذا ربما يكون صحيحًا في بعض العلاجات، التحليل النفسي – على سبيل المثال – تم اتهامه بأنه يبقي مرضاه في علاقة اتكالية بإصراره على علاج طويل بدون نهاية، وبتضمينه أن المعالج يعرف المريض أكثر من معرفته لنفسه، لكن أشكالاً عديدة من العلاج تصمم بشكل صريح بهدف جعل الناس يخرجون منه في أقرب وقت ممكن. وبالمثل – على الرغم من أن بعض النصح لا يحقق أكثر من تأييد مشاعر المريض – فإن أفضل نوع هو ما يتحدى الناس ويقدم إمكانية تغيير الطريقة التي ينظرون بها لأنفسهم ومشاكلهم.

يجب أن يعرف فوردي هذا، لكن في تقديم نظريته في صورة قابلة للهضم، وبضربات فرشاة عريضة، يموه فوق هذه الفروقات، مثل هذه التبسيطات تكون أحيانا حميدة أو لا يمكن منعها، على سبيل المثال، تكلمت سابقا عن التحليل النفسي في المفرد الكاذب، حيث طبقت نقطتي العريضة على التحليل الفرويدي والجنجياني

والكلينياني واللاكانياني، ومتغيرات أخرى عديدة، لكن في الحالة الفرويدية أعتقد أنه كان من غير الضروري وغير الصحيح التكلم عن العلاج كما لو كان متجانسا.

وكما هو الحال في كثير من الأحيان، يكون الحكم مطلوبا لتحديد متي يكون التعميم مرغوبا أو كارثيا، بدون فئات عريضة إلى حد ما يمكننا الحديث فقط عن الخصوصيات، وعندما تكون أكثر عرضا، يمكننا الحديث فقط عن الأكاذيب.

* * *

متى يكون مقبولا استعمال تعبير مفرد لشيء نعرف في الواقع أنه يحتوي على كثير من المتغيرات؟ متى - إذا حدث على الإطلاق - يكون من العدل أن نضع أحكاما عريضة عن المسيحية والإسلام والإرهاب وعمل الخير والسياسيين وتليفزيون الواقع والرسامين التأثيريين والتجار المصرفيين والقيم البريطانية وأهل نيويورك؟ عندما تضع مثل هذه الأحكام، هل أنت عادل أم أنك تبسط الأمور بشدة؟

انظر أيضًا:

٧ . لأني أقول هذا.

٢٩ . قتيل، نعم. قاتل، لا.

٧٤ . الجميع مختثون.

٩٩ . الشيء الحقيقي.

٤٠ - يجب أن تحب جورج، وتكره الإرهابيين
ثنائيات زائفة

كل أمة في كل منطقة عليها أن تتخذ قرارا، إما أنكم معنا، وإما أنكم مع الإرهابيين.

George W. Bush[٥٧]

للنظرة الأولى، بدا بيان جورج دبليو بوش الذي ألقاه بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي في ٢٠٠١ بفترة قصيرة مثالا صارخا على الثنائية الزائفة: تقديم خيارين اثنين كما لو أنهما استنفذا كل الاحتمالات، بينما في الحقيقة هناك خيارات أخرى متاحة، كان هناك على الأقل بديل واضح واحد لاختيار بوش، وهو معارضة الإرهاب ولكن أيضًا معارضة طرق أمريكا المفضلة في التعامل معه، الشخص أو الدولة التي تبنت الخط الذي لا يسير مع بوش، لم يكن أيضًا مع الإرهابيين.

الأمر بسيط، أليس كذلك؟ حسنا، ليس تماماً. أولا، بتفسير مترفق لخطاب بوش، فهو لم يكن يحاول أن يطرح خيارا تاما للغاية، فاستمر يقول، "منذ اليوم، أي أمة تستمر في احتضان أو مساعدة الإرهاب، ستعتبرها الولايات المتحدة نظاما معاديا" يطرح هذا أن عدم الوقوف بجانبنا يتطلب إذعانا للإرهابيين أكثر من مجرد الفشل في تأييد سياسة الولايات المتحدة. بالفعل، عندما كرر بوش هذه الثنائية بعد أسابيع قليلة فيما بعد، في سياق حملة على تمويل الإرهابيين، كانت الرسائل الرئيسية مرة أخرى أن إغفال الإرهاب يعد مثل الوقوف ضد أمريكا في حربها ضده.

ومع ذلك، إذا كان هذا صحيحًا، لماذا لم يكتف بوش باختيار هذه الكلمات بذاتها بل اختار أيضًا أن يكرر نفس الصياغة ثانية؟ والإجابة يمكن أن تكون أنه كوصف

للحقيقة فإن الثنائية زائفة، لكن كوصف لنوايا أمريكا فإنها تبعث برسالة واضحة، لكن بوش لم يكن يتكلم بمنطق الاتفاق، لقد كان يرسل إنذاراً. غيرت أمريكا كذب زيف الثنائية إلى حقيقة بالتصميم على أن تعامل كل الذين لم يكونوا معها كأنهم ضدها، سواء رأوا أنفسهم في هذا الطريق أو لا، ولا عجب أن كثيراً من الأوروبيين اتهموا إدارة بوش بتبني موقف مستأسد.

الثنائية الزائفة تبسيط كبير فهي تقطع كل تعقيد للموضوع وتقدم مجرد خيارين، خذهما معًا أو اتركهما معا. كخدعة خطابية، فهي شائعة الحدوث ولا تقتصر على الثنائيات. وغالبًا يوظف الأدب الإنجيلي المسيحي، على سبيل المثال، ما يمكن أن نسميه الثلاثية الزائفة؛ فيقولون إن المسيح، ادعى أنه ابن الله، ولا بد إما أنه كان يقول الحقيقة، أو يكذب، أو إنه مجنون، ليس هناك دليل أنه كان كاذبًا أو مجنونًا؛ لذا فلا بد أنه كان يقول الحق.

بالطبع، المشكلة هي أن الخيارات المطروحة لا تستنفد كل الاحتمالات، يحتمل أن يسوع لم يدع أي شيء مثل هذا – قد تكون الأناجيل غير موثوقة، قد يحتمل أيضاً أنه كان يعني شيئًا مجازيا. بعد كل شيء، في سفر التكوين قد قيل "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" (تكوين ٦: ١-٢)، إذن يتضح للمؤمنين بالكتاب المقدس أن كينونته ابنا لله ليست إنجازاً فريداً ليسوع لهذه الأسباب وأكثر، هناك أكثر من الخيارت الثلاثة المطروحة.

ومع ذلك يمكن بسهولة أن يكون اندفاعنا مفرطًا لمحو هذه الانحرافات المنطقية، إذا كنا في غاية الصرامة في تعاملنا مع الثنائيات الزائفة، سنفقد بعض المقتطفات العظيمة، قالت هيلين كلر، "الحياة إما مغامرة عظيمة أو لا شيء". حسنا، كلا، لكني أري وجهة نظرها وهي لن يكون لها نفس الرنين المناسب تماماً، والقول المأثور لجيتو أنتوني روبين، "في الحياة تحتاج إما الإلهام أو اليأس"، والأفضل تحذير ماكس ليرنر،

"إما أن يتعلم الرجال أن يعيشوا مثل الإخوة أو أن يموتوا مثل الحيوانات"، وهو ليس أقل قوة لأنه زائف حرفياً.

كل هذا يذكرنا بثنائية زائفة أخرى: يجب على الشخص إما أن يتكلم بدقة منطقية في كل الأوقات وإما أن يُنَحِّي الحق والعقل جانبا بالبلاغة والغموض.

* * *

هل تعتقد أن ما يلي ثنائيات زائفة أم خيارات صعبة يجب اتخاذها: أمن أكثر أم حرية أكثر؟ نمو اقتصادي أكثر بطئًا أم تدمير أكثر للبيئة؟ الإخلاص أم الإثارة؟ النباتية أم القسوة على الحيوانات؟

انظر أيضاً:

٣٣ . المعتدلون لا يتقدمون.

٥٦ . الواجب الوطني.

٧١ . ما لم يعرفه شيرلوك.

٨٩ . ميثاق مسترق النظر.

٤١ - المعرفة بأثر رجعي
التنبؤ ليس رؤية للمستقبل

"ديانا تنبأت بحادث الوفاة"

Evening Standard front-page headline(58)

قد يكون الإدراك المتأخر شيئًا رائعا، لكن الاستبصار أفضل، وللأسف فإن الناس يستبصرون فقط في الإدراك المتأخر.

عندما يَدَّعي الناس أنهم يرون مستقبل شيء ما، فإنهم يعنون شيئًا أو اثنين، الأول أن لديهم معرفة حقيقية بالمستقبل فيستطيعون رؤيته قبل أن يقع، ولا يمتلك أحد بالفعل هذا النوع من التنبؤ، على الرغم من أن كثيرين يدعونه؛ والسبب الذي يجعلني واثقًا من هذا هو أنه سيكون من السهل تأسيس رؤية حقيقية للمستقبل بما لا يدعو مجالا للشك؛ كل ما يجب على المتنبئ أن يفعله هو أن يتنبأ بدقة أكثر ثباتا من الصدفة أو ما يتوقعه الخبراء، لكن لم يقم أحد بذلك، أو حتى يقترب منه، حتى المتنبئون المشهورون مثل نوستراداموس وضعوا تنبؤات سخيفة وغامضة.

والاستعمال الرئيسي الآخر لفكرة التنبؤ هو فكرة مشابهة؛ حيث إننا لا نعرف حقيقة ما سيحدث، ولكننا واثقون أننا نتكلم بلغة الأنبياء، هذا ليس إلا طريقة ملونة مغالية في قول إننا نتوقع حدوث شيء.

ومع ذلك عندما نتنبأ بشيء ويحدث أن يتحقق، من المحتمل جدًا فجأة أن نقول إننا بالفعل توقعناه فنقول، "لقد أخبرتك!"، مستعملين ألفاظا تدلل على أن ما قلناه كان حقيقة حتى قبل أن يحدث.

هذا هو نوع إعادة كتابة التاريخ الذي استُخدم لوصف تصريحات الأميرة ديانا الخارقة للطبيعة عن حادث السيارة، وتحت عنوان "ديانا تنبأت بحادث الوفاة" قالت صحيفة "لندن إيفننج ستاندارد" إنه في ورقة مكتوبة بخط اليد قالت ديانا، "إنهم يخططون لحادث في سيارتي، عطل في الفرامل وإصابة رأس خطيرة لكي يجعلوا الطريق ممهدا لزواج شارلز".

قد تعتقد أن استعمال فعل "تنبؤ" غير ضار بالمرة، لكن حالة ديانا هي مثال ممتاز لكيف يجب ألا نكون دمويين في مثل هذه الأمور، فكرة أنها عرفت بطريقة ما أن شيئًا كان على وشك الحدوث استعملت لمساندة نظريات المؤامرة، لكن ليس فقط الإحساس الزائف بالتأكد الذي يضللنا باستعمال "تنبؤ"، لكن اللفظ أيضًا يبالغ في مدى تطابق مخاوفها للأحداث التي وقعت في وقت لاحق، التفصيل الوحيد الذي أعطته كان عطل الفرامل، الذي لم يكن سبب الحادث الذي قتلها، وأسوأ من هذا عندما نشر النص الكامل للخطاب، تبين أنها كتبت، "إن زوجي يخطط لحادث في سيارتي، عطل في الفرامل أو إصابة خطيرة في الرأس لكي يجعل الطريق ممهدا لزواجه من تيجي، كاميلا ليست أكثر من فخ لكي يَجري استخدامنا من قِبل الرجل بكل معنى الكلمة" لكن شارلز لم يتزوج تيجي (لج بورك، مربية هاري)، بل تزوج كاميلا، هذا كثير على استبصار ديانا.

وحتي إذا كانت ديانا على حق تمامًا، فسيظل وصف توقعها بالتنبؤ غير دقيق، التوقع أو التلميح ليس معرفة، ولا ينقلب لمعرفة إذا أصبح صحيحًا، وإذا كان عليّ أن أتنبأ بنتائج كرة القدم للأسبوع المقبل، فإن هناك فرصًا لتوصلي لبعض النتائج الصحيحة، لكن لن يكون دقيقا القول بعد الحدث إن التنبؤ يمكن أن يتوزع بين تخمينات خاطئة وحالات استبصار.

والشيء المثير للاكتئاب، مع ذلك، أن يبدو الناس متعجلين في نسبة قدرة الاستبصار للناس الذين يتنبئون بأشياء دقيقة، حتى إذا كانوا قد تنبئوا بأشياء كثيرة غير دقيقة. المنجمون والنقاد على حد سواء يشيرون إلى تنبؤات الماضي الناجحة كدليل أنهم يمتلكون استبصارا ينفون وجوده بين باقي الناس.

* * *

إذا وجدت نفسك مسيطرا على مجموعة كبيرة نوعا ما، إليك شيئًا يمكنك فعله: اطلب من كل واحد أن يقف وأن يركز بشدة ويحاول أن يتوقع ما إذا كانت العملة التي ترميها ستكون صورة أم كتابة، ارم العملة، ثم أعلن النتيجة، واطلب من هؤلاء الذين أخطئوا أن يجلسوا، كرر حتى يظل واحدٌ أو اثنان واقفين، حسنا فعلت - فقد وجدت وسطاءك الروحيين! لقد فعلت ذلك مع مجموعات مكونة من ٥٠-١٠٠، وما حدث هو أن شخصًا ما يحصل عليها بصورة صحيحة عدة مرات على التوالي، كما قد يتنبأ بالحظ العشوائي، لا نحتاج للقوى الخارقة لشرح النتائج، غالبًا ما يكون غريبا أن يخمن الناس بصورة صحيحة، فهي كما لو أننا لا نستطيع إلا أن نصدق أن التخمينات الصحيحة مؤشر على نوع من الاستبصار الغامض.

انظر أيضًا :

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٥٥ . ليست مصادفة .

٨١ . لقد جلبت لكم السلام والازدهار .

٤٢ - السيدة التي تحتج كثيرًا

تخمين الدافع

تلك السلطات الداروينية تجد أن تدقيق العامة في نظريتها مُهدِد للغاية، وهو ما يشير إلى أن هناك انعدام أمن خفي في الموقف الفكري الذي سيصبح في نهاية المطاف واضحًا للعيان تمامًا حتى لا يمكن الاستمرار في إخفائه.

Philip E. Johnson, Intelligent Design theorist[٥٩]

على الرغم من الصعوبات الفلسفية بخصوص كيفية معرفة ما يدور في عقول الآخرين، في الحياة العادية نكون بالفعل جيدين في معرفة الحالة الذهنية للآخرين، يجد معظمنا أن إخفاء مشاعر مثل الملل والمضايقة أو الانجذاب صعب جدًا، وغالبًا ما يستغرق الأمر نظرة واحدة لكشف مزاج شخص ما.

ومع ذلك، فواحد من أكثر موروثات فرويد مدعاة للأسف هو أنه يبدو أنها أقنعت عددًا كبيرًا منا أننا قضاة على أذهان الآخرين أكثر منهم، عقلنا الباطن يمكن أن يكون مخفيا عنا، لكنه واضح أنه مكشوف للآخرين.

هناك مجموعة من قواعد علم النفس الشعبي الغليظة لإصدار هذه الأحكام الكاسحة عن دوافع الناس الحقيقية، أولاها قاعدة نسبة الإنكار العكسية - وتُعرف أيضًا باسم "مناورة السيدة التي تحتج كثيرًا" - التي تنص على أنه كلما أكثر شخص من إنكار شيء كان هذا الشيء صحيحًا، وكما يعتقد كل تلميذ صغير أنه يعلم، فكل واحد يجعل من إنكار أنه مثليي الجنس موضوعا كبيرا، على سبيل المثال، ربما يكون هو نفسه مثليي الجنس.

وقاعدة متصلة أخرى هي قاعدة أن الكراهية تعادل الخوف - وتُعرف أيضًا باستجابة المتعصب الخائف، وهذه تُقرر أنه كلما صرخ شخص بكراهية شيء، فعلى الأرجح أنه يخشاه في الواقع، والقدرة على تطبيق هذه القاعدة لا تتقن في العادة حتى نصبح طلبة معتدِّين بأنفسنا.

ثم هناك الغطرسة كقاعدة لانعدام الأمن، وتسمى أيضًا بمبدأ المركز اللين، يقضي أن أي شخص يبدو واثقًا للغاية غالبًا يعوض عن انعدام للأمن عميق الجذور، المستفيد الرئيسي من هذا هم الرجال المتغطرسون والمفترسون.

والمشكلة مع كل هذه القواعد الزائفة هي أنها كلها لغو، بالطبع، هناك حالات خاصة عندما يدعي الشخص الذي يُنفي مثليته الجنسية بقوة أنه يكره "الدلائل" والتصرفات برجولة أكثر من إرنست هيمنجواي في حفلة الأعزب، وهو في الحقيقة يكافح من أجل التصالح مع مشاعره الجنسية نحو الرجال الآخرين، لكن قد يكون بنفس القدر متعصبًا وكارهًا لجنس الرجال، ومعظم الناس يحتجون أن شيئًا ما ليس حقيقيًا لأنهم يعتقدون فعلا أنه ليس حقيقيًا، والحق في هذا المثال مهم بالنسبة لهم، أنا أكره شاي إيرل جراي لكنني لا أخافه. وبعض الناس متغطرسون بالضبط لأنهم لا يشعرون بالأمان حيال أي شيء.

ينبغي أن يتضح الكثير ومع ذلك نظل نجد فيما يسمى بالمناقشات الفكرية أناسًا يستحضرون هذه الأنواع من التعميمات النفسية الكاسحة لمساندة قضيتهم، عالم خلق الكون فيليب جونسون وجه ضربة عنيفة ضد "السلطات الداروينية" في مثال واحد، وبمهارة شديدة وصف مقاومتهم للناس أمثاله في حيث كونهم "مُهَددين"، وهو ما يتضمن بالفعل أن رد فعلهم ليس فكريًا بل دفاعيًا ونفسيًا، ثم يشير إلى أن الطبيعة الصاخبة لدفاعهم ضد علماء الخلق هو بسبب "بعض انعدام الأمن الخفي في منطقهم"، وهكذا تناول الحجج المنطقية بتعبيرات نفس - تحليلية.

وإذا كنا سنطبق مثل هذا النوع من التحليل على المُحلِل، فقد نقترح أن جونسون

ثابت جداً في صواب (وأخلاقية) موقفه لدرجة أنه لا يستطيع استيعاب أن الناس يمكن أن يعارضوه على أرضية فكرية وعلمية جيدة بدلاً من الأرضية الانفعالية، قد يكون هذا صحيحًا، ولكن بنفس القدر يمكن ألا يكون صحيحًا ، وإذا أردنا انتقاده فيجب علينا فقط الإشارة إلى أن محاولته للعب دور المحلِل مبتذلة وفشلت تمامًا في معالجة أي من القضايا الخطيرة المطروحة على بساط البحث، تخمين الرغبة النفسية الباطنية أو انعدام الأمن الفكري الخفي الذي دفعه لفعل ذلك قد يكون تسلية جيدة ومثيرة للغاية، إلا أنه غير مجدٍ وغير ذي صلة على حد سواء للحكم على سلامة قضيته.

* * *

حيث إننا نبدو كلنا الآن محللين نفسيين هواة، ربما يتعين علينا أن نفحص كيف نطبق حرفيتنا بلطف أو بشدة ، انظر كيف تميل غالبًا إلى غواية التكهن بالدوافع النفسية الخفية لتصرفات الناس ومعتقداتهم، ثم اسأل نفسك إذا كان لديك تبريرات محترمة لهذه التكهنات فقد تتعلم شيئًا عن نفسك.

انظر أيضًا :

١٠ . مثير مثلي.

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئًا لك؟

٦٣ . المستشارون سرقوا أصدقائي.

٨٢ . اللسان الحاد لا يعني ذهنًا حريصًا .

٤٣ - مكافحة الجريمة بالموسيقى

العلاقة المتبادلة ليست سببًا

للفنون قيمتها في المجتمع، انظر إلى قاعة ألبرت الملكية في الحفلات الراقصة الليلية، كم عدد أولئك الناس الذين يسلبون السيدات العجائز في طريقهم للبيت؟ ليسوا كثيرين ؛ فلديهم أشياء أكثر أهمية ليقلقوا بشأنها.

Prunella Scales, actor[٦٠]

من المستبعد بالفعل أن أي أحد أثناء عودته من حفل موسيقى كلاسيكية يمكن أن يسلب شخصا في طريقه. لكن مثل هذا الشخص محتمل أكثر من الشخص العادي أن يختلس أموالا من شركته في اليوم التالي، هل يمكن بعد ذلك الاستنتاج أن الاستماع إلى موزار سيجعلك أقل عرضة أن تسلب شخصا ما لكن أكثر عرضة للعبث في الحسابات؟

قد يبدو الاستنتاج غير ناضج في أحسن أحواله وفي أسوأ الأحوال سخيفا ببساطة. والمشكلة هي خلط واضح بين العلاقات المتبادلة والأسباب.

على سبيل المثال، البريطانيون الذين يأكلون عادة لسان الحمل من المرجح أيضاً أن يأكلوا البطاطا بانتظام، هل يعني هذا أن تناول طعام واحد يتسبب في أن يأكل الناس الآخر؟ بالطبع لا، شرح العلاقة المتبادلة هو عامل ثالث: لسان الحمل والبطاطا كلاهما من أساسيات الطعام الكاريبي، والانحدار من عائلة ذات أصل كاريبي هكذا تكون عاملاً مسببًا يفسر العلاقة المتبادلة بين استهلاك هذين النوعين من الأطعمة.

وبالمثل، يظل صحيحًا أن الجمهور في حفلات الموسيقى الكلاسيكية يميل لأن يكون من الطبقة المتوسطة، وهي مجموعة اجتماعية ليست عرضة للقيام بسطو، لكنها واقعيا تحتكر عمليات احتيال الشركات، ومن المحتمل أكثر أن هذه الحقائق العريضة عن الوضع الاجتماعي توضح كثيراً نقص حالات السلب في جماهير الحفلات الموسيقية عن أي تحسن أخلاقي في نوعية الموسيقى.

حتى إذا كانت الموسيقى، في واقع الأمر، تؤثر على أخلاقيات المستمعين فإن النقطة الهامة هي أن العلاقة المتبادلة البحتة بين انخفاض الإجرام والاستماع للأوركسترا لا تظهر أنها تفعل.

إن وجود العلاقة المتبادلة يمكن أن يطرح إمكانية وجود قصة عارضة يمكن روايتها وتربط بين شيئين، مثل الحالة في المثالين اللذين ذكرتهما، لكن غالبًا ما يكون هناك القليل الذي يمكن أن نربحه بذكرها، إن غروب الشمس يمكن أن يفسر كلاً من انغلاق الزهرة وإغلاق بوابات المنتزه بواسطة الحارس، لكن يظل التأثيران بسبب تقنيتين مختلفتين تمامًا ولا رابط عميقا بينهما، بالمثل فإن قطار الساعة التاسعة يغادر في نفس الوقت الذي تبدأ فيه نشرة أخبار الساعة التاسعة (حسنًا، ربما ليس في السكك الحديدية البريطانية)، لكن أن نقول إن الاثنين يتسبب فيهما حلول الساعة التاسعة هو بالتأكيد خطأ: الأوقات هي النوع الخاطئ من الأشياء لتكون أسبابًا، إن التقاسم البحت لعامل عارض عام لا يعطي رابطًا عارضًا بين مثل هذين الحدثين.

القفز من العلاقة المتبادلة إلى السبب يبدو أنه يأتي طبيعيا إلينا، ربما لأن، كما قال دافيد هيوم[٦١]، العلاقة المتبادلة العادية من نوع محدد هي في نهاية المطاف الدليل الوحيد أن هناك شيئًا من هذا القبيل على الإطلاق، مثل السببية (يدعي الكثيرون أنه ذهب لأبعد وادعى أن السببية كانت مجرد شكل لعلاقة متبادلة غير استثنائية)، لكن حتى هيوم سيوافق أنها ليست مجرد أي علاقة متبادلة تلك التي تشير للسبب.

* * *

صفحات الأخبار ممتلئة بتقارير عن العلاقات المتبادلة حيث تتضمن أن هناك بعضا من رابط عارض، انظر - على سبيل المثال - ما الروابط العارضة التي يمكن أن تفترض من النتائج التالية، وكلها نشرت في الإعلام البريطاني: المتغيبون يتعاطون المخدرات بنسبة أكثر من خمسة أضعاف تلاميذ المدارس الآخرين، المحاربون القدماء في حرب الخليج نسبتهم تبلغ ضعف عدد الجنود الآخرين في اعتلال الصحة. السود هم ستة أضعاف من يذهب للسجون من البيض، تستطيع أن ترى كيف يكون من السهل استنتاج بعض الروابط العرضية من هذه العلاقات المتبادلة، لكن ما التفسيرات الأخرى، والمحتمل أن تكون أفضل، لهذه الروابط؟

انظر أيضاً :

١٦ . حظ أفضل .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٥٢ . أزواج ومطلقون ومتعاشرون .

٥٥ . ليست مصادفة .

٤٤ - بأي حق؟

اللعب بورقة الحقوق

بأي حق نلمس ونتشمم حيوانًا استقر تحت السطح لمدة ١٠٠٠٠ عام ؟

David G. Anderson, anthropologist[٦٢]

أصبح إعلان الأمم المتحدة العالمي لحقوق الإنسان وثيقة شبه مفزعة، كمرجع يقاس عليه لياقة بلد ما، وأصبحت جمعيات حقوق الإنسان غير الحكومية، مثل منظمة العفو الدولية واقعيًا فوق النقد؛ لأن ما تدافع عنه واضح العدل للغاية، الحكومات الديمقراطية تصدر القوانين في خوف من أن ينظر اليها كمنتهكة للحقوق "غير القابلة للتصرف" لمواطنيها.

إن حديث الحقوق شديد القوة في المجال العام، لكن بالحديث فكريًا فإن الحقوق تتطلب أقل من الاحترام الشامل، أعلن الفيلسوف والمصلح الاجتماعي جيريمي بنتام مقولته الشهيرة إن الكلام عن "الحقوق الطبيعية هو مجرد هراء: الحقوق الطبيعية والأساسية، هراء خطابي – هراء مؤسس على ركائز"، وافق الكثيرون على نطاق واسع معللين أن الحقوق ليست هي الأسس الأخلاقية للقانون، لكنها نواتج القانون الذي تقوم أسسه الأخلاقية على شيء مختلف تمامًا.

وإذا تبع أحد خط بنتام أو لا، فمن الواضح والجلي أنه ليس واضحًا ولا جليًا ما هي الحقوق، ومن أين أتت وما هي الحقوق التي لدينا حقا، ما هو الحق في الحياة وما نوع البشر الذين يمتلكونه؟ هل الحق في العمل يشمل واجبًا من جانب الدولة لتوفير

العمل؟ هل الحق في حرية التعبير يشمل خطابات الكراهية؟ كل هذه التعقيدات غالبًا ما يجرفها خطاب "اللعب بورقة الحقوق".

أحد السبل القوية للقيام بهذا هو أن نسأل "ما هو الحق الذي لديك كي...؟" فهي تضع الشخص المستجوب على أعقابه ويبدو أنها تتطلب إجابة، لكن هل يجب أن نعطي إجابة؟ عموما، نحن لا نطلب حقوقا محددة للقيام بتصرفات محددة، الشخص الذي يتحدانا لكي نقر بأي حق نصفِّر أو نستعمل المراحيض أو نقرأ الصحف في القطار سيكون سؤاله غريبًا للغاية حقًا، فنحن عمومًا لدينا الحق في أن نفعل ما نريد، ما دمنا لا نكسر القانون أو ننتهك حقوق الآخرين في عدم التدخل.

وكجزء من ترسانة مجادلاته، وجه عالم الأجناس دافيد جي أندرسون سؤالاً بلاغيًا عن أي حق لنا حتى نحفر لاستخراج بقايا ماموث، جاء السؤال في سياق جزء شيِّق من التفاصيل والطقوس والأساطير – وهي كلمة ربما تكون اجتهادية للغاية – لشعب الايفنكي وهم السكان الأصليون في سيبيريا، فقد أشار إلى الصراعات بين العلماء الذين يريدون أن يضعوا أياديهم على بقايا الماموث والإيفنكي، الذين يسمحون لهذه البقايا أن تذهب فقط بشرط أن يتم "تقديمهم" هم أيضًا، وحتي عندئذ ينبغي أن تُترك لهم هدية في المقابل.

قد تكون هناك أسباب لعدم استخراج بقايا الماموث – مثل الاحترام أو الرغبة في عدم الإساءة – لكن ليس لزامًا على الذين يحفرون أن يُظهروا بأي حق يفعلون ذلك، إن القول إن الماموث الميت له حق في ألا يُزعج بالتأكيد يمد مفهوم الحقوق بعيدًا جدًا، وليس الأمر أن الايفنكي لهم حق غير قابل للتصرف في عدم التعرض للإساءة، وكما قال جون ستيوارت ميل بإقناع، إذا كان الأمر كذلك لكنا قد منعنا أي شيء يعتبره أي شخص إساءة، الحق الوحيد الذي نحتاجه هو الحق القانوني للحفر في الأرض وأخذ ما نجده.

يمكن أن تكون بالضبط قوة بلاغية أن نسأل بدون وجه حق بأي حق يتصرف الناس، فندَّعي حقًا في تبرير تصرف ذاتي لشخص ما، لكن عندما يدعي الناس أن

الحكومة مدينة لهم بمساندة الحمل الاصطناعي بطفل لأن لهم الحق في الحصول على أطفال، أو أنهم يجب أن يسمح لهم بنشر العنصرية أو كراهية المثلية الجنسية لأن لهم الحق في حرية التعبير، أو حتى أنه لا داعي للسيطرة على الأسلحة النارية الضخمة في أمريكا من أجل الحق في حمل السلاح، فيجب أن يكون واضحًا أنه من السهل جدًا إثارة ما يبدو حقًا لا يمكن الاعتراض عليه لتبرير مسار تصرف مثير للجدل.

* * *

لأي درجة أنت محق بالنسبة للحقوق؟ هل لك الحق في وظيفة؟ إذا كان الأمر كذلك، هل لشخص آخر الحق في أن يُفعِّل هذا الحق؟ هل حقك في إبداء رأيك يمتد إلى الحق في أن يُسمع؟ هل تساند حقوق اللاجئين في الحصول على ملاذ في بلادك؟ أي الحقوق تعتقد أنه قد يصاحبها واجبات؟

انظر أيضًا :

٣١ . أبي يقول .

٥١ . ثغرات قانونية .

٦٦ . اثبت نفسك .

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٤٥ - درس الماضي
تأثير خاطئ

يمكن التعامل بطريقة أفضل مع الجريمة والإرهاب بعشرة آلاف رجل شرطة أكثر وقوة حدود وطنية، بدلاً من إنفاق ٣ بليون جنيه إسترليني على بطاقات هوية لم تحم الناس في الولايات المتحدة أو إسبانيا ويمكن أن تقلّص الحقوق والحريات البريطانية.

Matthew Taylor, chairman of the Liberal Democrats[٦٣]

روى برتراند راسل ذات مرة قصة عن الديك الرومي الذي، لوحظ أنه يتناول تغذيته عند شروق الشمس، استنتج أنه "دائمًا أتناول غذائي عند شروق الشمس" أصبحت قاعدة عامة ، وفي صباح يوم الكريسماس كانت صدمة له، فبدلاً من مرور طعامه من خلال رقبته، فقد جُزت رقبته.

مغزى القصة أنه، على الرغم من أننا لا نملك خياراً إلا أن نؤسس توقعاتنا بالنسبة للمستقبل على خبرات التاريخ، فإن الأداء السابق لا يعد ضمانًا لما سيأتي به المستقبل.

ببساطة ما نفعله ويدل بالتأكيد على حقائق عن الحاضر والمستقبل من الماضي هو "مشكلة التأثير"، وهذا ما أزعج الفلاسفة لقرون، لكن على الرغم من أن الموضوعات الفلسفية العميقة لم تحل بعد، فلدينا فكرة، لأغراض عملية، لما يعتبر استنتاجًا لا مبرر له من الماضي .

إن اعتراض ماثيو تايلور على بطاقات الهوية يُعتبر تدخلاً غير مبرر، فقد أشار إلى أن هذه البطاقات فشلت في إيقاف هجمات الإرهابيين في نيويورك ومدريد، مستنتجاً أن النقود التي تتطلبها الخطة قد تخدم الأمن ومقاومة الجريمة أكثر إذا تم إنفاقها على "شرطة أكثر وقوة حدود وطنية".

وكحجة هذه ليست أفضل من القصة البالية "إن جدتي دخنت عشرين سيجارة في اليوم وعاشت حتى ١٠١"، وماذا في ذلك؟ لا يقول أحد إنك إذا دخنت فسوف تموت بالتأكيد بسبب هذه العادة، الادعاء فقط هو أنها تزيد بقوة من فرص الموت المبكر، ولا يمكن لحالة مثل المدخنة التي تعدت المائة أن تجعل هذا الادعاء عاراً على الصحة، وبالمثل، هناك سبل عدة تستطيع بها أن تزيد من فرص إطالة حياتك، وحالة الشخص الذي لم يدخن، ويشرب قليلاً، ويمارس الرياضة يومياً ولم يكن زائد الوزن لكنه سقط ميتاً بأزمة قلبية في عمر ٣٢ لا تغير من هذه الحقائق العامة.

في ١١ سبتمبر، بالطبع لم يكن سكان نيويورك محميين ببطاقات الهوية الإجبارية، لأن الولايات المتحدة لم تكن قد أصدرتها. وفي مدريد، لم توقف الهجمات الإرهابية، لكن حتى أكثر المدافعين تعاطفا لا يدعي أن بطاقات الهوية الشخصية وقاية مضمونة ضد الإرهاب، مثل الشخص السليم الذي يسقط ميتاً، لم يثبت الشخص الإسباني الذي يحمل بطاقة هوية شخصية وقتل في ٩ مارس ٢٠٠٤ أي شيء عن المساهمة التي تكون بطاقة الهوية قد شاركت بها في الأمن.

الخطأ في الاعتقاد أنها تفعل يتعقد عند النظر في أننا لسنا نقارن حتى المثل بالمثل، النظام البريطاني يمكن أن يعمل بينما الإسباني لم يعمل لأنه يمكن أن يكون مختلفاً بدرجة كبيرة.

عدة أشياء يمكن أن تساعد في خلق فجوة الهاوية بين "لم تنجح هناك وقتها" إلى "لن تنجح هنا والآن"، الأول أن "هي" قد لا تكون نفسها – أو على الأقل شبيهة بصورة

كافية – في كلتا الحالتين، والثاني أن الظروف "هنا والآن" قد تختلف في الجوانب ذات الصلة عن تلك المتصلة "بهناك ووقتها"، الثالث أن القياس الذي صمم لزيادة أو نقصان احتمال حدوث شيء ما يمكن أن "ينجح"، حتى إذا لم يوقف ذلك الشيء أو يسبب حدوثه في مناسبة خاصة، أجهزة إنعاش القلب تعمل حتى على الرغم من فشلها في إنقاذ حياة بعض الناس .

ومع ذلك، ألسنا مضطرين أن ننسج من خبراتنا في الماضي بطريقة ما لكي نتعلم للمستقبل؟ قد يكون صحيحاً أنه شيء قد تبع مباشرة أحداث إسبانيا، لكن ألا ينبغي أن تُفيد خبراتها نقاش المملكة المتحدة؟ حسنا، نعم، الخدعة هي تقسيم وزن خبرة الماضي لتتناسب مع الصلة التي لها مع ظروف الحاضر، حتى عندما لا ينجم شيء بالتحديد مما حدث في الماضي، فسيكون من الحماقة أن ننسى ذلك كله تماماً .

* * *

انظر إلى بعض الحالات الصعبة حيث يكون التعلم من أماكن أو أوقات أخرى غير واضح، كيف يمكن لأمريكا أن تتعلم من النموذج الاجتماعي الإسكندنافي، بينما الثقافتان مختلفتان تماماً؟ هل سلوك أسلافنا في المرحلة الباليوسية يخبرنا بالفعل أي شيء عن الطبيعة البشرية الآن؟ هل احتلال العراق بواسطة الولايات المتحدة وحلفائها يمكن أن يكون أكثر نجاحاً إذا كان الجنرالات والسياسيون قد درسوا تاريخ العراق؟

انظر أيضاً :

٢٠ . الفرقة الغنائية التي بدَّلت حياتي .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٤٣ . مكافحة الجريمة بالموسيقى .

٦٢ . من قال إن التدخين قاتل؟

٤٦ - مخلوق غريب

هراء متسق منطقيا

الآلهة ليست كائنات ميتافيزيقية مولودة من خيالات بشرية مفرطة، لكنها مخلوقات من خارج الأرض تركت أثاراً لوجودها في كل مكان على الأرض.

Erucg vib Dniken, author of Chariots of the Gods?(٦٤)

قرأت كمراهق مؤلف إريك فون دانيكن "عربات الآلهة؟" بسحر مكثف، كانت نظريته المدهشة هي هذه، في الأوقات القديمة، زارت مخلوقات فضائية الأرض، وتركت وراءها آثاراً وتناسلت معنا، وخطوط النازكا في بيرو كانت، كما ادّعي، هي مدرجات الهبوط لسفينة الفضاء، بينما يشرح تدخل المخلوقات الفضائية انتصارات لا تصدق في الهندسة مثل نصب ستون هنج والأهرامات العظيمة، وقصص الآلهة القادمين من السماوات ليست أساطير قديمة، بل حكايات حرفية عن الزائرين من خارج الأرض.

نظرية فون دانيكن لها ملمحان يجعلانها مقنعة، على الرغم من ضعف الدليل عليها: الأول أن هذه النظرية تلائم الحقائق إلى حد كبير، قد تعتقد أن هذا يؤكد عليها، لكن بالفعل أي عدد من النظريات الغريبة يمكن أن يلائم الحقائق، على سبيل المثال، نظرية أن جوجل تخطط للسيطرة على كل معلومات العالم تلائم كثيراً من الحقائق المعروفة: فلديهم عدد كبير من الناس الذين يعطون معلوماتهم الخاصة، وهم يسيطرون على البحث في الشبكة، ومرافق وثائق جوجل لا تخزن فقط ملايين الملفات، ولكن أحكامها وشروطها تعطي جوجل بالفعل "ترخيصاً على اتساع العالم، غير حصري، ولا يفرض

إتاوات لإعادة الإنتاج أو التكييف أو التعديل أو النشر والتوزيع لمثل هذه المحتويات على خدمات جوجل بغرض العرض والتوزيع وتطوير خدمات جوجل"، مخيف، أليس كذلك؟

المشكلة أن ملاءمة الحقائق ليست نفس الشيء مثل أفضل شرح للحقائق، إذا اختفت قطتي، نظرية أن القطة هي المسيا القططية وأنها صعدت إلى سماء القطط تلائم هذه الحقيقة، لكنها ليست أفضل تفسير لها، ومع ذلك؛ فنحن نتأثر بسهولة عندما يبدو التفسير ملائما لحقائق عديدة، كما فعل فون دانيكن بدون شك.

ثانيا، وجهة نظر فون دانيكن متسقة داخليا؛ فهو يعمل بنظريته بدقة مثيرة للإعجاب، حتى أن كل أجزائها تتلاءم معًا بطريقة محكمة، ومثل ملاءمة الحقائق، هذا مرة أخرى ما يتم التفكير فيه عادة كتزكية لنظرية، لكن إحكامها المنطقي هو أقل ما يُطلب لنظرية كي ينظر إليها بجدية، النظرية الجيدة يجب أن تفعل أكثر من هذا: فهي تحتاج لتفسير الظاهرة تحت الفحص بطريقة أفضل من النظريات المنافسة، لكن فكرة أن زيارات المخلوقات الفضائية دفعت تطورنا، بيولوجيًا وفكريًا، مسرفة للغاية، ومتضاربة كثيرًا، وتخلق كثيرًا من الأسئلة الجديدة عن الفرضية المنافسة التي تقول إننا لا نزال مرتبكين بأنفسنا.

أحيانا، تكون النظرية المحكمة منطقيًا والتي تلائم الحقائق مثيرة للشك لأنها تفسر الكثير، هناك كل أنواع الفجوات في النسخة الرسمية لاغتيال جون كنيدي، على سبيل المثال، لكن الكثير من نظريات المؤامرة تعد بتفسير كل شيء، وبعيدًا عن كونها علامة على مصداقيتها، فقد يشير هذا إلى العكس بالضبط: النهايات المفتوحة هي المتوقعة غالبًا إذا ما قصرنا أنفسنا على ما هو معروف.

ينبغي أن نتعلم أن نكون أقل إعجابًا بمجرد التماسك، أفضل التفسيرات ليست فقط محكمة، بل قابلة للاختبار، ولها قوة تنبؤية، وتلائم ليس فقط حقائق الحالة لكن الحقائق المعروفة الأخرى أيضًا.

* * *

الدفاع عن الصفات الإلهية هو محاولات للتصالح مع المخاوف العظيمة والمعاناة في العالم بوجود إله كلِّي القوة والمحبة، وأعتقد أنها تنجح غالبًا في إظهار أنه ليس هناك تناقض منطقي بين الشيئين، لكن ألاَّ تفشل في أن تفي بكل المعايير لنظرية متكاملة؟ أنت لا تستطيع أن تختبرها، وقواها التنبؤية والتفسيرية ضعيفة، حيث لا يوجد أحد يؤمن بالإله الصالح ويمكن أن يتوقع بالفعل أنه يسمح بالتعذيب والاغتصاب الجماعي والتسونامي أو بالأمراض التي تنهش لحوم البشر، أليست الحقائق المعروفة عن عدد الأشياء المخيفة التي تحدث في الأرض تلائم أكثر التفسير أن الإله إما غير موجود وإما أنه لا يهتم؟ هل يمكن أن تكون فرضية الإله الصالح هي أكثر الأمثلة الرديئة للهراء المتماسك منطقياً لدينا؟

انظر أيضاً :

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

٤٨ . سيقولون ذلك .

٦٢ . من قال إن التدخين قاتل؟

٩٨ . كثير من اللا شيء لا يكفي .

٤٧ - نفس القصة البالية

حجة الإرهاق

أنا لا أقبل فرضية أنه لم يمتلك أسلحة دمار شامل..، بالتأكيد كان لديه القدرة، وكان لديه النية في الاستمرار في تطوير البرامج، ومؤكد جداً أنه عارض قرارات مجلس الأمن في ذلك؛ لذا، أنا لا أعتقد أننا نحتاج للسير على تلك الأرض القديمة مرة أخرى.

Sir Jeremy Greenstock, Her Majesty's former special representative in Iraq(٦٥)

الموسيقى الشعبية للفلاسفة حقًا ، ويأتي كني روجرز بالتأكيد في صفوف الأفلاطونيين، في "المقامر" يقول روجرز يجب أن "تعرف متى تذهب بعيداً وأن تعرف متى تركض،" لكن عندما يتصل الأمر بالمناقشات المنطقية، يكون من الصعب أن تقرر متى يكون وقت الهدوء صائباً.

جزء من المشكلة هو ما يمكن تسميته "حجة التعب"، حيث يتم الفوز بالمناقشات، أو على الأقل التخلي عن المواقف؛ لأن الناس قد أنهكوا فحسب، إذا سمعت حجة فاسدة بتكرار كاف، فقد ينتهي بك الأمر إلى التفكير أنها ليست فاسدة بالمرة، وبالمثل، إذا رفضت حجة جيدة عدة مرات، فسينتهي الأمر بالناس إلى الاعتقاد أنه لا بد أن يكون هناك شيء في التفنيد.

أعطى إدي ميرفي مثالاً هزليًا عن قوة المثابرة في أحد عروضه المعتادة، فقد وصف رجلا شاهدته حبيبته يغادر بيت سيدة أخرى، وعندما واجهته بهذا كان كل ما

فعله أنه أخذ يردد ببساطة "لم أكن أنا"، بعد حين، ساورت الشكوك الجدية المرأة عما إذا كانت بالفعل قد رأته في المقام الأول، هذه مبالغة بشعة لكن، لسوء الحظ، هناك شيء فيها، التجارب النفسية تظهر أنه إذا ادَّعت أغلبية مجموعة أن الأقصر بين خطين هو بالفعل الأطول، سيصدقهم الآخرون غالبًا ولن يصدقوا الدليل الذي تدركه حواسهم.

هذه هي قوة "حجة الإرهاق" التي تحتاجها أحيانًا للإشارة إلى شيخوخة المناقشة لتحقيق تأثيرك، قد تسأل، "هل يجب عليك أن تخوض في هذا مرة أخرى؟" قد تكون الإجابة "نعم"، لأن المناقشة السابقة كانت غير حاسمة، لكن يبقى أن الشخص الذي يعود مرة أخرى للمشكلة قد شعر أنه مضجر أو أنه على خطأ، وليس الشخص الذي يرفض أن يشارك.

السير جيريمي جرينستوك، الممثل الشخصي السابق لصاحبة الجلالة في العراق فعل هذا عندما سُئِل عن الادعاءات بأن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل، في وقت لم تقر فيه الحكومة البريطانية خطأ مخابراتها واستمرت الحرب مفترضة جزئيًا الاستناد إلى ادعاء أسلحة الدمار الشامل، كان تصنيفه للنزاع على أنه "أرض قديمة" غير عادي،

إن مقاومة حركة "حجة الإرهاق" يتطلب الوقوف على التخويف الذي تتضمنه، فقد ترد بهدوء أن الموضوع قد يكون قديما لكن، حيث إنه لم يتم الحصول على إجابة مناسبة، فهو لا يزال حيًا.

* * *

من الصعب أن نكون أمناء فعلا عندما نكون ببساطة قد مللنا من المجادلة وعندما يقال كل ما يمكن أن يكون مفيدا، ألا يفهم علماء خلق الكون أن التطور ليس "مجرد نظرية واحدة بين نظريات كثيرة" أو هل هم يقدِّمون نقاطًا لم يقدم علماء التطور

إجابات مناسبة عليها؟ هل الأسئلة التي وضعت عن تقرير وارين لم يتم الإجابة عليها لمجرد أن الناس الذين يستمرون في التساؤل تم تصنيفهم كمخابيل يتبعون نظرية المؤامرة ويرفضون الاستسلام؟ هل تم تفنيد الاتهامات أن جورج دبليو بوش سرق الانتخابات الرئاسية ٢٠٠٠ أو تم إخفاؤها بالقوة؟ ما الذي قد تم استنفاذه – الحجج أم أنت؟

انظر أيضاً :

١ . شيء لا يصدق .

٣٠ . عزيزي القارئ الحكيم .

٧١ . ما لم يعرفه شيرلوك .

٩٨ . كثير من اللا شيء لا يكفي .

٤٨ - سيقولون ذلك
تحصين ضد الخطأ

الحب الرومانسي له الأسبقية على سائر العلاقات، ربما لأنه يوفر هروبًا من الواقع، هو خدعة كاملة ، بالطبع، لأنه لا يستمر، وأي شخص يقول إنه يستمر فهو كاذب.

Emma Thompson, actor[٦٦]

سعت الفلسفة للكأس المقدسة للمعرفة منذ ولادتها في اليونان القديمة، عكست الفلسفة في كثير من الأحيان رغبة إنسانية عامة في توضيح الأشياء، هذه الرغبة يمكن إرضاؤها نفسيا، إن لم يتم ذلك منطقيًا - من خلال تبني المعتقدات المحصنة ضد احتمالات الخطأ.

تأكيد تومسون عن الحب الرومانسي مثال نموذجي، فهي تعتقد أنه لا يستمر مطلقا، والمشكلة، بالطبع، أن هناك بعض الناس الذين يدّعون أنه يستمر، ومع ذلك إذا تبنت تومسون مقولة "الناس الذين يقولون إن الحب الرومانسي يستمر هم كاذبون"، إذن فلن يكون مثل هذا الاعتراف دليلاً ضدها، إذا أنت وافقت فأنت تضيف دعما لفرضيتها، لكن إذا لم توافق، فهذا يظهر بوضوح أنك كاذب، وهذا أيضًا يلائم فرضيتها، وفي كلتا الحالتين إما أن تفوز هي وإما أن تخسر أنت.

وإذا كنت مقتنعًا مثلما تبدو تومسون، فإن أي مثال مضاد واضح يمكن تفسيره، الزوجان لمدة طويلة آدام وستيف قد يمثلان ويتحدثان كما لو أنهما لا يزالان في علاقة

حب، تومسون تستطيع دائمًا الاستمرار في قول إنهما في أعماقهما ليسا كذلك، أو إن ما يسمونه "حبًا" ليس في الحقيقة حبًا رومانسيًا (بالمناسبة، قد تكون تومسون على حق في أن الحب الرومانسي لا يستمر، لكن الطريقة التي تستبعد بها الأدلة المضادة الممكنة هي التي تضايقني).

تقليديا، هذا النوع من الادعاء يمكن أن يطلق عليه غير قابل للتزييف، وهذا يعني أنه لا شيء يمكن أن يحسب كدليل على زيفه، ويبدو أن جان بول سارتر قد قدم ادعاء مماثلا غير قابل للتزييف عندما ادعى أننا كلنا نشعر بالمعاناة، وأن السبب في أن بعض الناس لا يظهرون معاناتهم هو أنهم "يدارون معاناتهم أو أنهم في حالة هروب منها"؛ هذا يعني أنه لا يوجد أحد يمكن أن يظهر كمثال مضاد لفرضيته، عدم وجود معاناة واضحة يمكن دائمًا أن يفسر كنتيجة للمداراة أو الهروب.

لا يُقدم الناس عادة ادعاءات غير قابلة للتزييف لكي يحصنوا أنفسهم بوعي ضد الخطأ، بالعكس فإن شعبية مثل هذه التأكيدات هى بالضبط يقينها الواضح، وحقيقة أنه لا يوجد دليل ضد هذه الفرضية هو عادة سبب جيد لافتراض أنها صحيحة، لكن أحيانًا نفشل في ملاحظة أن غياب الدليل المضاد يرجع إلى احتمال أنه استبعد أثناء صنع الادعاء، فتكون مثل قضية في المحكمة حيث يكون الشهود الوحيدون المقبولون هم شهود الإثبات، في مثل هذه المحاكمة المتلاعبة، لن يكون مدهشًا أن كل الأدلة تأتي في جانب واحد.

التحصين ضد الخطأ يبدو شديد الوضوح في نظريات المؤامرة، حيث إن دليلي المضاد يمكن أن يُنظر إليه باعتباره دليلاً على فاعلية المؤامرة، اللجنة الرسمية لأحداث ١١ سبتمبر – على سبيل المثال – ينظر إليها باعتبارها جزءًا من المؤامرة، وهكذا فكل الأدلة التي قدمتها يمكن أن تُرفض ببساطة، ويتم دحض الدليل المضاد الظاهر بالقول، "سيقولون ذلك".

وحتى إذا لم نكن منجذبين لنظريات المؤامرة، مثل هذه الطرق في التفكير شائعة للغاية، لقد قابلت مسيحيين يرفضون قبول الدليل على أن غير المؤمنين قد استمتعوا

بحياتهم؛ لأن لديهم معتقداً أساسيًا أن كل واحد في أعماقه يعاني من الانفصال عن المسيح، سواء يعرف ذلك أم لا، وبالمثل كثير من غير المؤمنين يرفضون قبول المعقولية الظاهرة لكثير من المؤمنين على أساس أن أي شخص متدين يعاني من وهم غير عقلاني، ويبدو أننا لا نستطيع التوقف عن محاولة تحصين أعز معتقداتنا ضد الخطأ، إذا قلت إنك لا تفعل، فأنا أراهن أنك تكذب أو أنك أحمق أو في حالة إنكار.

* * *

هل سبق لك أن رفضت وجهة نظر معارضة لك بالقول "سيقولون ذلك" كردة فعل شبيهة بالجهاز المناعي؟ أحد أكثر الأسئلة بحثًا يمكن أن نوجهه لأنفسنا هو: ما الذي يمكن أن يجعلني أراجع أكثر معتقداتي صلابة؟ إذا لم تستطع التفكير في دليل واقعي يمكن أن يفعل هذا لك، فإن الاحتمال أنك أصبحت متمسكًا بآرائك لدرجة عدم قبول احتمال أنها يمكن أن تكون خطأ.

انظر أيضًا :

٧ . لأني أقول هذا .

٢٩ . قتيل، نعم، قاتل، لا .

٧٤ . الجميع مخنثون .

٩٩ . الشيء الحقيقي .

٤٩ - هنا تكمن الكارثة

منحدرات زلقة

إنها بداية منحدر طويل وزلق جدًا ولن يستطيع أحد منًّا أن يقول أين سينتهي.

Robert Hazell, Professor of government[٦٧]

كانت السياسة البريطانية لعقود تتصارع مع "استجواب وست لوثيان": فمع انتقال السلطة في اسكتلندا وويلز أو أيرلندا الشمالية، يظل أعضاء البرلمان من هذه المناطق يصوتون على موضوعات تخص الإنجليز وحدهم، إلا أن النواب من الدوائر الانتخابية الإنجليزية ليس لهم صوت في مسائل البلاد الأخرى في المملكة المتحدة، ومنذ قدَّم تام دليل الاستجواب أول مرة في ١٩٧٧، انتقلت سلطات أكثر إلى الجمعيات الوطنية، لكن ظلت إنجلترا وحدها تحت سيطرة برلمان المملكة المتحدة، الأمر كله فوضوي وغير متسق للغاية.

أحد الحلول يبدو بسيطا وواضحًا: عندما ينظر البرلمان في تشريع يخصُّ انجلترا وحدها، وقتها يكون لأعضاء البرلمان الانجليز وحدهم الحق في التصويت، واقعيًا يخلق هذا برلمانًا داخل برلمان - واحد انجليزي داخل آخر بريطاني.

يعتقد البروفيسور روبرت هازل، مدير وحدة الدستور في كلية الجامعة بلندن، أن هذه فكرة سيئة لعدة أسباب، أولها إنها ستكون "بداية منحدر طويل وزلق جدًا".

المشكلة مع حجة المنحدر الزلق أنها تغشي التركيز عن نقطة الجدل، في حالة استجواب وست لوثيان، نحتاج أن نسأل: هل يكون شيئًا سيئًا في حد ذاته أن يكون

لنا برلمان داخل برلمان، أم ستكون مشكلة فقط إذا قادنا هذا لمزيد من تفتيت المملكة المتحدة؟ التذرع بحجة منحدر زلق يمكن أن تكون وسيلة لتجنب السؤال الأول.

بتعبيرات عامة، بدلا من التركيز على الخطأ الحقيقي في الموضوع المطروح للمناقشة، تنقل حجة المنحدر الزلق تركيزنا لامتداداتها غير المقبولة، بهذه الطريقة يمكن أن نحول انتباهنا عن الموضوع الحقيقي وننظر لأماكن أخرى، وهو غالبًا الحال عندما نناقش تقنيات طبية حديثة، فبدلا من السؤال عما إذا كان من الأخلاقي خلق إنسان مستنسخ، على سبيل المثال، يتحول الجدل إلى الأشياء الأخرى التي قد تحدث إذا بدأنا هذا السبيل، غالبًا تكون هذه مخاوف لا أصل لها، على سبيل المثال، من أن حكاما دكتاتوريين يخلقون آلافا من النسخ على شاكلتهم، لكن حتى إذا كانت هذه السيناريوهات المتخيلة معقولة، فإن النقاش بهذه الطريقة لن يخبرنا بحق عما يجب أن نعرفه بإلحاح، وهو إذا كان خلق مستنسخات بشرية صحيحًا في حد ذاته.

إن حجة المنحدر الزلق يمكن أن يكون لها وزن إذا كان هناك احتمال كبير للنتائج غير المقبولة أن تحدث في الحقيقة، وهي بالفعل غير مقبولة، يعلم هازل تاريخه الدستوري، وعندما يقول إن برلمانا داخل برلمان يخاطر بأخذنا قدما على طريق تفكك المملكة المتحدة أكثر مما نريد، فيجب الاستماع إليه، المشكلة هي أن معظم حجج المنحدرات الزلقة، لا يوجد أي تقييم واقعي عن احتمال فشلها.

مشكلة أخرى كبيرة مع حجج المنحدرات الزلقة وهي أنها تميل إلى التقليل من المدى الذي يمكن فيه جعل المنحدرات أقل زلاقة، بالتذرع بشعور الحتمية، يشجعوننا على أن نصبح قدريين ربما أكثر مما يجب، على سبيل المثال، تقنين الإجهاض لم يضعنا على منحدر زلق نحو وأد الأطفال، في الحقيقة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة، معظم الضغط حاليا يأتي للتقليل من عدد الأسابيع التي يمكن أن يجهض فيها الجنين قانونيا.

عند المواجهة مع حجة المنحدر الزلق، يجب توجيه سؤالين: الأول، هل الممارسة المنظورة مرفوضة بحد ذاتها؟ وإذا كان الأمر كذلك، إذن فإن الامتدادات المتوقعة لا

علاقة لها بالموضوع، إذا كانت الممارسة غير مرفوضة بحد ذاتها، نحتاج إذن أن نسأل، إذا بدأنا هذا الطريق، هل من المرجح أن الممارسة قد تمتد لحالات تكون فيها مرفوضة؟ فقط في هذه الحالة لن يكون لحجة المنحدر الزلق أي مفعول، وحتي في هذه الحالة فإن هذا فقط يعطي أسبابا لإيجاد ضمانات لمنع الامتداد غير المرغوب فيه.

* * *

إلي أي حد يكون العديد من المنحدرات التي يتم تحذيرنا منها باستمرار منزلقًا بالفعل ؟ هل التساهل إزاء المخدرات الخفيفة يؤدي في الحقيقة إلى قبول المخدرات الأقوى؟ هل القيود على الحرية والدفاع عنها باعتبارها ضرورية في الحرب على الإرهاب تشكل خطرا في تقويض الحريات الأساسية في الديموقراطيات الغربية؟ هل السماح بالتحسينات الجينية في الرحم سيؤدي حتما إلى مستقبل يتم فيه تقسيم المجتمع إلى من يملكون جينات معينة ومن لا يملكون؟

انظر أيضًا :

٥ . تحدث عن نفسك .

١٩ . إن لم يكن واضحا فلن يكون واقعيا .

٨٥ . الخوف من الفلفل الأسود .

٩٧ . هجوم على الشجيرات القاتلة .

٥٠ - كلمات لاذعة

حكمة زائفة باطلة

يبيع الفقراء المخدرات لكي يتمكنوا من شراء نايك، ويبيع الأغنياء نايك لكي يتمكنوا من شراء المخدرات.

Frédéric Beigbeder, L 9.99 (٦٨)

يتم التفجع على نطاق واسع في دوائر خطيرة بمقولة أننا نعيش في عصر الكلمات اللاذعة والبيانات القصيرة، وأن الحجج المدققة قد تم استبدالها ببلاغيات سريعة الطلقات لجيل فترة التركيز صفر، العبارة القصيرة والحادة التي يمكن حفظها سلطان.

مع ذلك، "الكلمة اللاذعة" تعبير متعسف أكثر منه وصفًا واقعيًا، إذا وافقت على ما سمعته وتذكرته بقوة فجأة لا يصبح كلمة لاذعة بعد كل شيء، بل قولاً مأثوراً أو "لؤلؤة الحكمة"، الأقوال المأثورة المأخوذة من الأدب أو الأفلام أو المسرح غالبًا تكرم على هذا النحو، ومن أجل التأكيد على سماتها المشتركة مع الكلمات اللاذعة، دعنا نسميها كلمات لاذعة حكيمة.

ما يثير السخرية أن الناس الذين غالبًا ما يزدرون الكلمات اللاذعة لضحالتها غالبًا ما يستسلمون لكلمة لاذعة حكيمة ومع ذلك فارغة على قدم المساواة إن لم يكن أكثر، خذ، على سبيل المثال، رواية فريدريك بيجبيدر "L 9.99". فقد أفردها أحد المعلقين كمثال على قدرة الكاتب البارعة فى ضرب المسمار على رأسه، لكن هذه الكلمة اللاذعة الذكية تنهار عند أدنى فحص فهي غير صحيحة بالمرة.

بالطبع يبيع بعض الفقراء المخدرات من أجل توفير مزيد من السلع الاستهلاكية، وبعض العاملين في الشركات متعددة الجنسيات يتعاطون المخدرات، لكن الكلمة اللاذعة الحكيمة تتضمن أكثر كثيراً من هذا - فهناك نوع من الحلقة المفرغة للاستهلاك: الأغنياء يخلقون الاحتياج أو الرغبة عند الفقراء للحصول على السلع الاستهلاكية حتى يمكنهم أن يمولوا إدمانهم للمخدرات، والتي بدورها يمدهم بها الفقراء، وهكذا تكون الرأسمالية نوعا من الآلية ذاتية الاستدامة لإبقاء الفقراء فقراء والأغنياء منسطلين، لا يمكن أن يكون هذا هو الوصف الدقيق أو المتروي للعلاقات الحقيقية المعقدة بين متعاطي المخدرات والموردين، أو بين موظفي الشركات متعددة الجنسيات والفقراء.

هل حقًا يبيع الفقراء بصفة عامة المخدرات؟ تجار المخدرات غالبًا ما يأتون من خلفيات فقيرة، لكنهم يصبحون في الحقيقة أثرياء للغاية، وكثير من مخدراتهم تُباع في الواقع للفقراء الذين يبقيهم إدمانهم في فقر مدقع، لكن هنا لا تروق للطبقات المثقفة فكرة أن الفقراء السابقين يستغلون من لا يزالون فقراء مثلما تفعل فكرة أن الفقراء هم ضحايا الشركات الجشعة.

انزع بعيدا الهراء عن الكلمة اللاذعة الحكيمة، تجد نفسك مع بديهية أن الفقراء يطمحون في الحصول على السلع المادية، وهذه الرغبة يغذيها جزئيا المنتجون لهذه السلع، وعلاوة على ذلك، فإن بعض الأثرياء يتعاطون المخدرات، وهذا في الحقيقة لا يترك الكثير من المقولة الأصلية متماسكًا.

قارن هذا مع كلمة لاذعة صادقة، رئيس وزراء انجلترا السابق توني بلير قال "لا توجد حقوق بدون مسئوليات"، هذه الكلمة فيها تبسيط شديد، الأطفال الرضع، على سبيل المثال، لهم حقوق بدون مسئوليات، لكن رغم الاستثناءات الواضحة تظهر هنا على الأقل نقطة خطيرة، إذا كنا سننال حقوقا في مجتمع إذن بالتأكيد هناك

مسئوليات توضع على الناس لا يمكن المساس بها، الوجود العام للحقوق يترتب عليه مسئوليات مصاحبة.

في معركة اللاذعات هذه، الكلمات اللاذعة المستهزأ بها والتي تخرج منها اللاذعات الأقوى والمحتفى بحكمتها يتبين أنها جوفاء.

ويبدو أننا على استعداد لأن نخدع بالكلمات اللاذعة "المأثورة" الحكيمة لكاتب أو شاعر أو مثقف بينما نرفض الكلمات اللاذعة للسياسيين التي مزاياها النسبية نادرا ما تفرض نفسها.

* * *

كم من المقولات القديمة الحكيمة كان بالفعل حكيما؟ انظر إلى بعض من أكثرها ديمومة: "الحياة غير المختبرة لا تستحق أن تعاش"، "بدون الله، أي شيء مسموح"، "السلامة أفضل من الاعتذار" ، هل هذه رؤى حقيقية أم مجرد كلمات لاذعة ملتصقة بأذهاننا؟

انظر أيضاً :

٢١ . موسيقى المزاج .

٣٠ . عزيزي القارئ الحكيم .

٤٦ . مخلوق غريب .

٨٦ . ليس هناك جانب مظلم للقمر .

٥١ - ثغرات قانونية

القانون والأخلاق

لم أرتكب خطأ، لم أكسر القوانين، لم أخالف قواعد البرلمان.

Congressman Ton Delay[٦٩]

في ٢٠٠٥ وجهت هيئة محلفين كبرى في ولاية تكساس إلى عضو الكونجرس الجمهوري توم ديلاي تهمة التآمر لانتهاك قوانين الولاية الانتخابية المتعلقة بتمويل الحملات السياسية، أنكر ديلاي التهمة قائلا إنه كان مدفوعا سياسيا: قاد التحقيق في تمويل الحملة ترافيس كاونتي، والمدعي العام لتكساس روني إيرل، وهو ديموقراطي، لم يحاول ديلاي – وهو زعيم سابق للأغلبية – أن يرشح نفسه في ٢٠٠٦، وهو ينتظر المحاكمة حتى وقت كتابة هذه السطور.

هل ارتكب ديلاي أي خطأ؟ من ناحية أخرى من المبكر بالطبع القول: يجب علينا انتظار نتيجة المحاكمة، لكن هل سيؤدي ذلك لتسوية الأمور؟ يعتمد هذا على أي أسئلة سوف نوجهها، هل تصريح ديلاي المقتبس سابقا يحتوي على ثلاثة ادعاءات منفصلة، أم ثلاثة أجزاء لادعاء واحد؟

يجب أن تكون ثلاثة، الأول، "لم أرتكب خطأ"، ادعاء أخلاقي والأخلاقية والشرعية موضوعان مختلفان، أحيانا ما هو غير شرعي يكون صحيحًا مع ذلك، مثلما حدث عندما لم تطع روزا باركس قوانين مونتجومري للعزل العنصري وجلست في مقعد محجوز للبيض، هذا هو الجانب الخفي لحقيقة أن ما هو شرعي يكون مع ذلك خطأ أحيانًا ، مثل التمييز حسب الجنس بالدرجة الأولى.

لذا عندما قال ديلاي "أنا لم أكسر القانون"، فهذا ادعاء مختلف عن الادعاء بأنه لم يفعل شيئًا خطأ، وبالمثل، "أنا لم أخالف قواعد البرلمان" فهذا ادعاء ثالث. حيث إن الكونجرس ينظم نفسه وكسر هذه القواعد يمكن في مناسبات معينة ألا يكون لا أخلاقيا أو غير شرعي.

أنا لا أستطيع قراءة ذهن ديلاي، وربما كان يقصد الإدلاء بثلاثة ادعاءات منفصلة، وأنا متأكد أنه سيدافع عن المقترحات الثلاثة كل بمفرده، لكن هناك قراءات أخرى معقولة لتصريحه لا ترى العناصر الثلاثة بهذا التمايز. كثير من الناس عندما يسمعونه يتكلم قد يفترضون أن تأكيداته أنه لم يخالف أي قواعد أو قوانين هي ما بررت ادعاءه الأول، إنه لم يرتكب أي خطأ، الاقتباس، من مقابلة تليفزيونية، كان يمكن ترجمته على هذا النحو "أنا لم أرتكب خطأ: لم أكسر القانون، ولم أخالف قواعد البرلمان". يقول الناس شيئًا مثل هذا عندما يستندون إلى قواعد وقوانين في دفاعهم الأخلاقي، ومع ذلك ليست هذه طريقة منطقية سليمة.

وأكثر الطرق سخرية في النظر لهذه المناورة الشائعة، هي أن الناس يحاولون أن يتستروا وراء القانون، بعضهم أكثر أمانة فيُسقطون أي ادعاء أن الدفا ع القانوني هو أخلاقي أيضًا، في المملكة المتحدة، أصبح القانوني نك فريمان مشهورا حتى لُقِّب بـ "السيد ثغرة" لنجاحه في تمكين موكليه، الأغنياء في الأغلب، من الإفلات من إدانات القيادة الخاطئة للسيارات، لم يتظاهر فريمان حتى بالادعاء أن موكليه لم يرتكبوا أي خطأ، في واحدة من إدانات القيادة تحت تأثير الخمر التي ساعد في إفلات مرتكبها، قال، "ليس هناك أدنى شك أن السائق تجاوز الحد المسموح به".[٧٠] إذا كان ذلك الموكل سيدّعي أنه لم يرتكب أي خطأ، وأن براعته القانونية تثبت ذلك، فإن حجته تصبح غير سليمة.

والأكثر لطفا، أن الذهاب إلى المحاكم يكون في بعض الأحيان الوسيلة القوية الوحيدة لدحض ادعاء عام بارتكاب مخالفات، على سبيل المثال، مؤلف رواية "شفرة

دافنشي"، دان براون، رُفعت عليه قضية من قبل اثنين من مؤلفي "الدم المقدس والكأس المقدسة" لسرقته عملهما، وخسرا القضية، من الدقة على نحو صارم القول إن براون قد لا يكون ارتكب شيئًا خاطئا من الناحية القانونية، لكن ذلك لا يعني أنه لم يرتكب خطأ أخلاقيا، لكن حيث إن براون دافع عن نفسه بنجاح باستخدام الوسيلة الوحيدة المتاحة له، فإنك سوف تحتاج إلى أسباب وجيهة لتبرر الاستمرار في إلقاء ظلال الشك عليه، في بعض الأحيان، عند تقرير ما إذا كان شخص ما على صواب أم خطأ، يكوَن القانون كل ما نملك من أجل الاستمرار.

* * *

متي يكون معقولا التفرقة بين القانون والأخلاق كما ينبغي منطقيا ؟ هل من العدل الإصرار أن المحكوم ببراءته أو جي سمسون ارتكب خطأ؟ وماذا عن ربيع عثمان، المصري المتهم بأنه العقل المدبر لتفجيرات مدريد، الذي خرج حرا من المحكمة؟ أو زعيم الحزب القومي البريطاني نيك جريفين، الذي تمت تبرئته من التحريض على الكراهية العرقية؟ إن البراءة القانونية قد لا تتضمن براءة أخلاقية، لكن في الحياة العامة على الأقل، ألا ينبغي أحيانا أن نستعمل الأولي نيابة عن الثانية؟

انظر أيضًا :

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء.

٦٤ . أمري كان لي .

٧٨ . طبيعي فقط .

٩٦ . هذا ما لم أقله .

٥٢ – أزواج ومطلقون ومتعاشرون
فشل التفكيك

المؤلفات المهنية لعلم الإجرام تتسق بصورة مدهشة مع الأسباب الجذرية الحقيقية للجريمة العنيفة: تفكك الأسرة واستقرار المجتمع، التسلسل له أعمق الجذور في غياب الزواج المستقر.

Patrick F. Fagan, "The Real Root Causes of Violent Crime"[٧١]

المحافظون اجتماعيا كثيراً ما يجادلون أن الدليل على أن "الزواج مؤثر" غير قابل للنقاش، لكن على الرغم من عدم وجود سبب للشك في دقة الإحصاءات التي يستشهد أناس مثل باتريك فاجان ، فإن القضية معيبة لأنها لا تأخذ في الاعتبار ما يسميه الإحصائيون التفكيك؛ إرجاع الإحصاءات إلى مكوناتها.

بالفعل تشير الإحصاءات بانتظام إلى ارتباط الزواج بمختلف الأشياء الطيبة، سواء الاجتماعية أو الشخصية، وبالمثل، يرتبط الطلاق وظاهرة الأم العزباء بمختلف الأشياء الرديئة، من الأرجح أن يتعاطى أطفال الأمهات غير المتزوجات المخدرات، وأن يتجهوا نحو الجريمة، ويتركوا الجامعة، وأن يتعرضوا للطلاق هم أنفسهم، ويمروا واقعيا بكل التجارب السيئة التي لا تتمنى أبدا لأطفالك أن يمروا بها.

المعضلة في معظم الدراسات التي تظهر هذه النتائج أنها تتعامل فقط مع فئات عريضة للغاية: المتزوجون والمتعاشرون والمطلقون والأمهات العازبات، وهذا يعني أن نتائجها ستكون متسقة مع فرضية تتعارض مع تلك التي يعتنقها فاجان: أن الزواج

ليس في حد ذاته ما هو جيد للناس، ولكن العلاقات الملتزمة الطويلة، قد نتوقع العثور على المزيد من هذه الأنواع من العلاقات في مجموعة المتزوجين، وذلك ببساطة لأن كل زواج من الناحية النظرية على الأقل هو التزام طويل الأجل (سواء تم الوفاء بذلك أم لا)، بينما قد لا يحدث هذا في حالة المتعاشرين؛ لذلك من الممكن ألا يشكل الزواج شرطا لازما لمنافع اجتماعية يُقيِّمها فاجان عموما، لكنه العلامة الاجتماعية الأكثر شيوعا التي تحتاج لوجود الالتزام في العلاقة لتحقيق هذه القيم.

والواقع أن نتائج فاجان المفصلة تتسق تمامًا مع هذا التفسير، العوامل الأولية التي يقول إنها تقود لجرائم الأحداث، هي غياب الوالدين، وغياب حب الأم، وشجار الوالدين، وعدم إشراف الوالدين، والانضباط، ورفض الطفل، وإساءة معاملة الوالدين أو الإهمال، وإجرام الوالدين، ويجب ملاحظة أن أيًا من هذه العوامل مرتبط بالضرورة بالحالة الاجتماعية للوالدين، المتعاشرون يمكنهم أن يتجنبوا كل هذه السقطات، والمتزوجون يمكن أن يتعرضوا لمعظمها.

من المهم إدراك أن هذه ليست مشكلة ناجمة عن احتياج الإحصاءات دائمًا إلى تفسير، فالتفسير ينبغي أن يكون أكثر سهولة إذا كنا قادرين على التفريق بين الناس المتعاشرين بدون التزام في المستقبل، وبين أولئك الذين أمضوا سنوات حياتهم معًا بدون أن يتبادلوا عهود الزواج، إذا تأملنا المتزوجين، فسوف نجد أنه حتى في العلاقات القوية والمستقرة، توجد كوارث داخلية سيئة لكلا الزوجين، بعد ذلك سنكون في وضع أفضل للحكم على ما إذا كان الزواج في الواقع عاملاً حاسمًا، أم أنه مجرد موضوع الالتزام، أم أنه شيء آخر.

نحن نتعرض باستمرار لوابل من الإحصاءات التي لم يتم تفصيلها، وكنتيجة لذلك، يكون من الصعب للغاية معرفة ماذا تعني بالضبط، مفتاح عدم الانخداع هو أن تسأل نفسك دائمًا كيف تم تقسيم الناس في كل دراسة، وعما إذا نوَّه هذا على تمييز آخر يحتمل أنه أكثر لمعانًا.

* * *

هل يجيب التفصيل على الأسئلة التالية؟ هل يعيش النباتيون أطول لأنهم نباتيون، أم لأنهم أكثر وعيا بالصحة عموماً عن كل شخص آخر ممن صنفوا كآكلي لحوم؟ هل تشرح حقيقة التأسيس على الإيمان سبب تحقيق مدارس الكنائس نتائج أفضل غالباً، أم تحتاج للتأمل في الخلفية الاجتماعية لمن تقبلهم؟ هل يكون خريجو الفلسفة أكثر عرضة من الآخرين للبطالة ستة أشهر بعد التخرج لأنهم درسوا الفلسفة، أم لأن الموضوع يجذب العاطلين؟

انظر أيضاً :

٣٩ . تجميع مريب .

٦١ . أكاذيب وإحصاءات .

٧٣ . ثقوب الأوزون في طبقة الكربون .

٩٥ . إنهم يقتلون المدنيين .

٥٣ - آمنة تمامًا

مبدأ الحيطة

مبدأ الحيطة يعني أنه إذا لم تكن متأكدا من النتيجة - خصوصًا إذا كانت وخيمة للغاية - فقد يكون من الحكمة ألا تفعل حتى يتاح لك مزيد من الأدلة.

Royal Society for the Protection of Birds spokesperson(٧٣)

يتم التماس مبدأ الحيطة في كل أنواع المناسبات، كما لو كان فكرة مباشرة وواضحة يمكننا جميعًا فهمها واستعمالها، في الواقع، هذا المبدأ يستخدم بعدة طرق لا تحصى، بعضها غامض ومضلل.

في المثال السابق، استُخدم المبدأ بمعنى: لا تفعل أي شيء تكون نتيجته غير مؤكدة وخطورته محتملة حتى يتوفر لك المزيد من الأدلة، والمشكلة الواضحة هنا أن نتائج كل التصرفات تقريبًا غير مؤكدة، وغالبًا ما تكون خطورتها محتملة، وحتي قرار بسيط مثل قيادة سيارة لمسافة طويلة له نتائج غير مؤكدة وخطورته محتملة (في المملكة المتحدة، حوادث الطرق هي أكثر سبب شائع للوفاة بين الناس تحت سن خمسة وثلاثين). هل نتوقف عن القيادة "حتي يُتاح لنا مزيد من الأدلة"؟

من الواضح أن هذا مناف للعقل، ما نحتاجه هو أدلة كافية للقيام باختيارات واعية، وهو ما نقوم به في حالة القيادة. على النقيض من ذلك، فإن صيغة المبدأ أعلاه تم الاستناد إليها في سياق نقاش حول المحاصيل المعدلة وراثيا.

في وجهة نظر الجمعية الملكية لحماية الطيور، "تم إجراء اختبارات معملية غير كافية على تأثير المحاصيل المعدلة وراثيًا قبل التطرق للتجارب الميدانية"، وبالمعنى

الدقيق للكلمة وقتها، يجب قراءة المبدأ كالتالي: لا تفعل أي شيء تكون فيه النتيجة غير مؤكدة ومحتملة الخطورة حتى تتاح أدلة كافية لاتخاذ اختيارات واعية.

ويصبح السؤال الرئيسي الآن، "ما هي الأدلة الكافية؟" الإجابة الموثوق بها تصبح "هي التي تكون كافية لإجراء تقييم مناسب للخطر"، تقييم الخطر هو ترجيح استصواب النتائج أمام المخاطر التي ينطوي عليها العمل اللازم لتحقيق هذه النتائج، يمكننا الآن تقرير مبدأ الحيطة بطريقة محكمة: لا تمض في مسار عمل له عواقب خطيرة محتملة حتى تجري تحليلا مناسبا للمخاطر يعتمد على أدلة كافية، وهذا يلخص ما حاول أن يقوله المتحدث باسم الجمعية الملكية لحماية الطيور.

هذا يوضح أن مبدأ الحيطة يحتاج للتوظيف، جنبًا إلى جنب مع تقييم المخاطر، وهو لا يرقى إلى المطالبة بأن وجود خطر أو عدم يقين في حد ذاته يقدم سببا لعدم التصرف. تحليل المخاطر هو التعامل مع حالة عدم اليقين – حيث يكون اليقين لا يكون هناك خطر، وهكذا لا يكون المبدأ نوعا من سياسة التغطية على الهروب من المخاطر، وأيضًا إذا وصل مبدأ الحيطة إلى القول "لا تقم بمخاطر كبيرة لا لزوم لها" فسوف يكون مجرد تفاهة.

والصياغة الغامضة للجمعية الملكية لحماية الطيور، لسوء الحظ، قريبة من الصيغة المستخدمة غالبًا، انظر إلى هذين التعريفين لمبدأ الحيطة الذين عرضتهما الصحف:

"ينبغي عدم تبني أي تقنية جديدة ما لم تكن متأكدا أنها آمنة."(٧٣)

"يجب عدم القيام بشيء أبدا حتى يثبت أنه آمن."(٧٤)

هذه المطالب عالية جداً، بالحجة واليقين، لن يكون هناك أي خطر، ولكن كما شاهدنا، فإن مبدأ الحيطة لا يمكنه تفادي المخاطر تمامًا، ونظراً لما تتطلبه هذه الصيغ منا لمبدأ الحيطة – أن نثبت أن الضرر لا يتحقق – وهو من الصعب تحديده، فإن الوفاء بهذه المعايير يصبح مستحيلا.

بالنظر إلى كيفية استعمال فكرة مبدأ الحيطة بالفعل وفي أكثر الأحيان، فإني سأراهن أنك سوف تراها قد استخدمت بصورة معيبة، هذا الاستعمال السيئ للمبدأ مرفوض في الغالب لأنه يشجع الناس على تجاهل حقيقة أننا يجب أن نتخذ قرارات بصفة مستمرة على أساس معلومات ناقصة وتقييم للمخاطر، وبدلا من ذلك فهو يَعرِض وهمًا أننا يمكن أن نتجنب عمل الأشياء التي ليس من المؤكد أنها آمنة.

* * *

ماذا تفعل في الدعوات التالية لمبدأ الحيطة؟ تعللت أجهزة الأمن البريطانية به لرفع عدد أيام احتجاز المشتبه به كإرهابي بدون تهمة من٢٨ إلى ٥٦ يوما، واستخدمته اللجنة المانحة لجائزة نوبل للسلام، في إشارتها لجائزة آل جور، للتأكيد على أهمية اتخاذ إجراءات بشأن تغير المناخ، وفي تقرير من البوليس الأوربي ومركز المراقبة الأوربي للمخدرات والإدمان استعملا المبدأ لتأييد الدعاوى لفرض حظر على عقار بنزايل ببرازين، هل هذه كلها احتياطات معقولة، أم إفراط في النفور من المخاطر؟

انظر أيضاً :

٩ . ماء الصنبور للنباتات .

٤٩ . هنا تكمن الكارثة .

٦٢ . من قال إن التدخين قاتل؟

٨٥ . الخوف من الفلفل الأسود .

٥٤ - الأسلحة الخفية

عدم وجود أدلة

"كما ترى، فإن الوكالة الدولية للطاقة الذرية قامت بمسح شامل، وعمليات تفتيش لهذه المواقع، وبينما يقولون إننا لا نستطيع دحض الشائعات والمزاعم بأن إيران تسعى لبرامج سرية، فنحن ليس لدينا دليل لدعم أي ادعاءات أو تكهنات بأن إيران تفعل ذلك – كيف تثبت شيئًا سلبيًا؟"

Scott Ritter, former UN weapons inspector in Iran(٧٥)

في السنوات الأخيرة، جادل العديد من المعلقين أن الولايات المتحدة سوف تفعل مع إيران ما فعلته مع العراق، بعد عمليات التفتيش الدولية عن السلاح في العراق، يبدو أن التاريخ يعيد نفسه مع عمليات تفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية في إيران، كان مفتشو الأمم المتحدة، كما يقال، في وضع يائس لإثبات السلبي: صدام حسين لم يملك أسلحة دمار شامل، ولأنه لا يمكن إثبات ذلك، فلم يكن للولايات المتحدة وحلفائها أي دليل على الإطلاق لتجنب الغزو، وبالمثل، فيجب على الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن تثبت أن إيران لا تملك برنامجا للأسلحة النووية، وحيث إنك لن تستطع إثبات السلبي أيضًا، فإن أمريكا قد تجد ذريعة أخرى لشن ضربات عسكرية.

عبر مفتش الأسلحة السابق للأمم المتحدة سكوت ريتر عن شكوكه في مهمة الوكالة الدولية للطاقة الذرية بقوله "كيف تثبت شيئًا سلبيا؟" والإجابة الضمنية على هذا السؤال البلاغي هي "لن تستطيع"، لكن انظر كيف استمر ريتر في حديثه: "والقلق من

إيران أنه عندما تنظر إلى نموذج العراق، تجد أن الولايات المتحدة قد ضغطت على مجلس الأمم المتحدة لاتخاذ نفس المطالب على صدام حسين، يجب أن يثبت صدام أنه لا يمتلك برنامجا لأسلحة الدمار الشامل، وثبت أن صدام قد تخلص منها في ١٩٩١، وأنه لم يكن هناك أي برنامج، لكن لم يستطع النظام العراقي أن يرضي المطالب الأمريكية".

هناك شيء غريب جداً في هذا الرد، نقطة ريتر الأساسية كيف يكون من غير المعقول أن تسأل شخصًا ما لكي يثبت السلبي، ولكنه يقول بوضوح، "صدام قد تخلص" من برنامج أسلحة الدمار الشامل في ١٩٩١؛ لذا يتقبل ريتر بنفسه شيئًا سلبيا واحدا على الأقل على أنه ثابت: صدام ليس لديه أسلحة دمار شامل.

نفس التوتر – إن لم يكن التناقض المباشر – موجود في جميع الحركات المضادة للحرب، بعد أن قال إنه من السخف أن يطلب من العراق إثبات السلبي (ليس لديه أسلحة دمار شامل)، فإن حقيقة أن هذا الشيء السلبي بالتحديد قد تم إثباته، تستخدم الآن كسبب للتساؤل عن الأساس المنطقي للحرب، ما كان من المستحيل إثباته يفترض الآن أنه مثبت.

كل هذا يُظهِر مدى ارتباك الناس بالنسبة لإثبات السلبيات، غالبًا ما يكون إثبات السلبي سهلا للغاية بالفعل، إذا قلت إنه ليس هناك بقايا للنبيذ في الزجاجة، فإنك بنظرة سريعة تتحقق من ذلك، خلافًا للحكمة المتلقاة، فإن عدم وجود دليل يمكن أن يكون دليلا على الغياب، في القانون، هناك أيضًا افتراض البراءة في غياب دليل الإدانة، قد يكون من المستحيل إثبات أنني لم أقتل الكولونيل ماستارد، لكن غياب الدليل على أني ارتكبت ذلك يعتبر دليلاً جيداً وكافياً أني لم أفعل.

السبب في قبول غياب الدليل كدليل إيجابي بالضبط ، هو أن إثبات السلبي بدون أي شك مستحيل في الغالب؛ لذا يتعين علينا أن نرضى بشيء أقل من الدليل القاطع، هذا الشيء الأقل هو عدم وجود أدلة عندما يتم البحث عنها حيث يجب أن تكون.

العلاقة بين الغياب والدليل تكون بالتالي معقدة، من ناحية، لديك حالات مثل الثلاجة الفارغة، حيث يكون غياب دليل أن البيتزا كانت موجودة هو إثبات أنها ليست كذلك، ومن الناحية الأخرى، لديك غياب للدليل لأنه لم يقم أحد ببحث سليم عنه، وهذا لا يحسب كدليل للغياب، وبين هذا وذاك، تكون مسألة الحكم على مدى احتمال أن شيئًا ما هو القضية، نظراً لفشل تقديم دليل عليه، معنى عدم وجود أدلة يختلف لذلك وفقا للظروف.

* * *

ليس هناك دليل على أن الأطباق الطائرة هبطت في نيفادا، ليس هناك دليل على أن رونالد ريجان عرف شخصيا عن فضيحة إيران/ كونترا، ليس هناك دليل واضح أن الله موجود، ماذا يمكنك أن تستنتج من هذه الغيابات؟

انظر أيضاً :

١٥ . من يعلم؟

٣٨ . يتعين عليك أن تفعل المستحيل .

٤٨ . سيقولون ذلك .

٦٢ . من قال إن التدخين قاتل؟

٥٥ - ليست مصادفة

افتراضية عدم وجود مصادفة

بعد عدة أسابيع، استيقظت على مكالمة هاتفية تخبرني أنه قد تم اختياري لأكون رئيسًا تنفيذيًا، أنا لا أعتقد حقًا أن ذلك كان من قبيل المصادفة.

Archie Dunham, New Yor Times(٧٦)

يميل البشر لعدم تصديق وقوع مصادفة، وهناك أسباب جيدة وعملية لذلك، فقدرتنا على التأثير في العالم والتنبؤ به تعتمد علينا باعتبار أننا قادرون على تحديد أنماط العلاقة السببية.

من وجهة نظر تطورية، فمن الأفضل أن نحظى برؤية أنماط كثيرة عن رؤية القليل منها، على سبيل المثال، فلنفترض أني أزرع بعض الخضراوات، فأرويها وأتحدث إليها، وهي تنمو بصورة صحية، والشخص الذي يرى كثيراً من التواصل في الطبيعة مما هو موجود بالفعل قد يروى بالماء ويتحدث إلى النبتات النامية، ومن المحتمل أن يحصل على محصول جيد، والشخص الذي لا يرى أي ترابط يمكن ألا يروى ولا أن يتكلم معها ويفشل محصوله، كقاعدة عامة، عدم افتراض أن الأحداث هي مجرد مصادفة يعطينا فرصة أكبر للتعثر في العلاقات المتصلة بشكل حقيقي.

بهذه الطريقة، تكون الطبيعة أقل اهتماما بالحقيقة من تفادي الأخطاء الفادحة، ومع ذلك، إذا كنا نطمح إلى رؤية الأشياء كما هي في الواقع، فسنفعل خيراً لتصحيح الحافز الطبيعي لافتراض عدم وجود المصادفة.

آرشي دنهام، الرئيس التنفيذي لكونوكو، يعطي مثالاً جيداً في كيف تقودنا افتراضية عدم وجود مصادفة للقفز إلى استنتاجات غير مبررة، يتذكر دنهام في ١٩٩٥، عندما كان نائب الرئيس التنفيذي لكونوكو، واتصل به مسئول التوظيف وعرض عليه وظيفة رئيس تنفيذي لشركة كبرى، ولكونه مسيحيًا، قرر دنهام أن يصلي؛ لكي يحصل على مساعدة ليقرر إمكانية قبوله العرض، يتذكر ويقول "أخيرا أخبرت الله أني في طريقي لقبول المنصب إلا إذا أوقفني، وبعد ساعتين رن الهاتف، وكان رئيس مؤسسة التوظيف يطلب منى أن أنتظر في قراري لأن مجلس الإدارة كان يتحدث مع شخص آخر، وكانت هذه إشارة واضحة لي لكي أستمر في كونوكو"، وبعد عدة أسابيع تم انتخاب دنهام رئيسًا تنفيذيًا لكونوكو.

إذا كنت مسيحيا، فليس هناك سبب للافتراض أن الله قد لا يتدخل بهذه الطريقة المباشرة، ومع ذلك، لماذا الافتراض أن هذا ما حدث؟ على كل حال، في حالة دنهام، فليس من غير المحتمل بدرجة كبيرة أن الشركة التي كانت تفكر في تعيينه قد تأخرت لبعض الوقت، وباعتباره شخصية مرغوبة، فقد حصل على ترقية سريعة بعد ذلك، شخص في منصبه، وبمعتقداته، يكون الشيء المنطقي عنده هو تعليق الحكم، فالأدلة لا يمكن أن تقره، لكن افتراضه هو، كما يكون الحال غالبا، ضد قبول كونه من قبيل المصادفة، وفي الصراع بين تفسيرين، نختار عادة التفسير الذي يستبعد دور الحظ.

ويبدو أننا نجد من الصعب قبول أن المصادفات يمكن أن تحدث، فقد يبدو من المدهش أن ألتقي بصديق قديم كنت أفكر فيه في اليوم السابق فقط ، ولكن مقابل كل مرة يحدث فيها ذلك، أفكر في المئات الذين لا أقابلهم بالمصادفة، والذي قد يكون أكثر إدهاشًا إذا لم أقابل أي شخص فكرت فيه مؤخرا، وفي عالم عشوائي، فإن الغياب الكامل للمصادفات قد يحتاج لتفسير، وليس وقوعها.

نحن أيضًا نميل للمغالاة في مدى الحاجة لفرصة حدوث بعض الأحداث، والمثل المعروف جيدا الآن لهذا، هو السؤال عن عدد الناس الذين تحتاجهم في غرفة قبل أن

يكون هناك فرصة ٥٠ – ٥٠ لتشارك اثنين منهم في نفس تاريخ الميلاد، والإجابة في الحقيقة هي فقط ثلاثة وعشرون، لكن عندما يكتشف الناس في تجمع صغير أن هناك اثنين منهم يتشاركان في تاريخ الميلاد، يميلون إلى التفكير في أن هذا من غير المحتمل بشكل ملحوظ، ومجرد أن شيئًا يبدو رائعًا لا يعني أنه رائع بالفعل.

* * *

اختبر نفسك: انظر كيف سيكون رد فعلك في المرة القادمة التي تلمح فيها مصادفة، هل ستكون مبادرا بسرعة لافتراض أن هناك بعض الصلات الحقيقية؟ أم هل ترتكب الخطأ المقابل و تفشل في إدراك العلامات المنذرة؟ (شريك الحياة ارتدى أفضل ملبوساته الداخلية في الليلة التي عاد فيها إلى المنزل متأخرا؟) وإذا لم تستطع أن تكون مثاليًا، فما الذي تفضله: تقديم كثير من الصلات أم القليل منها؟

انظر أيضا :

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

١٦ . حظ أفضل .

٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .

٩٨ . كثير من اللا شيء لا يكفي .

٥٦ - الواجب الوطني

اللعب بورقة الولاء

ينبغي على كل أمريكي وطني أن يُصغي لطلب الرئيس.

House Speaker Dennis Hastert(٧٧)

في ٢٠٠٠، كان مجلس نواب الولايات المتحدة على وشك تمرير قرار يصف قتل ١.٥ مليون أرمني في تركيا بين ١٩١٥ و ١٩٢٣ بأنه "إبادة جماعية"، وكانت الحكومة التركية دائما مصممة أن تلك الأحداث في أرمينيا لم تصل لحد الإبادة الجماعية، مدعية أنه كان هناك موت في صفوف كل من جانبي الأتراك والأرمن في الصراع، وأن القتل لم يكن منظما أو صادرا بقرار مركزي، هذا الموضوع حساس في تركيا حتى أنها حاكمت الكاتب أورهان باموك لمجرد أنه ادعى أن "مليونًا من الأرمن و٣٠٠٠٠ كردي قتلوا في تركيا."٧٨

وعندما بدا أن مجلس النواب الأمريكي سيعلن القرار بالاعتراف بالإبادة الجماعية رسمياً، ردت أنقرة بقوة، وهددت بالانتقام إذا مُرِر القرار، وهو ما يمكن أن يشمل هبوط الطائرات العسكرية الأمريكية العاملة في العراق من القواعد الجوية التركية، والانسحاب من عقود مع مقاولين عسكريين أمريكيين تبلغ ٤.٥ بليون دولار.

هذه كانت بالتأكيد أسبابا لإعطاء مجلس النواب وقفة للتفكير، لكنها كانت حركة وضيعة جدا للمتحدث دنيس هاسترت أن يلعب بورقة الوطنية عندما التمس إسقاط القرار.

أول شيء، هناك أي عدد من الأسباب لماذا يمكن لأي وطني أمريكي أن يظل متمسكًا بتمرير القرار، فقد يفكر أن نباح أنقرة أسوأ من عضتها، قامت تركيا بتهديدات مماثلة لفرنسا عندما بدا أن جمعيتها الوطنية قد قررت الاعتراف بالإبادة الجماعية في وقت سابق من العام نفسه، ولكن عندما فعلت ذلك، لم يحدث شيء في الواقع، قد تجادل أيضا أن إسقاط قرار يقول شيئا حقيقيا يتعارض مع روح التعديل الأول الذي يقرر حرية الأمريكيين في التعبير، الولايات المتحدة أعلنت استقلالها لتكون متحررة من طغيان الحكم الأجنبي؛ لذا لماذا الآن تسمح بالضغوط من دولة أخرى ذات سيادة؟

إن اللعب بورقة الولاء يُغَيِّر أيضًا قواعد اللعبة، بمجرد قولك إن شيئًا ما سيكون عملاً من أعمال عدم الولاء، فأنت ترتكبه، انظر إلى مثال منزلي، والدك لا يتحدث مع عمك فريد، لكنك على علاقة طيبة معه، حتى لو كنت تعتبر أن تظلمات والدك مبررة، أنت لا تعتقد أن الحديث مع فريد هو عدم ولاء، لأنك تعتقد أن من الطفولي افتراض أن الشخص يجب أن يكون دائما في صف شخص واحد تماما في ادعاءاته، ومع ذلك، إذا أخبرك والدك أنه يعتبر أنه من تصرفات عدم الولاء أن تتحدث مع العم فريد، فإن قوله هذا يجعله صحيحا بمعنى ما، فأنت قد أُجبرت على الاختيار بين ولاءات كان من الممكن في السابق أن تفصل بينها.

في حالة الوطنية فهي أكثر تعقيدا لأنه لا يوجد أي شخص، حتى الرئيس، يتحدث عن الأمة، إذا أخبرك قائدك أن عدم الاتفاق معه غير وطني، فإن الناس يمكن دائما أن يقرروا أن يخبروه أنه لا يوجد شيء مثل هذا، لكن إذا تجمعت أغلبية الأمة حول قضية، فإن المنشقين يكونون غير موالين بمعنى حقيقي إذا رفضوا أن ينضموا.

من وجهة نظر منطقية، المشكلة الرئيسية من التوسل بالولاء - سواء وطنيًا أو عائليًا أو قبليًا، أو أي نوع آخر - أنها تتجاوز أي مناقشة جادة لوقائع الحالة، فبدلا

من تقرير ما هو حقيقي أو زائف، نكون مجبرين على تقرير ما الولاء وعدم الولاء، عندما لا يكون الولاء هو أكثر الأشياء أهمية على أي حال، كان من عدم الولاء بشدة أن يطلق جندي الاحتياط بالجيش الأمريكي جو داربي صافرة الكشف عما فعله رفاقه في السلاح في سجن أبو غريب، لكن كان من الصواب أنه فعل ذلك، وبالمثل، إذا اضطررت ذات مرة أن تواجه الاختيار المؤلم بين الولاء للعائلة وإبلاغ الشرطة عن عنف مستمر يرتكبه قريب لك، آمل أن الولاء هو الذي يكون عابرا، وليست العدالة.

* * *

الولاء نادرًا ما يكون قابلاً للتجزئة، هل يجب على الوطني أن يكون ولاؤه لحكومته وشعبه، أو ما يتصور أنه مصالح وقيم بلده؟ هل يتطلب الولاء لعائلتك أحيانًا عدم الولاء لأفراد العائلة الذين يلوثون اسمها؟ في العمل، هل ولاؤك الأساسي لفريقك أم الإدارة أم المكتب أم الشركة؟

انظر أيضا :

٢٥ . نرفض هذه الحرب الفاشية .

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٨٩ . ميثاق مسترق النظر .

٩٩ . الشيء الحقيقي .

٥٧ - أعطني هذا المخدر

إنه بلد حر

هذا التوجيه سيحد بصورة واسعة من حرية المستهلكين لاتخاذ مايخصهم من خيارات مدروسة.

Dr Robert Verkerk, executive director, Alliance for Natural Health[٧٩]

التعميم الواسع يكون دائما خطرا، لكني أعتقد أنه يمكن بأمان القول إنه لم يتقدم أي سياسي أبدا للترشيح على أساس الحد من الحرية مطلقا، ومع ذلك، فإن قليلا منا متحررون بصورة مطلقة ممن يؤمنون أنه ينبغي على الدولة ألا تفعل شيئا على الإطلاق تقريبا، معظمنا في الواقع يريد من الحكومات أن تقدم خدمات الصحة والتعليم، وتعيد توزيع الثروة بدرجة أو بأخرى، وتنظم جوانب كثيرة من الحياة العامة.

لكن يظل أنه عندما تصدر قوانين تتعلق بأشياء كنا نفضل شخصيا أن تترك لشأنها، يتم اللجوء إلى الخدعة الدارجة في الإصرار على أن التدابير المتخذة خطأ، ذلك "أنه بلد حر"، مثل هذا الادعاء له قوة بلاغية، لكنه في الواقع لا معنى له تماما.

على سبيل المثال، في المملكة المتحدة وأيرلندا، تم تطبيق قرار منع التدخين الذي يمنع إشعالها في كل الأماكن العامة المغلقة، بما في ذلك المطاعم والمقاهي والحانات، وشكا الكثيرون أن هذا خطأ لأنه في بلد حر ينبغي السماح للناس بالتدخين إذا أرادوا، لكن أغلب هؤلاء الناس تقبلوا كل أنواع الحد من الحرية الأخرى.

أولاً، كثيرون يقضون أنه سيكون من الأسهل والأفضل لنا إذا جعلت القوانين بعض الأنشطة الضارة أكثر صعوبة من حيث القيام بها، بمعنى، من الصحيح أن

الشخص له الحرية في تدمير حياته بمخدر الكوكايين إذا أراد، لكننا نفضل ألا نعطى هذا الخيار، من أجل حماية أنفسنا والآخرين المعرضين في لحظات الضعف، أي شخص يوافق على هذه "الأبوية الاختيارية" له على الأقل بعض الحق في دعم القيود على حريتنا في التدخين حتى الموت.

ثانيًا، حريتنا تحدها متطلبات عدم الإضرار بالآخرين عند ممارستها، قد أكون حرا في التدخين، لكن أليس الآخرون أحرارا في تنفس هواء نظيف؟ الأماكن المخصصة للتدخين ليست هي الحل الكامل لهذا، لأنه على الأقل يجب على العاملين في الحانات والمطاعم أن يذهبوا إليها، قد تجادل أن الناس لا يضطرون للعمل في أجواء ممتلئة بالدخان إذا لم يرغبوا في ذلك، لكن هذا قد يغالي في مدى الخيارات ذات المعنى التي تكون للعاملين في وظائف منخفضة الأجر في الأماكن التي يعملون بها.

دعوة د. روبرت فيركيرك للحرية قامت في سياق توجيه للاتحاد الأوربي بمنع بيع بعض المكملات المحتوية على فيتامينات وأعشاب ومعادن، بعضها كان معروفا للغاية، ومنظمة فيركيرك، والتحالف من أجل الصحة الطبيعية، تؤمنان أننا يجب أن نكون أحراراً في شرائها متى رغبنا.

لكن مرة أخرى، الدعوة للحرية في حد ذاتها فارغة، الجميع تقريبا يتقبلون مبدأ عدم السماح للناس ببيع أي شيء والادعاء أنه مفيد لك، في أفضل الأحوال، سيؤدي هذا إلى أن الناس يبيعون "زيت الثعبان" العصري الذي لا يفعل أي شيء، وفي أسوئها سيؤدي إلى تقنين بيع المنتجات التي هي بالفعل ضارة، توجيه الاتحاد الأوربي كان بالأساس عن التأكد من أن المكملات لا تباع حتى يتم اختبارها بصورة صحيحة، وفي السياقات الأخرى، لن يكون هذا غير خلافي فقط بل متوقعًا، تخيل الضجة الحادثة إذا أضافت كوكا كولا مادة غير مختبرة لمشروبها وادعت أنها مفيدة لك، لماذا لا تعامل المكملات بنفس الطريقة؟

الدعوة إلى حرية المستهلكين هى حيلة متقنة لجذب الانتباه، لكنها لا يمكن ببساطة أن تؤكد حريتنا في شراء وبيع أي شيء، بالطبع، "التحالف من أجل الصحة

الطبيعية" يرفع قضية ما يسميه "المنتجات الصحية الطبيعية" (ليست طيبة للغاية، في وجهة نظري)، لكن عندما يدعو المتحدثون باسمها إلى الحرية الفردية، تقدم الحجة كما لو أنها لا تحتاج إلى مزيد من التبرير، القول "إنه بلد حر" ليس بديلا عن الحجة السليمة.

* * *

هل لدينا الحريات الصحيحة؟ هل يجب أن نكون أحرارا في أن نضع نهاية لحياتنا إذا رغبنا؟ هل حريتنا في التهجم على الآخرين تمتد إلى الحق في إغضابهم بصورة استفزازية؟، إذا كنت حرا في قول ما أريد، هل أكون حرا في رمي ادعاءات غير صحيحة عن الآخرين علنا؟ في بلد حر، أليست هناك قائمة طويلة للغاية من الأشياء التي ينبغي عدم القيام بها بحرية؟

انظر أيضا :
٢٥ . نرفض هذه الحرب الفاشية .
٤٤ . بأي حق؟
٦٤ . أمري كان لي .
٦٧ . كريس،، أنت مجرد سحلية.

٥٨ – مطبوعة على ورقة خالية من الدهون بنسبة ١٠٠ في المائة
مزايا مشكوك فيها

نريد لشعبنا أن يكون الأفضل في توظيف إدارة عظيمة..، وللقيام بهذا بشكل جيد تحتاج أن تكون ملتزما في المهنة الأولى، وليس الثانية.

Armstrong International advertisement(٨٠)

الشخصية الهزلية التي ابتكرها جراهام فيلوز، للمغني وكاتب الأغاني البائس جون شاتلورث أشادت بمزايا مشروب رياضي معروف، فقالت "إنه إيزوتونيك، ويهتم بالبيئة".

ومثل أشياء كثيرة من تصرفات شاتلورث، تكمن خلف البلاهة ملاحظة ماكرة، مثل الكثير منا، تأثر شاتلورث بسهولة بالادعاءات التي يقدمها المنتجون والمعلنون لمنتجاتهم، حتى ولو لم يفهم ما تعنيه، مجرد أن هناك شيئًا تم تقديمه باعتباره ميزة كافية للفوز به.

في هذه الحالة، يخطئ شاتلورث في فهم ماهية المزايا المدعاة، ولكن في مناسبات أخرى، إذا وُضِع الادعاء بقوة كافية أو تأثير أو سلطة، يكون الميل إلى قبوله حتى إذا لم يكن هناك مزايا حقيقية على الإطلاق، تنجح هذه الحيلة أكثر بتقديم ادعاء صحيح واقعيا لكن لا علاقة له بالموضوع، بطريقة تجعله يبدو ميزة.

والنسخة الكلاسيكية من هذا تستخدم للأطعمة التي يتم الإعلان عن أنها "٩٥ في المائة خالية من الدهون" أو شيء من هذا القبيل، لا يوجد في الواقع شيء غير صحيح

في ذلك، لكن الكثيرين سوف يفترضون أن ذلك يعني أن المنتج أكثر صحة، أو أنه اختيار أفضل إذا أرادوا خفض الوزن، ومع ذلك، كثير من أمثال هذه الكحكات قليلة الدهون، على سبيل المثال، مثقلة بالسكر وحصة منها تحتوي على سعرات كثيرة مثل أي بديل يحتوي على الدهون، وحقيقة أن شيئًا خاليًا من الدهون بنسبة ٩٥٪ لا يعني بالضرورة ميزة على الإطلاق، حتى على الرغم من أنه يباع لك على أنه كذلك.

وبمجرد انتباهك لهذا، تتقافز الأمثلة من أرفف السوبرماركت ولوحات الإعلانات، كيف يكون شيء يحتوي على الجورانا طيبا إذا كانت الكمية المحتواة أقل من المطلوب ليكون لها أي تأثير، بافتراض أنها تفعل شيئا مرغوبا على أي حال؟ لماذا يكون من الأفضل أن يظهر شيء بحجم جديد أكبر إذا كان السعر قد زاد بنفس النسبة؟ لماذا يجب أن نبتهج لأن رقائق الحبوب تأتي الآن في أكياس من الألومنيوم بينما كانت مقرمشة تماما عندما كانت في الأكياس البلاستيكية القديمة؟

الذي يجعل إعلانات أرمسترونج العالمية مثيرة بصفة خاصة أنها بتحديدها بوضوح افتراض أن توظيف أشخاص يبدأون وظيفتهم الأولى هو ميزة، كان ينبغي عليها أن توضح طبيعتها المثيرة للتساؤل، فقد أخبرونا، أن "نحن عموما لا نوظف أشخاصا قاموا لفترة بمهنة يفعلون فيها شيئًا آخر، ثم انتقلوا للبحث عن وظيفة تنفيذية كمهنة ثانية"، لماذا يحدث هذا؟ فليس من الواضح مطلقا أن الناس يكونون ملتزمين في وظيفتهم الأولى أكثر من الثانية، والناس في وظيفتهم الثانية يكون لديهم خبرة أكثر ومن هذا النوع يأتي مديرون عظماء، يصبح واضحا، إذن، أن الادعاء بميزة هذا الملمح لممارساتهم التوظيفية غير مؤكد، ويبدو من غير المحتمل أن توجد أي أدلة تعضد هذا الأمر.

إن تقديم مزايا مشكوك فيها يعمل غالبا لأننا قليلو الإدراك ونرغب في القيام بأقل قدر من التقييم للخروج من الموقف، فنحن نفضل "هذا حقيقي" أو "هذا زائف" بدلا من "أن هذا الجزء الواقعي من ذلك الادعاء حقيقي لكن المزايا المتضمنة ليست

حقيقية."، الوضع الثاني يتطلب منها التفريق بين المحتوى الواقعي والمحتوى التقييمي للادعاء، وعندما نختلس النظر إلى الإعلانات أو المنتج المعلب، تصبح هذه مهمة إدراكية ثقيلة، وهذا ليس معناه أننا أغبياء، ولكنه يعني فقط أن الرسائل التجارية تقصفنا وأننا نبذل كل ما بوسعنا لتصفيتها والانتقاء منها.

* * *

لا يكون الكثير منا في أشد حالاتهم الذهنية حدة عندما نذهب للتسوق، ويبقى، عندما تتمشى في المرة القادمة في ممرات السوبرماركت، أن تحاول إحصاء المزايا المشكوك فيها والمذكورة على المعلبات والإعلانات، فقد تنتهي بأمثلة في قائمتك أكثر من البقالة الموجودة في سلتك.

انظر أيضا :

٩ . ماء الصنبور للنباتات .

٥٠ . كلمات لاذعة .

٨٦ . ليس هناك جانب مظلم للقمر .

٨٨ . إذا كان قديماً فهو جيد .

٥٩ - أي شخص كان سيفعل نفس الشيء
"كنت فقط أؤدي عملي"

لا تدعوني بطلا، كنت فقط أؤدي عملي.

Train driver Iain Black[٨١]

نفكر غالبا أن "كنت فقط أؤدي عملي" حجة فاسدة لأنها تستخدم للدفاع عما لا يمكن الدفاع عنه، كل أنواع الوحشية بُرِرَت بهذا السطر، كما لو أن الناس لا خيار لهم في هذا الموضوع، لكنك لا تضطر في العادة أن تقبل وظيفة تتطلب منك أن تكون فظا، وحتى إذا تم توظيفك، هناك غالبا خيار بين اتباع التعليمات بصرامة وإظهار بعض الليونة، فأنت لا تضطر دائما لقطع التيار الكهربي عن شخص عجوز، أو أن تأخذ أطفالا من والديهم أو أن تغرم شخصاً ارتكب خطأ بريئا.

لكن الحجج الفاسدة لا تستخدم فقط لأهداف وضيعة أو لمساندة ادعاءات زائفة، هناك أوقات يتم فيها توظيف حجج خاطئة لمقاصد شريفة بالكامل، وكان هذا صحيحا بالنسبة لأيان بلاك، سائق القطار من لندن لجلاسجو الذي خرج عن القضبان في ٢٣ فبراير ٢٠٠٧ في كمبريا.

حدث الصدام نتيجة نقاط قصور، لم يكن للسائق يد فيها، مات شخص وأصيب ٢٢ آخرون، وهي حصيلة كان من الممكن أن ترتفع لو لم يظل بلاك مسيطرا على القطار في حالة كبح كامل للفرامل لمسافة نصف ميل عندما خرج عن المسار، وقضى ثلاثة أسابيع ونصف في المستشفى، ولم يتم شفاؤه بالكامل حتى وقت كتابة هذه السطور.

ولا عجب أنه تمت الإشادة به كبطل، لكن بلاك أنكر هذا الشرف قائلا، "لقد قمت فقط بما يجب على أي سائق قطار أن يقوم به وكان شيئًا تلقائيا للغاية".

الإطفائيون والجنود وضباط الشرطة وعمال الإنقاذ، كثيرا ما يرفضون الادعاءات أنهم تصرفوا ببطولة، وإلى حد ما، كثيرا ما يكونون على حق، في أعقاب الكوارث، يحتاج المجتمع للتعرف على أبطاله، ليجد شيئًا لرفع المعنويات البشرية لمقاومة انكماش الكارثة، والأشخاص الذين يقومون ببساطة بما دربوا على القيام به يتم تصويرهم كما لو كانوا يتصرفون بصورة استثنائية.

ومع ذلك، أحيانا كثيرة يقوم الناس بالفعل بالتصرف بصورة استثنائية، فهم لا يقومون فقط بوظائفهم، بل يتخطونها ويذهبون فوق نداء الواجب، والادعاء أنهم لا يفعلون ذلك ليس أقل كذبا لكونه بدافع التواضع الجدير بالثناء.

أيان بلاك استعمل حجة زائفة أخرى، عندما قال إنه قد تصرف بتلقائية، الافتراض خلف هذا هو أننا إذا كنا لا نزن الأمور قبل التصرف، فنحن لا نستحق التقدير، هذا افتراض مشكوك فيه للغاية، وكما جادل أرسطو، أن تكون طيبا هو بنسبة كبيرة بسبب غرس بعض العادات، فالشخص الكريم لا يحتاج للتفكير مليا قبل أن يقدم شيئًا لشخص آخر، والشجاعة هي بالضبط نفس الشيء: الشخص الذي غرس فضائل الشجاعة سيكون قادرا على التصرف بشجاعة دون أن يقوم ببناء الشجاعة أولاً.

الرياضة تقدم أمثلة جيدة في كيفية سير الجدارة الحقيقية يدا بيد مع العمل التلقائي، أفضل لاعب في كرة القدم يكون لديه مهارات متطورة جيدا حتى أنه يقوم بحركات بارعة دون أن يفكر، ويتحدث الناس عن "قرارات جزء من الثانية" لكن عادة يكون أكثر دقة قول : إنه ليس هناك قرارات واعية على الإطلاق، اللاعبون الذين يستطيعون أن يفعلوا هذا يعتبرون بصدق أفضل من هؤلاء الذين يمكن القيام بنفس الحركات فقط بعد التخطيط الدقيق المسبق.

ولا نحن نعتبر أن الطبيعة التلقائية لأي تصرف بمثابة عذر للقيام بالخطأ، إذا قال شخص إنه يجب العفو عنه لأنه لَكَم شخصا لأن ذلك كان تلقائيا، أو أنه هرب بسيارته بعد صدم طفل لنفس السبب، فسوف نعتبر ذلك دفاعا حقيرا، إذا كانت لدينا الرغبة في لوم الناس على تصرفاتهم التلقائية، فيجب أن نكون راغبين في تقديم الثناء لهم أيضا.

حالة أيان لبلاك تعكس وجهة النظر الأوسع أنه أحيانا تكون الحجج الفاسدة حميدة بالكامل، الفلسفة والتفكير النقدي يعلمانك أن ترى العيوب في منطق شخص ما، ولكن الذي لا يفعلانه دائما هو أن يخبراك إلى أي حد يكون هذا مهما.

* * *

ما عدد المرات التي تقوم فيها أنت، أو الناس المقربون منك، بالاختباء وراء أدوار أو هويات عندما تبرر ما تقول أو تفعل؟ هل تقوم سريعًا بعمل أشياء لا تحبها ولا توافق عليها لأنك تعتقد أنها جزء وحزمة من عملك؟ هل تتصرف أحيانا كما تعتقد أن مسيحيا أو مسلمًا أو كافرا أو محافظا يجب أن يفعل، دون أن تتوقف لتسأل إذا كان هذا بالفعل مطلوبًا منك؟

انظر أيضا :

٤ . ليكن ما يكون .

٣٦ . الاغتصاب والتطور البشري .

٦٥ . أنت السبب .

٨١ . لقد جلبت لكم السلام والازدهار .

١٠ - من يدفع الثمن؟

المبالغ الصفرية لا تضيف شيئا

في مقابل كل رابح، يجب أن يكون هناك خاسرون ، وهذا لا علاقة له بالمهارة أو "الاستثمار" أو الشعبية.

Neil Collins, Daily Telepgraph(٨٢)

مثل كثير من المعارضين لثقافة "شيء مقابل لا شيء"، يبدو أن نيل كولينز يعتقد ليس فقط أنه صحيح بل إنه واجب أخلاقي، أن شخصا ما في مكان ما، يجب أن يدفع ثمن كل شيء طيب تم القيام به، كتب كولينز عن مخطط "سندات الرُضَّع" حيث تدفع الحكومة البريطانية مبلغا من المال في صندوق استثمار لكل طفل عندما يولد، وقد تقرر الحكومات أن تضيف إليه في أعياد الميلاد، وأيضا يمكن للأقارب أن يساهموا بمبالغ تصل إلى ١٠٠٠ جنيه إسترليني في العام، الأطفال من العائلات الفقيرة يتلقون من الحكومة أكثر من أقرانهم الأفضل حالا، والتفكير وراء هذا المخطط أنه رأسمال صغير عند بداية حياة البالغ يمكن أن يصنع فرقا كبيرا بين النجاح والفشل.

وجد المتشككون كثيرا للشك في المخطط، ليس أقله تفاهة المبالغ المشاركة - ليس أكثر من ٥٠٠ جنيه إسترليني في البداية من الحكومة، وهو ما لن يفتح أبوابا كثيرة لابن الثمانية عشر عاما، لكن ما يبدو أنه ضايق كولينز أكثر في إدانته أن شخصا ما سوف يدفع لكل هذا، حتى إذا أصبح بعض الناس أفضل حالا، وهذا يعني في

المحصلة النهائية أنه لا يساعد على الإطلاق - فما تعطيه الحكومة بيد سوف تأخذه باليد الأخرى.

لكن هل صحيح أنه في مقابل كل رابح ينبغي أن يكون هناك خاسرون في المقابل؟ أي طريقة تستخدمها في تفسير هذه المقولة البديهية لا تظهر ذلك.

هل يعني هذا أن المبلغ الإجمالي للثروة في مجتمع ما يجب دائمًا أن يظل كما هو دائما، لذا فأي زيادة في ثروة شخص واحد ستؤدي بالضرورة إلى خفض في ثروة شخص آخر؟ واضح أن الأمر ليس كذلك، حيث إن العالم يزداد غنى، من السهل رؤية ذلك: اكتشاف موارد أكثر أو استعمالها بإنتاجية أكبر يزيد الثروة؛ لذا فإن مجتمعا بدائيا ينتج طعامه وقوالب طوب فقط، (وتقاس ثروته بهذه السلع فقط) سيكون أكثر ثراء إذا تعلم كيف يزرع طعامه ويصنع طوبا بإنتاجية أكبر، فتكون النتيجة بيوتا أكبر، وطعاما أكثر، وليس هناك خاسرون.

هل يعني هذا أن أي زيادة في إنفاق الحكومة لا بد أن يقابلها زيادة في الضرائب أو ضغط للإنفاق في مجال آخر؟ ليس بالضرورة، كل ما تحتاجه الحكومة لتمويل إنفاق أعلى هو عائد أكبر من الضرائب، وإذا نما الاقتصاد أسرع من التضخم، فإن معدلات الضريبة يمكن أن تظل كما هي بينما، يزداد إنفاق الحكومة في القيمة الحقيقية، نظرا لأن هناك كعكة مالية أكبر لكي تأخذ منها الحكومة شريحة أكبر نسبيا؛ لهذا السبب، وبشكل حدسي، يمكن أحيانا أن يقود خفض معدلات الضرائب لزيادة في إجمالي العائد الضريبي.

هل يعني هذا، بغموض أكثر، أنه إذا استفاد شخص، فشخص آخر يجب أن يدفع بطريقة ما، حتى إذا كانت هذه الفوائد والمكافآت ليست مالية بالضرورة؟ مرة أخرى، لا يوجد سبب للتفكير في هذا، قد تكون هناك طرق، على سبيل المثال، لمساعدة المجرمين المدانين للاندماج في المجتمع، وحيث إن المجرمين يُكلفون دافع الضرائب في حين أن العاملين يساهمون في الثروة الوطنية، فمثل هذا المخطط سوف يفيد المجرمين ودافعي الضرائب والمجتمع على حد سواء.

والمبدأ القائل إنه مقابل كل رابح ينبغي أن يكون هناك خاسر غير متماسك: هناك بعض الأشياء مثل حالات رابح - رابح، وتأتي الصعوبة عندما ينبغي علينا تمييزها من الألعاب الصفرية، مثل التنس، وفيها يكون هناك رابح واحد فقط.

* * *

هل يوفر الإنترنت منتدى يمكن فيه للجميع أن يحصلوا على موسيقاهم وأفكارهم هناك، أم أن الحال تظل، كما في العالم المادي، أن الوقت والموارد المحدودة يعني أنه لا يمكن أن يكون هناك سوى عدد قليل من الرابحين؟ هل موازنة الكربون للطائرات هي حالة رابح - رابح أم مجرد تظاهر بحماية البيئة؟ هل التجارة الحرة للقهوة تعني "قهوة جيدة لك و صفقة جيدة للمنتجين" أم أن هناك شخصاً ما في مكان ما يدفع ثمن كل ذلك؟

انظر أيضا :

١٦ . حظ أفضل .

٣٧ . الطريق الوحيد متجه للأسفل

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٩٦ . ما الفرق الذي يصنعه؟

٦١ - أكاذيب وإحصاءات

ابتذال وإساءة استعمال الأرقام

قبل سنوات قليلة، قامت الجمعية الوطنية لمنع القسوة ضد الأطفال بسؤال آلاف من الناس عما إذا كانوا قد تعرضوا لاعتداء جنسي ينطوي على اتصال جسدي قبل أن يصلوا لسن الثانية عشر، قال ١٦٪ من النساء و٧٪ من الرجال إنهم قد فعلوا، وهذا يساوي واحداً في كل تسعة من الأطفال قبل سن المراهقة، والنتيجة هي أن مليوناً من الأطفال يتم إيذاؤهم في بريطانيا حالياً.

Mark Easton, BBC homes affairs correspondent[٨٣]

الإحصاءات الدقيقة مجرد حقائق، وبهذه الصفة فهي لا تكذب، ومع ذلك، فإن السمعة السيئة التي تتمتع بها كمصدر للخدع الحالكة ليست بالكامل بدون أساس؛ لأن عدم قابليتها للطعن يمكن أن يشلنا ويتركنا غير قادرين على رؤية الحقائق غير المثبتة التي يفترض أن تبرهنها.

تعبير مارك إيستون البليغ خلال بعض الإحصاءات المحيطة بإيذاء الأطفال هو نموذج لكيفية عدم استخدام الأرقام، واستنتاجه، في واحدة من أكبر إذاعات الأخبار في البلد، مروع حقا: "مليون من الأطفال يتم إيذاؤهم في بريطانيا حاليا"، قد يراودك الأمل أن صحفيا مهما في البي بي سي يجب أن يتأكد من أن هذه المقولة قد ساندتها الحقائق.

مع أي بيانات إحصائية، يجب أن يكون أول سؤال: ما هو مصدرها؟ من أين جاءت هذه الأرقام؟ ويحسب لإيستون أنه أخبرنا بذلك، فهذه الأرقام جاءت من مسح

قامت به الجمعية الوطنية لمنع القسوة ضد الأطفال، وهذا في حد ذاته يجب أن يجعلنا حذرين، فجمعية يكون سبب وجودها هو حمايتنا من شيء لها مصلحة في جعلنا نشعر أننا نحتاجها؛ لذا فقد يُنصَح هنا ببعض الشكوك.

السؤال التالي يجب أن يكون، ما المنهجية؟ الجمعية الوطنية لمنع القسوة ضد الأطفال قامت بسؤال بالغين عما إذا كانوا قد تعرضوا للإيذاء كأطفال، هل هذه طريقة دقيقة لمعرفة إذا كان مثل هذا الإيذاء قد تم بالفعل؟ ربما لا، لكن حتى إذا كان فسيظل هناك مشكلة واضحة: يمكن أن يخبرنا المسح عن الإيذاء في الماضي، لكن ما يحدث حاليا يمكن أن يكون مختلفا تماما، في المملكة المتحدة، الجمعيات الخيرية مثل الجمعية الوطنية لمنع القسوة ضد الأطفال وخطف الأطفال نجحت في توضيح انتشار الإيذاء وتشجيع الأطفال للإبلاغ عنه، ولن يكون من المستغرب إذا تناقص حدوثه نتيجة لذلك.

لذا فنحن لدينا مختلف الأسباب للتعامل مع الإحصاءات بحذر، لكن هنا يلقي إيستون باستنتاجه: "مليون من الأطفال يتم إيذاؤهم في بريطانيا حاليا"، وهذا ما لا يظهره المسح قط، فبالإضافة إلى مشكلة تداخل النشاط الحالي للمسح بأحداث الماضي، لن تظهر الدراسة أنه في أي وقت كان ١٦٪ من النساء و٧٪ من الرجال يتم تعرضهم للإيذاء البدني، بل إن هذه الإحصاءات تشير إلى إيذاء في أي وقت خلال مرحلة الطفولة، ويكون من الإثارة غير المسئولة الادعاء أن الدراسة تطرح أن مثل هذه المستويات الرهيبة من الإيذاء تستمر في وقتنا الحالي.

ومن ثم فإن ملخص إيستون القصير يحتوي على الأقل على ثلاثة أخطاء شائعة عند تقرير الإحصاءات: عدم توفير المحاذير بالنسبة لمصدر الأرقام، وتطبيق حقائق تم جمعها في سياق محدد على سياق مختلف، واستنتاج نتائج لا مبرر لها ببساطة على أساس هذه الأرقام.

هناك طرق كثيرة مختلفة لإساءة استعمال الإحصاءات، على سبيل المثال، قبل عدة سنوات ادعى تقرير في الجارديان أن صناعة النشر "تفتقر إلى التنوع الثقافي"

لأن ١٣٪ "فقط" من الناس الذين يعملون فيها ينتمون لمجموعات الأقليات العرقية.[٨٤] ما لم يذكره التقرير، مع ذلك، أنه في نفس الوقت، كانت الأقليات العرقية تشكل حوالي ٨٪ من سكان المملكة المتحدة، وكما يحدث غالبا، فإن الإحصاءات طُرِحَت كما لو أنها تتحدث عن نفسها، بينما المقارنة والتفسيرات ضرورية.

* * *

هل تتحدث الإحصاءات التالية عن نفسها؟ الأمهات العاملات أكثر سعادة بوضوح عن الأمهات المقيمات بالمنازل، بصرف النظر عن عدد الساعات اللاتي يعملن فيها.[٨٥] ثلث الإسكتلنديين تقريبا يعتقدون أن هناك أحيانًا سببًا جيدًا للتحامل ضد الأقليات[٨٦]، ينتظر الناس بمتوسط ١٧ دقيقة للحصول على مساعدة تقنية من مقدم خدمة الإنترنت. [٨٧] يشعر الأطفال في إنجلترا بأمان أقل في المدرسة عن الآخرين في بلدان مقارنة. [٨٨] هل تفهم حقيقة أهمية هذه النتائج أم هل تجد نفسك تعتقد هذا بدون سبب كاف؟ هل هذه الإحصاءات تكذب، أم أننا لا نقرؤها بالدقة الكافية؟

انظر أيضا :

١٦ . حظي يجب أن يتغير .

٣٧ . الطريق الوحيد متجه للأسفل .

٥٢ . أزواج ومطلقون ومتعاشرون .

٩٦ . ما الفرق الذي يصنعه؟

٦٢ - من قال إن التدخين قاتل؟
اثبت ذلك

لم يتم علميا إثبات أن تدخين السجائر سبب لسرطان الرئة، إن سبَبَ أو أسباب الإصابة بسرطان الرئة غير معروف.

Imperial Tobacco legal documents[٨٩]

"اثبت ذلك" تبدو مثل تحدً عادل لكل من يقدم ادعاء يُظَن أنه كاذب، وهو فعلاً كذلك كما يفهم منه، والمعضلة أن "الإثبات" الكافي تقريبا دائمًا ما يتركنا على مسافة من ظلال شك بدون سبب.

والبحث عن اليقين يعود على الأقل لأيام أفلاطون، ويوضح أفلاطون في "الجمهورية" أن أعلى شكل من أشكال المعرفة هي الحقائق الثابتة المؤكدة، والحقيقة المطلقة كانت هدف كثير من الفلاسفة منذ ذلك الوقت.

ومع ذلك، من الصعب الآن أن يفكر أي شخص أن الحقيقة المطلقة ممكنة في معظم نواحي المعرفة الإنسانية، إن تفريق ديفيد هيوم بين الواقع وعلاقات الأفكار مفيد هنا، والأخيرة تحتوي على رياضيات ومنطق وبيانات صحيحة بحكم تعريفها، الأول يحتوي على كل الحقائق عن العالم الحقيقي، أشار هيوم إلى أننا لا نستطيع إثبات هذه الحقائق بناء على طرق الاستدلال الصارمة القى نستعملها في الرياضيات مثلاً، بل إن التجربة الماضية تقدم الدليل على صحتها، وهو دليل ليس منطقيا تماماً، ولكننا نرى أنه كاف.

خذ كمثال بسيط نقطة غليان الماء، منطقيا لا تعني حقيقة أن كل الماء حتى الآن يغلي عند درجة ١٠٠ مئوية (معدلة حسب الشوائب وضغط الهواء بالطبع) أن كل الماء في المستقبل سوف يفعل نفس الشيء، لكن هذا لا يهم؛ لأن الحقائق عن العالم لم تستقر بالاستدلال المنطقي الصارم، بل إن الذي يحددها هو عملية التعميم من التجارب السابقة، وكما قال ستيفن جاي جولد، "في العلم، "الحقيقة" تعني فقط المؤكد لدرجة أنه من العناد حجب الموافقة المشروطة"، أنا أفترض أن التفاح سوف ينضج غداً، لكن الإمكانية لا تستحق وقتاً مساوياً في الفصول الدراسية لعلم الفيزياء.(٩٠)

ينبغي أن يكون واضحاً أنه لا توجد حقائق عن العالم يمكن إثباتها بدون أي شك على الإطلاق، وتصبح الأمور أكثر قتامة ، مع ذلك، عندما نصل إلى الحقائق ذات الأدلة الدامغة، هنا نصادف حالات من قبيل علاقة التدخين بالسرطان، على الرغم من وجود أدلة قوية جداً أن التدخين سبب رئيسي لسرطان الرئة، فهناك مساحة تذبذب متاحة للمشككين للمطالبة بمستويات أعلى من الإثبات والادعاء أن العلم لم يحققها بعد، ولم يتم استبعاد كل التفسيرات البديلة ويظل على الأقل ممكنا أن التدخين ليس هو العامل الرئيسي العارض على الإطلاق.

يجب ألا نخدع بمثل هذه السفسطة، حقيقة إن التفسيرات الأخرى ممكنة منطقياً دليل مضلل، وحقيقة أنه محتمل أن العلم قررها بصورة خاطئة هي أيضاً غير مثيرة: العلم بطبيعته قابل للخطأ والمطالبة بعصمته هي عدم امتثال لوصية أرسطو طاليس الحكيمة بألا نتوقع من الأمر إلا ما يسمح به، ومثل خبير الفودكا الجيدة، الباحث عن الحقيقة يجب ألا يطلب إثباتا بنسبة مائة في المائة، إذ يجب أن نعيش بمقدار صغير من عدم التأكد، والإثبات يتطلب منا أن نتحرك فقط خلف شكوك معقولة، ولا يتطلب منا أن نزيل كل احتمالات الشك مهما كانت .

ومع ذلك، ثمة تطور في هذه القصة، على الرغم من أن عدم وجود دليل لا ينبغي

أن يجعلنا نعلق الحكم، فمن الجدير بالذكر أنه حتى أكثر الحقائق العلمية قبولاً على نطاق واسع قد تكون خاطئة، فيلسوف العلم كاسوك شانج، على سبيل المثال، كتب عن كيفية اعتماد نقطة غليان الماء ليس فقط على النقاء وضغط الهواء فقط بل نوع الوعاء الذي يغلي فيه.[٩١] وظاهريًا يعرف كثير من المهندسين هذا جيدًا، لكن معظم الناس لا يزالون مقتنعين أن العلم أظهر أن الماء يغلي عند ١٠٠ درجة مئوية؛ لذا بينما ينبغي ألا نسمح لعنصر الشك أن يتركنا معلقين أحكامنا، يجب أن يجعلنا نتذكر ترك الباب مفتوحًا للدليل الذي قد يهز حتى أكثر معتقداتنا تصديقا، المشي على الحبل بين الشك المفرط وابن عمه المتناسب، مع ذلك، ليس شيئًا سهلاً.

* * *

اللعب على الشكوك وسيلة جيدة للتحقق من أن عدم اليقين المطلق هو القاعدة وليس الاستثناء، حاول أن تأخذ إلى الواقع أي معتقد تعتنقه ببعض اليقين واسأل نفسك لماذا قد لا يكون مبررا اعتناقه كحقيقة مؤكدة، فكِّر في الأسباب لماذا يمكن أن تكون زائفة في الواقع، هذا التدريب قد يكون مربكًا، لكنه سيساعدك على اتخاذ نهج متوازن لدرجات عدم اليقين.

انظر أيضًا :
١٥ . من يعلم؟
٥٤ . الأسلحة الخفية .
٧١ . ما لم يعرفه شيرلوك .
٩٠ . كيف يمكن أن أصدقك مرة أخرى؟

٦٣ - المستشارون سرقوا أصدقائي

لمصلحة من؟

لقد سلبنا أصدقاءنا من قبل أولئك الذين يسعون لتحقيق مكسب سريع من غيابهم.

Carol Sarler, The Times[٩٢]

مثل كثير من الناس، عندي عشرات من الأصدقاء، وهم أصدقاء الفيس بوك: خليط من تشكيلة افتراضية من الأصدقاء بما في ذلك الأشخاص الذين عرفتهم لكني لم أقابلهم لسنوات، زملاء مهنة وغرباء تماما، ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بالأصدقاء الحقيقيين، الذين نراهم بانتظام ونثق بهم، ونشعر بالمتعة بقضاء الوقت معهم، يصبح الحال أسوأ، فقد أظهرت دراسة في مجلة الدراسات الاجتماعية الأمريكية أنه خلال السنوات العشرين الماضية، انكمش متوسط دائرة الأصدقاء المقربين بمقدار الثلث.

بالتمعن في أسباب هذا في التايمز، توصلت كارول سارلر إلى استنتاج مذهل: فقد ألقت باللوم على "التوسع المتوحش لتجارة المشورة" لتشجيعنا على التحدث للأطباء النفسيين بدلاً من أصدقائنا.

لقد توصلت إلى هذه "النتيجة المحتومة" عن طريق توجيه سؤال بسيط: لمصلحة من؟ المنطق في هذا هو حيث إنه لمصلحة المستشارين أن يكون لنا أصدقاء أقل، فمن المنطقي استنتاج أن ازدياد المشورة هو ما يجب أن يلام في حقيقة أن لدينا هذه القلة.

أعرف صحفيين يُدفع لهم لآراء شائنة، لكن هذا بالتأكيد يذهب لما وراء نداء الواجب، لكن سارلر ليست وحيدة في وضع ثقة كبيرة في قدرة سؤال "لمصلحة من؟" على إطلاق الأسباب السرية لكل أنواع المعتقدات والممارسات.

على سبيل المثال، أيه أيه جل يعتقد أنه من "المفيد" أن نسأل من المستفيد من التشكك في تغييرات المناخ، وإجابته "بوضوح، هم الأشخاص الذين يحفرون آبار البترول، والذين يمتلكون محطات الطاقة أو يظهرون في برامج السيارات الشعبية فكلهم لهم اهتمام في ألا يكون الاحتباس الحراري من اهتماماتنا."(٩٣) لكن يظل السؤال يدور ببساطة: من المستفيد من الاعتقاد أن الاحتباس الحراري الذي صنعه الإنسان خطر حقيقي وموجود؟ أعداء الميكنة وعلماء البيئة والمتشائمون ورجال الأعمال المختصون ببدائل الطاقة وأصحاب جريدة الإندبندنت، الذين يملئون عدداً كبيراً من صفحاتهم بحكايات قاتمة عن كيف سنذهب إلى الجحيم في عربة يد، كل وجهة نظر تخدم شخصاً ما، لكن مع ذلك يكون بعضها صحيحا.

الاعتقاد بأن سؤال "لمصلحة من؟" يقود مباشرة إلى الحقيقة بصفة خاصة في العديد من تحليلات اليسار المتطرف في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، الادعاء بأن تصرفات الولايات المتحدة (وغالبًا الأمم المتحدة) تتم لمصلحة الرأسماليين الأمريكيين فحسب (وليس الشعب الأمريكي) أصبح شائعًا حتى أن الكثيرين يعتقدون أنه يمكن ببساطة الافتراض أن هذا هو الحال دائمًا، وظيفة "لمصلحة من؟" إذن أصبحت تفسيراً لكل أحداث العالم بتعبيرات لمصلحة الولايات المتحدة؛ لذا إذا تدهورت الأمور في العراق، فهذا لأن من مصلحة الرأسماليين الأمريكيين القيام بحرب مكلفة طويلة المدى، وإذا تحسنت الأمور، فهذا لأنه من مصلحة الرأسماليين الأمريكيين، أن يكون لديهم عمل مع دولة مسالمة ليذهب إليها مقاولوهم لتنظيفها، وتفقد الأحداث أي قدرة تفسيرية لأن السؤال عن صاحب المصلحة معروف الإجابة سلفًا.

المأساة في كل هذا أن "لمصلحة من؟" هو بالفعل سؤال جيد جدًا، وغالبًا ما يشير في اتجاه الحقيقة، على سبيل المثال، نشرت الصحافة البريطانية مؤخراً تقريراً عن "دراسة" أظهرت أن تناول الشوكولاتة يعطيك متعة أكثر من التقبيل، من المستفيد من

هذه الحقيقة التافهة؟ منتجو الشوكولاتة، بطبيعة الحال، ومن كان خلف هذه الدراسة؟ بالفعل كما خمنت، لكن من الأهمية بمكان إدراك أننا ما لم نعرف أن هؤلاء الذين لهم مصلحة في النتيجة قد دبروها، فسيظل سؤال "لمصلحة من؟" لا يفعل أكثر من إثارة شكوكنا، "لمصلحة من؟" سؤال جيد، ولكنه ليس مفتاح كل الحقيقة.

* * *

ما الشكوك الأخرى التي تثار بسؤال "لمصلحة من؟" سؤال يشير إلى الحقيقة وأية بلاغات كاذبة؟ الاعتقاد أن العازل الطبي يساعد في منع انتشار الأمراض الجنسية يفيد صانعي العازل؟ حقيقة أن الرغبة في السفر تفيد شركات الطيران؟ حقيقة أن القلق حول شكل الجسم يفيد صناعة التجميل؟ هل هذه الحقائق تخبرنا أي شيء يجعلنا قلقين بشأنه؟

انظر أيضًا :

٨ . لا تقلل من شأني .

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئا لك؟

٤٢ . السيدة التي تحتجُّ كثيرا .

٧١ . ما لم يعرفه شيرلوك.

٦٤ - أمري كان لي

الاختيار يجعل كل شيء على ما يرام

في أمة نامية نموذجية، إذا كنت قادراً على العمل لدى شركة أمريكية متعددة الجنسيات، ستحصل على ثمانية أضعاف متوسط الأجر؛ لهذا يقف الناس صفوفا ليحصلوا على هذه الوظائف.

Johan Norberg, In Defence of Global Capitalism(٩٤)

هل تقلق مطلقا على كل الناس المستغَلين في العالم؟ قد تقلق كثيراً، بالتأكيد، ضع حداً فاصلاً عند العبيد، لكن عندما يتعلق الأمر بأمثال العاملين في مجال الجنس، والأشخاص الذين يعملون في المصانع المستغلة للعمال، والجنود الذين يقتلون، أو الأشخاص الذين ينظفون دورات المياه التي تستخدمها، يمكنك دائماً أن تقول لنفسك: لم يكن ضرورياً لهم أن يفعلوا ذلك – كان الأمر باختيارهم.

المفهوم الأساسي هنا هو "الموافقة المطلعة"، إذا وقع شخص ما في شرك البغاء، أو تم إخباره أنه سيربح جيداً ثم حصل بالفعل على مبلغ زهيد، فهذا شيء، لكن إذا حصل على وظيفة بمعلومات كاملة عما سيحدث له، بصرف النظر عن خطورته أو إزعاجه، أليس من الواجب أن نفترض أنه يختار منطقياً لنفسه فلا ينبغي أن يعاني من محنته؟

هذه حجة مطمئنة ، إذا كانت فاعلة، حيث إن ضميرنا يمكن أن يستريح، لكن عدم وجود مشكلة ما دامت هناك موافقة فكرة معيبة لعدة أسباب :

أولاً، يضطر الناس أحياناً لقبول أشياء بشعة لأنهم عملياً ليس لهم خيار، البغاء مثال مناسب، أنا متأكد أن هناك بعض النساء الذين لا يمثل الجنس لهم الملاذ الأخير ولكنه خطوة وظيفية متعمدة، وأي رجل يعتقد أن البغاء ليس مُستغلاً على الإطلاق ما دامت المرأة لم تجبر جسدياً عليه فإنه بالتأكيد مغرر به.

ثانيا، حقيقة أن شيئاً مزعجاً هو أفضل خيار متاح لشخص لا يجعله مقبولاً، إذا كان من الممكن أن يحصل على شيء أفضل مقابل قليل من التكلفة أو بدونها، على سبيل المثال، المديرون في المصانع في العالم النامي غالبا ما يرفضون أن يسمحوا لعمالهم بوقت كاف للذهاب لدورات المياه، ويحرمونهم من مياه الشرب، ولا يتبعون القوانين المحلية أو إجراءات الصحة والسلامة – ويمكن للقائمة أن تزيد؛ لذا ما هو الحال إذا كان العمل في أحد هذه الأماكن يظل الخيار الأفضل محليا؟ إذا كان من الممكن أن يدفع المستهلكون الغربيون قليلا إضافيا فيزيلون كل هذه الصعوبات، فلماذا لا يفعلون؟

يقدم جوهان نوربرج عديدا من النقاط ذات الصلة عن فوائد التجارة مع البلاد النامية، لكنه يبالغ في حقيقة أن وظائف الشركات الأمريكية متعددة الجنسيات غالباً مرغوبة أكثر، قد يصطف الناس للحصول عليها، لكن الناس يصطفون لكل أنواع الأشياء عندما يكونون في حاجة ماسة إليها، وهو أيضاً يلقي بمقولة مضللة عندما يقول، "إذا تلقى العمال مرتبات الولايات المتحدة في فيتنام، فإن أصحاب الأعمال لن يكونوا قادرين على استئجارهم"، الخيار ليس بين المصانع المستغلة للعمال أو المرتبات وظروف العمل الغربية، ولكنه بين الفرصة لكسب العيش الكريم في وظيفة لائقة أو العمل لساعات طويلة في ظروف سيئة مقابل ما يكفي بالكاد لمعيشتهم.

موضوع الموافقة المطلعة ذو صلة أيضاً بالمسابقات التي يطلب فيها من الناس التوقيع على حقوقهم القانونية على أساس أنه قد تم إبلاغهم بالمخاطر والمنافع ووافقوا عليها، يحدث هذا كثيراً في الطب، عندما يحتاج الناس للموافقة على تناول دواء أو

إجراء عمليات، لكن إلى أي مدى نكون أحرارًا في حجب موافقتنا؟ طبيبك يعرف أكثر منك؛ لذا أليس من الواجب أن تثق في حكمـــه؟ إذا ثبت خطؤه بشـــدة، ألا يكفي المستشفى ببساطة القول إنك أعطيت موافقتك لذا ينبغي عليك ألا تشكو.

الأمر حقًا هو أن عملية الاختيار تعني أن ما يحدث لك ليس أمرًا يهم أحدًا آخر؛ لذا فإن الخيار يجب أن يكون معلومًا حقا، وحقيقيًا وليس إجباريًا، وما يفعله الناس لك لاحقًا يجب أن يكون عادلاً بقدر ما يمكن أن يكون متوقعًا منهم بالمنطق.

* * *

هل يمكننا بأمانة القول أن ظروف الموافقة المطلعة والحرة قد تحققت للعاملين في البغاء، والعاملين في المصانع المستغلة للعمال، والجنود الذين يقتلون بالرصاص أو الناس الذين يضطرون لتنظيف دورات المياه التي تستخدمها؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، ماذا تفعل الظروف غير المسئولة مباشرة عن الاستغلال حيال ذلك؟ هل عليك مسئولية التأكد أن مشترياتك لم تصنع بواسطة أشخاص يعملون في ظروف غير عادلة؟

انظر أيضًا :

٤ . ليكن ما يكون .

١٧ . إذا لم تقتله لا تأكله .

٥١ . ثغرات قانونية .

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء .

٦٥ - أنت السبب

السبب يختلف عن المسئولية

إن الانتهاكات الوحشية التي مورست بواسطة الجنود الأمريكيين والبريطانيين في قوات الاحتلال ضد العراقيين المعتقلين في سجن أبو غريب قادت إلى ردود أفعال انتقامية ضد الأمريكيين في العراق، صور الاغتصاب والتعذيب..، أجبرت مجموعة أبو مصعب الزرقاوي على قتل المواطن الأمريكي بالسيف.

Egyptian newspaper Al-Wafd[٩٥]

في ٧ مايو ٢٠٠٤، جُزت رأس المواطن الأمريكي نك برج بوحشية بواسطة أعضاء المجموعة الإسلامية منتدى الأنصار في العراق، نعرف هذا لأن المجموعة أذاعت شريط فيديو للعملية المروعة كلها ونشرت الفيلم على الإنترنت.

السؤال عن المسئول عن هذا الموت كان، بتعبير محدد، سهل الإجابة عليه: منتدى الأنصار، ومع ذلك، قامت المجموعة نفسها بإلقاء اللوم بالكامل أمام أقدام الحكومة الأمريكية، مدعية أن سوء معاملة المعتقلين في سجن أبو غريب كان السبب الحقيقي لذبح برج، "نحن نخبركم أن كرامة الرجال والنساء المسلمين في أبو غريب وغيره لن يكون لها مقابل إلا الدم والأرواح، ولن تستقبلوا منا أي شيء إلا الأكفان تلو الأكفان" كما قالوا في بيانهم.

كان هناك كثير من الناس الذين ظهروا مستعدين لتقبل هذا الخط، وذهبت صحيفة الوفد المصرية بعيداً لقول إن أبو غريب أجبرت المجموعة على قتل برج (ومن المخيف أن عبارة "بالسيف" احتوت على نوع من النبل لم يكن في قتل برج: فقد جُزت رأسه ببطء بالسكين).

ليس من غير المألوف أن تسند المسئولية باستخدام هذا النوع من المنطق، فبعد ١١ سبتمبر قال كثير من الناس أو صمموا إن "أمريكا نالتها" بسبب تصرفاتها في الشرق الأوسط.

خلف هذه الحجج هناك بعض الادعاءات الواقعية البسيطة، ١١ سبتمبر كان من الممكن ألا تحدث إذا كانت السياسة الخارجية الأمريكية مختلفة، ونك برج لم يكن ليقتل لو لم تحدث أبو غريب؛ لذا ينبغي على الحكومة الأمريكية أن تحمل على أكتافها على الأقل بعضا من المسئولية للهجمات على البرجين ولاغتيال أحد مواطنيها.

هنا يجب أن ننتبه جيداً، فهناك على الأقل نوعان مختلفان من التعبير يمكن فيهما لشخص أو لشيء أن يكون "مسئولاً" أو "ملومًا"، واحد محايد أخلاقيًا: صامولة سائبة يمكن أن تكون "مسئولة" أو "ملومة" في حادث اصطدام سيارة لكن هذا لا يعني إمكانية مقاضاتها، "مسئول" في هذا التعبير يعني بطريقة بحتة شيئا عاملاً عارضًا وحاسمًا، وبالمثل، امرأة تمشي وحيدة بالليل في منطقة هادئة وخطرة وتغتصب هي فقط "مسئولة" عن هذا في إطار تعبير محدود جدا لأن استهتارها كان عاملاً عارضاً، فهي "لم تنلها" وأي لوم أخلاقي يقع بالكامل على المغتصب.

لذا حتى إذا قبلنا أن التصرفات الأمريكية في الشرق الأوسط كانت على الأقل جزئيًا وبصورة عارضة مسئولة عن اغتيال نك برج وأحداث ١١ سبتمبر، فلا يستتبع ذلك بالضرورة أن تكون أمريكا هي الملومة أخلاقيا لما حدث .

تحديد عامل حاسم عارض لا يؤدي تلقائيًا إلى تحميل المسئولية، على سبيل المثال، أخبر والد نك برج قناة سي بي إس الإخبارية أن ابنه – وهو يهودي – كان يحمل معه قطعة قماش دينية مزركشة، وأنه "إذا كانت هناك أي شكوك أنهم كانوا سيقتلونه فهذه غالبًا حسمت الأمر، وأنا أخمن هذا"(٩٦) ، والاستنتاج هنا أنه من المحتمل إذا لم يكن نك برج يهوديًا، ما كان ليقتل، إذا كان هذا هو الأمر، فهل يعني هذا أن يهوديته ملومة أخلاقيا لموته؟ الافتراض سخيف، المسئولية الأخلاقية لا تتبع أي

سبب قديم.

أن تكون مسئولاً عن شيء بالمعنى الأخلاقي، يجب أن يكون الشخص واقعيًا قد ارتكب عملاً رهيبًا، أو خلق حالة حيث التسبب بالأذى كان رد فعل أخلاقيًا مبررًا، أو تصرف بإهمال في معرفة ما هي النتائج الرهيبة التي يمكن أن تقع.

* * *

هل كان تدمير برجي التجارة واغتيال نك برج ردود فعل مبررة للسياسة الخارجية الأمريكية؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك (كما سنجيب بالتأكيد)، هل خلقت السياسة الخارجية الأمريكية ظروفًا أصبح فيها مثل هذه التصرفات غير المبررة محتملة على أي حال؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما حجم المسئولية الأخلاقية التي تقع على الحكومة؟

انظر أيضًا :

١٧ . إذا لم تقتله لا تأكله .

٣٨ . يتعين عليك أن تفعل المستحيل .

٥١ . ثغرات قانونية .

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء .

٦٦ - اثبت نفسك

مرجعيات زائفة

بعد قراءة "دولة في الأسر"، لن أكون قادراً على النظر إلى حكومة العمال بجدية مرة أخرى.

Thom Yorke, lead singer of Radiohead(٩٧)

في رأيي - الذي لم يكن متواضعا أبدا - راديوهيد هي أفضل فرقة روك على الكوكب حاليًا، ومع جولدفراب، هي واحدة من أفضل فرقتين يمكن أن أشتري آخر ألبوماتها (أو أحصل عليها مجانًا من الإنترنت) بمجرد صدورها، وبدون الاستماع إليها أو قراءة مقالات نقدية عنها أولاً،

لكن على الرغم من كوني مستعداً للاعتراف بعبقرية ثوم يورك وشركائه في عالم الموسيقى، وأعرف أغرودة يورك "لا تشكك في مرجعيتي" في أغنية "٢+٢=٥"، وهو ما يجب بالضبط أن نفعل، لماذا يجب أن نعتبر تأييده لكتاب يفترض خطورته عن "استيلاء الشركات على بريطانيا"، مستحقا للانتشار على أغلفة الكتب؟ لماذا يجب أن نقيِّم رأيه في هذا الموضوع أكثر مما نفعل مع العمة مابل؟ يورك ليس مرجعية في الموضوعات السياسية والسبب الوحيد لأخذ ما قاله بجدية هو أنه مشهور جداً لأسباب غير متصلة تماما بالشئون الجارية، المشاهير يعبرون عن أرائهم حول كل ما يريدون والناس يستمعون.

هذا مجرد مثال متطرف لكيفية التعامل مع الناس في أحيان كثيرة على أنهم "مرجعيات" في موضوعات محددة لأسباب غير وجيهة، إذا كانت كل المرجعيات الزائفة

واضحة للغاية فلن يكون هناك فائدة تذكر في لفت الانتباه إليها، لكنها ليست كذلك، على سبيل المثال، الكاتب العلمي بن جولداكر قام بمهمة متكاملة قدر الإمكان تظهر أننا يجب ألا نأخذ المدعوة "خبيرة التغذية" جيليان مكيث كمرجعية يعتد بها، فهي حتى وقت رفع قضية أمام مرجعية معايير الإعلان، اعتادت أن تستعمل لقب "دكتور" على الرغم من حقيقة أنها حصلت على درجة الدكتوراه بالمراسلة من كلية أمريكية غير معترف بها، جولداكر أظهر كيف أن العديد من تصريحاتها عن التغذية ترتكب أخطاء بدائية عن البيولوجي، إلا أن بعض المحافظين الإسكوتلنديين وجهوا لها دعوة لكي تشير على الحكومة، وفي ٢٠٠٥ منحتها جمعية الأرض الزراعية جائزة تعليم المستهلك.

ظاهرة منح الناس الحالة المطعون فيها كمرجعية هي أكثر إثارة للجدل في مجال الأخلاق، في الأخلاقيات الطبية، يتم إعطاء أراء الأطباء وزنا كبيرا، وعلى سبيل المثال، نشرت جريدة الديلي تلجراف قصة عن جراح رائد لنقل الأعضاء، البروفسور نادي حكيم، الذي طالب بتقنين تجارة الأعضاء، لكن لماذا ينبغي أن يكون جراح في وضع أفضل للتعليق على أخلاقيات بيع الأعضاء من ثوم يورك مثلا؟ فخبرة حكيم في الجراحة، وليست الأخلاقيات.

هذه منطقة خادعة، فربما لا يوجد شيء اسمه خبير في الأخلاقيات – على الأقل ليس هناك خبراء نرجع إليهم جميعًا بنفس الطريقة التي يتم بها الرجوع لخبراء في الهندسة أو الطب، لكن يوجد أشخاص مؤهلون أفضل من آخرين للفحص والتعامل مع الموضوعات الأخلاقية المعقدة، يميل الإعلام إلى التركيز على ما يقوله الأطباء والأساقفة وقادة جماعات الضغط والنقاد، ونميل نحن قليلاً لسماع أعضاء لجان الأخلاقيات وفلاسفة الأخلاق، الذين يفكرون في هذه المشاكل بعمق أكبر من أي شخص آخر ولكنهم لا يحصلون على الفرصة للمساهمة بنفس القدر في المناقشات كما يستحقون.

إن مشكلة المرجعيات الزائفة هكذا تكون أكثر انتشاراً وأحيانًا أقل وضوحًا مما هو موجود في الحالة المتطرفة للمغني حين يعامل كمعلق سياسي.

* * *

بمجرد أن تبدأ بالتساؤل لماذا تعطى آراء بعض الناس احترامًا تلقائيًا، ستجد نفسك سريعًا تدرك ما هو عدد المرجعيات الصادقة الموجودة، وفي المرة القادمة التي تستمع فيها إلى برامج أخبار المذياع، على سبيل المثال، لاحظ من هو المدعو لكي يعطي "تحليل وتعليق خبير"، فستجد أنه في معظم الأحوال ليس مرجعية في الموضوع المطروح للمناقشة على الإطلاق، وأنا أعرف هذا لأن الضيف أحيانًا يكون أنا.

انظر أيضًا :

٣١ . أبي يقول .

٥٠ . كلمات لاذعة .

٨٨ . إذا كان قديمًا فهو جيد .

٩٤ . ليس من شأن الكرادلة .

٦٧ - كريس .. أنت مجرد سحلية

"أنا حر في رأيي"

وجهة نظري الشخصية أن الأمير لديه حق كامل للحديث عن الموضوعات التي تروق له.

Borix Johnson, London mayoral candidate(٩٨)

في ثمانينيات القرن العشرين، كان ديفيد آيك أحد أشهر مذيعي الرياضة في بريطانيا، ثم حدثت له سلسلة من التجارب "الروحية"، وفي مقابلة في أحد أهم البرامج الحوارية، ووجان، أعلن أنه ابن الله وأن بريطانيا ستُدمر سريعًا بموجات مد وزلازل، وعلى الفور أصبح رمزًا للسخرية، لكنه عاد، وطبع الآن عدة كتب وألقى كلمات عدة تحدد رؤيته الفقهية للعالم، أكثر معتقداته شهرة أن العالم تحكمه جماعة سرية من الزواحف أشباه البشر تدعى الوميناتي، والتي تضم بينها جورج دبلو بوش والملكة إليزابيت الثانية وكريس كريستوفرسون.

آيك بالتأكيد "حُر في رأيه"، لكن ما معنى ذلك في الممارسة العملية؟ على سبيل المثال، بعدما بدأ آيك حديثه عن وجهة نظره الغريبة، أوقفه حزب الخضر، وكان متحدثًا باسمه، عن الحديث علنًا نيابة عنه، هل كُمِمَ فم آيك؟ إذا كان حرًا في رأيه، أليس هو أيضًا حرًا في التعبير عنه؟ بعد كل شيء، يمكن ألا تكون هناك حرية اعتقاد حقيقية في بلد يتوجب عليك فيه أن تحتفظ بأي آراء مخالفة لنفسك.

ومع ذلك، في أحيان كثيرة نحن نلعب ورقة "أنا حر في رأيي" كما لو أنها تنسخ كل الاعتبارات الأخرى، بينما لا تفعل ذلك في الواقع بكل وضوح.

أولاً، هناك حالات يكون التعبير فيها عن رأي له تداعيات ملموسة وضارة، أن تقول لجماهير غاضبة إنك تعتقد (خطأ) أن حنقهم يجب أن يوجَّه للهندوس المحليين، هذا يمكن أن يؤدي لأذى للأبرياء، التعبير عن تعبيرات عنصرية أو جنسية أخرى يمكن أن يؤثر على رأي الناس فينصبَّ على أناس آخرين من أصول عرقية أو جنسية محددة، مثلما حدث عندما تم الادعاء أن بعض الفئات الاجتماعية أكثر خمولاً أو أقل ذكاء من الآخرين، ولا فائدة من قول إنه يحق لأحد أن يبدي رأيه في هذه الحالات: فالكلمات يمكن أن تسبب حدوث مضاعفات، ويجب استعمالها بدقة.

ثانيًا، حقيقة أن لك الحق في إبداء وجهات نظرك لا يعني أنك يجب أن تحصل على مكان بارز للتعبير عنها، هذه النقطة تم تجاهلها بواسطة الكثيرين في المملكة المتحدة، عندما نشأ خلاف حول قرار اتحاد أوكسفورد لاستضافة مناقشة مع قائد الحزب الوطني البريطاني اليميني المتطرف نك جريفن، والمؤرخ المراجع ديفيد أرفنج، اعتقد كثير من الناس أن قرار الاتحاد كان وصمة عار، مستفزًا ردة فعل متوقعة أنه يجب ألا يكمم فم أحد في مجتمع حر، هذا يخطئ الهدف: لم يحاول أي شخص أن يكمم جريفن أو أرفنج، وكما قالت "الأيكونومست" بإيجاز في تعليق رئيسي: "لهما الحق في آرائهما، لكن ليس على منبر مميز مثل أكسفورد" (٩٩) .

الأمير تشارلز، الذي دافع عنه بقوة السياسي المحافظ الكوميدي بوريس جونسون، تحدث في أحيان كثيرة في موضوعات مثيرة للجدل، طالبًا المزيد من الطب البديل، مثل الهوميوباثي، ومصرحًا أن مطاعم ماكدونالدز يجب أن تحظر، ومقدما دفوعا للعمارة التقليدية بديلا عن الحديثة ، هو حر في رأيه لكن كوريث غير منتخب للعرش، تلقى وجهات نظره اهتمامًا أكبر من الآخرين، ليست لديه سلطة، ولكن بسبب حادث ميلاده البحت، فإن لديه نفوذًا.

في الملكية الدستورية للمملكة المتحدة ، ينبغي ألا تتدخل العائلة المالكة في العملية السياسية إلا في الحالات الطارئة، وهذه ليست الحالة، إذن، عندما يقدم تشارلز آراء

في أمور هي من موضوعات السياسة العامة، ففي بعض الأحيان يتجاوز دوره الدستوري وينتهك وضعه المميز؟ إذا كان الأمر كذلك، فحقه في إبداء آرائه لا يستتبعه حق مطلق في استخدام أي فرصة لديه لنشرها.

في المجتمع الحر، السماح بالاختلاف في الرأي ليس مسألة واضحة لكنه معقد للغاية.

* * *

على الرغم من حقيقة أنه لا يمكن إجبار أحد أن يعطي الناس منبرا لوجهات النظر غير التقليدية، إذا لم تعطِ مثل هذه المنابر على الإطلاق فسينتهي بنا الحال إلى مطابقة خانقة؛ لذا فإن السؤال يصبح أين ومتى يكون مناسبًا للآراء المستقلة والهجومية أن تُبث؟ كيف ستتفادى وسائل الإعلام كلاً من إعطاء مصداقية لا مبرر لها للمخابيل وكونها مجرد مدافع عما يصلها من آراء؟

انظر أيضاً :

٥ . تحدث عن نفسك.

٢٥ . نرفض هذه الحرب الفاشية.

٥٧ . أعطني هذا المخدر.

٩٤ . ليس من شأن الكرادلة.

٦٨ - الكلب والبراغيث

التناول الخاطئ للموضوع

في أغلب الأحيان يقارن داوكنز الإيمان بالله بالاعتقاد الطفولي في سانتا كلوز أو في جنِّية الأسنان، قائلا إنه شيء يجب أن نتخلص منه مع الزمن، لكن المقارنة خاطئة، ما عدد الناس الذين تعرفهم والذين بدءوا في الاعتقاد في سانتا كلوز في مرحلة البلوغ؟

Alister McGrath, Theologican(١٠٠)

ريتشارد داوكنز ليس بالضرورة أكثر سفراء الإلحاد دبلوماسية، ولا هو بالأخص لطيف مع خصومه، ولقد سُطرت كتب عديدة كردود فعل مباشرة لكتابه الأكثر مبيعا "وهم الله"، لكنه يشير لمؤلفيها على أنهم "براغيث"، ملهما ببيت الشعر الذي كتبه ييتس "هل هناك كلب في أي وقت أشاد ببراغيثه؟"

أحد هذه "البراغيث" هو أليستر مكجراث، الذي نشر كتابه "وهم داوكنز؟" بعد أربعة شهور فقط من تشريح الكتاب، مكجراث ليس مترهلاً فكريا، لكن يبدو أنه قد وقع فريسة لخطأ عام عندما انتقد داوكنز، وهو إخفاقه الكامل في تناول جوهر الموضوع في بعض حججه.

داوكنز ليس أول شخص يقارن الإيمان بالله بالاعتقاد في شخصيات أسطورية مثل بابا كريسماس أو جنِّية الأسنان أو وحش الاسباجيتي الطائر، استعمال هذه المقارنة نموذجي لضعف داوكنز كشخص بليغ، إذ بينما تميل المقارنة لإبهاج الملحدين،

فإن المؤمنين والذين يتعاطفون مع الإيمان يجدونها رافضة وهجومية، ومع ذلك، فإن رد فعل مكجراث يدل أكثر على فشله المنطقي مقارنة بداوكنز.

كلما استُعمِلَت مقارنة في جدال، فمن المهم رؤية أي جزء من المقارنة على صلة بالموضوع، على سبيل المثال، عندما كتب روبرت بيرنز "إن حبي مثل وردة حمراء حمراء" لم يكن يعني أنه ينمو في التربة، ويحتاج للماء ويبدو رائعا عندما يقطع ويوضع في مزهرية، وبالمثل، أقول إن الإيمان بالله مثل الاعتقاد في سانتا كلوز لا يعني ذلك أنه يقتصر على مرحلة الطفولة المبكرة ويستتبع ذلك أن الله عنده غزال رنة اسمه رودولف، نقطة المقارنة عند داوكنز هي الأسس الاستدلالية للإيمان، يقول داوكنز إن الله مثل سانتا كلوز وجنِّية الأسنان، في أن بعض الناس يؤمنون به، لكن لا يوجد دليل أنه موجود، فهو يستخدم متعمدا مثالا لشيء نعرف أنه غير موجود، لأنه يرغب في إثبات نقطة أن الحالة الاستدلالية لله ليست أقوى من تلك التي للأوهام الطفولية.

تلك الحجة يمكن تحديها: ربما تعتقد أن هناك دليلاً على وجود إله اليهودية والمسيحية، لكن الحجة ببساطة لا تقوم إذا تم أخذ جانب لا علاقة له بالمقارنة ليكون مهما، هذا هو ما يفعله مكجارث، فهو يقول إن المقارنة لا تعمل لأن الناس يبدأون الإيمان بالله باعتبارهم بالغين، بينما هم يتبنون الاعتقاد في سانتا كأطفال فقط، هذا غير متصل بالموضوع، وجهة نظر داوكنز لا علاقة لها بالعمر الذي يتبنى فيه الناس المعتقدات، فكل الموضوع عن الدليل.

في تجربتي، يخطئ الناس غالبا جوهر المقارنات، فيميلون لافتراض أنك ترسم كل أنواع المتوازيات بينما في الحقيقة أنت تحاول أن ترسم واحدة فقط، لكن هناك طرقًا أخرى كثيرة للتناول الخاطئ للموضوع (مغالطة تقديم إثبات غير متصل بالمسألة)، على سبيل المثال، في المناقشات التي دارت عن الإجهاض، ترِد الحملات "المحبذة للاختيار" غالبا على الحجج عن وضع الجنين باعتباره كائنًا بشريًا بالدفع

بحقوق الأم، مهما كانت جدارة قضية حقوق الأم، فلن تستطيع الرد عليها إلا إذا قبلت الادعاء أن الإجهاض يرقى إلى القتل، الحديث عن حقوق الأم يغير الموضوع في أحيان كثيرة، وبذلك يخطئ القضية.

* * *

من السهل أن نخطئ جوهر الموضوع لأننا نميل للاعتياد على رؤية الموضوعات المهمة لدينا من منظور خاص جدا، يحتاج الأمر لبعض التخيل الفكري لنكون قادرين على الرؤية بصورة مختلفة، على سبيل المثال، عندما نصف القتل أنه "بدون معنى" فهل نحن في معظم الأحوال نفشل في رؤية أي معنى يحتاجه القتلة؟ إذا دافع شخص عن تقنين المخدرات لأسباب من الحرية الشخصية فقط، ألن يكون هذا تناولاً خاطئًا للموضوع عندما يتم الرد بالقول إن مثل هذه الخطوة ستؤدي إلى مزيد من الموت؟ أليس تناولا خاطئا بسهولة للموضوع أننا نميل للافتراض السهل أننا نعرف ما هو الموضوع؟

انظر أيضا :

٢ . أغنام الكم القافزة .

٣٢ . قراءة بين السطور .

٤٧ . نفس القصة البالية .

٨٩ . ميثاق مسترق النظر.

٦٩ - مشاحنة مع الفراغات

مغالطة خيال المآتة

رأسمالية السوق الحرة قامت على قيمة واحدة: تعظيم الأرباح، القيم الأخرى، مثل الكرامة الإنسانية والتضامن، أو الاستدامة البيئية، يتم تجاهلها لمجرد أنها تحد من إمكانيات الربح.

Naomi Klein, No Logo[١٠١]

رأسماليو السوق الحرة هؤلاء أناس سيئون وجشعون، وأظن أنك إذا تمسكت بقيم غير تعظيم الأرباح، فلن تستطيع أن تكون في جانبهم، والأفضل أن تنضم للمقاومة ضد الرأسماليين، حيث تعني الكرامة البشرية والتضامن والاستدامة البيئية شيئا ما.

إذا بدا انتصار كلاين المعنوي على الرأسمالية سهلا للغاية، فلأنه بالفعل كذلك، وتبدو المعضلة واضحة عندما تسأل نفسك ماهي رأسمالية السوق الحر الشيطانية في الواقع.

هي بالتأكيد ليست السوق الحرة في النظرية الاقتصادية، التي هي في حد ذاتها متعادلة من حيث القيمة، كل شيء يعتمد على كيف تتصرف الفعاليات الاقتصادية داخل هذه السوق، يمكن للناس أن يؤسسوا قراراتهم الشرائية بالكامل على الثمن، لكن بنفس القدر، يمكنهم أن يؤسسوها على التأثير البيئي والبشري، لا شيء في رأسمالية السوق الحرة يمكن أن يجبر الناس على التخلي عن كل القيم ما عدا الربح

النمو في مبيعات التجارة العادلة للقهوة، على سبيل المثال، يحركه طلب في السوق من المستهلكين الواعين للقيم.

ولا هي رأسمالية كلاين تلك المتمثلة بوضوح في الديموقراطيات الغربية الحرة، هناك، توجد كل أنواع الآليات للحد من الأرباح المحتملة باسم القيم الأخرى، وأكثرها وضوحا: قوانين المناقسة، والحد الأدنى من المرتبات، وقوانين الصحة والسلامة، والضرائب وتشريعات البيئة، وإذا كانت الرأسمالية الموجودة هي الهدف حقا، فإن كلاين قد أخطأت بمسافة ميل.

إذن، ماذا كان هدفها؟ تعليقاتها كانت في رد على سؤال كيف يقوم المستهلكون بقراراتهم الشرائية الأخلاقية، فهي تعبّر بوضوح عن الرأسمالية الموجودة بالفعل، وليس كيف يمكن أن تكون، وكما رأينا، فكرة أن الربح ينسخ كل شيء آخر في العالم لا تقف أمام أدنى تمحيص.

إن حجة كلاين مجرد مثال لمغالطة خيال المآتة، على الرغم من أن هدفها هو النظام الاقتصادي الواقعي والرأسمالي بالضرورة للديموقراطيات الغربية الحرة، فإنها في الواقع لم تواجه حقيقته، بدلا من ذلك، فقد وضعت هدفا كاريكاتوريا وهاجمته كبديل، لكن فوزها السهل لاحقا عليه تم اعتباره كانتصار على الأصل الحقيقي.

وبتعبيرات عامة، مغالطة خيال المآتة تحدث عندما تتعامل مع نسخة ضعيفة أو مشوهة من حجة أو وضع كما لو أنها في الحقيقة الشيء الكامل والصحيح، الوضع نفسه يؤخذ بعدها على أنه معيب حتى لو لم يكن واقعيا عرضة لنقد سليم على الإطلاق.

على الرغم من أن صفات التمثيل الكاذب لخيال المآتة يمكن أن تكون متعمدة، فإنها غالبا ما تعكس ببساطة كم الجهد القليل الذي نبذله لفهم وجهات نظر خصومنا، لماذا يجب أن نفعل؟ إذا نسبنا وجهات نظر قاصرة أو بغيضة للآخرين، فإن فضائل

التزاماتنا تبدو واضحة، لكن إذا اتفقنا أن أعداءنا لديهم قضية قابلة للنقاش، فإن وجهات نظرنا فجأة لا تصبح غير قابلة للهجوم، وخصومنا لا يقفون بوضوح بجانب الشيطان.

تفسير آخر لشعبية خيال المآتة أننا إذا ربحنا نقاشا، نشعر أن آراءنا قد بُررت، حتى إذا كان انتصارنا قد تم على خصم ضعيف، نحن ننسى أن الهدف من المناقشة العقلانية ليس أن نربح، بل أن يربح الحق، وهو ما يحدث نادرا عندما يكون الصراع مع خيال المآتة.

* * *

في بعض الأحيان يكون من الصعب رؤية أي طرف في الجدال يتبارز مع خيال المآتة، أو ما إذا كان الجدال كله قد تم الخوض فيه بواسطة فزاعات، على سبيل المثال، يُتهم ريتشارد داوكنز في أحيان كثيرة بالهجوم على نسخة خيال المآتة من الدين، المتميز بالإيمان غير العقلاني والحرفي بالأساطير، لكن داوكنز أيضًا كثيراً ما يتم اختزاله إلى خيال مآتة بواسطة أعدائه، ماري مدجلي انتقدت نظريته عن جين الأنانية ذات مرة شهيرة بقول إن "الجينات لا يمكنها أن تكون أنانية أو غير أنانية، أكثر من إمكانية أن تكون الذرات غيورة، والأفيال تجريدية والبسكوت غائيا."[١٠٢] لكن داوكنز يوافق أن الجينات ليس لديها حوافز: فهذا ما لم يعنه بجملة "الجين الأناني" على الإطلاق، إذن من هو خيال المآتة الحقيقي في مناقشات داوكنز؟

انظر أيضا :

٣ . قرود مستكينة تأكل الجبن .

١٤ . أعجوبة الوخز بالألوان .

٣٩ . تجميع مريب .

٩٧ . هجوم على الشجيرات القاتلة .

٧٠ - لا شيء سوى الحق
أنصاف الحقائق

لم يكن لي علاقات جنسية مع هذه المرأة، الآنسة لوينسكي.

Bill Clinton[١٠٣]

تَخَيَّل صبيًا عمره ١٧ عاما من عائلة محافظة وله تجربة في الجنس الفموي، والممارسة المتبادلة للعادة السرية وغيرها، لكن ليس الجنس الإيلاجي، ويسأله والداه "هل أنت بكر؟" ويجيب الصبي، "نعم"، وعندما يسأله أصدقاؤه "هل أنت بكر؟" تأتي الإجابة، "اللعنة، كلا!" واحد من هاتين الإجابتين يجب أن يكون صادقًا، لكن يتضح أن كلاً منها مضللة؟

عندما نظر كلينتون مباشرة إلى الكاميرا وقال إنه لم يكن له علاقات جنسية مع مونيكا لوينسكي، كان يتحدث مثلما تحدث الصبي مع والديه، فاختار أن يفسر "علاقات جنسية" على أنها كناية عن الجماع الكامل في سياق كان فيه معظم الناس المستمعين إليه يريدون أن يعرفوا عن السلوك الجنسي الحميم بشكل عام، كان يلعب على غموض التعبير ليعلن عن نصف الحقيقة: إعلان يمكن أن يقرأ حرفيا كحقيقة، لكنه يغلق حقائق أخرى مهمة ذات صلة.

أنصاف أو أجزاء الحقيقة في حد ذاتها ليست فقط مقبولة، ولكنها ضرورية للغاية، قول الحقيقة الكاملة عن أي حدث سيكون عبئا ضخما للغاية، ورواية قصة صادقة يتطلب معرفة ما يجب تركه وأيضا ما يجب ذكره، وتأتي المشاكل فقط عندما

يجعل كتمان بعض التفاصيل ما يقوله الشخص مُضَلِلا، والمحامون لديهم التعبير المفيد لهذا "مقولة حق يراد بها باطل": عندما تقول شيئا يكون صحيحا، لكنه يشير إلى باطل، والمثل الشائع لهذا هو الزوج الذي يقرر أنه لم يكن مع امرأة أخرى الليلة الماضية، وهو يعرف تماما أنه كان معها في الليلة التي قبلها.

في قضية كلينتون، تم النظر إلى نصف الحقيقة بطريقة متعجلة، لكن ماذا عن إعلان توني بلير في البرلمان البريطاني في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢؟

يختتم (ملف مخابرات المملكة المتحدة) بأن العراق لديه أسلحة كيميائية وبيولوجية، وأن (صدام) استمر في إنتاجها، وأنه كان لديه خطط حربية موجودة ونشطة لاستعمال الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، والتي يمكن أن تنشط خلال خمس وأربعين دقيقة، بما في ذلك استعمالها ضد شعبه من الشيعة، وأنه يحاول بصورة نشطة الحصول على قدرات أسلحة نووية.

دافعت الحكومة البريطانية وتوني بلير بقوة عن ادعاء ٤٥ دقيقة سيئ السمعة كإعلان دقيق عما فكرت فيه المخابرات البريطانية في ذلك الوقت، لكن هذا يبدو كنصف حقيقة بالنسبة لي، أنواع الأسلحة التي يمكن أن تنشط خلال خمس وأربعين دقيقة صغيرة نسبيا وليست أسلحة الدمار الشامل التي كانت تهيمن على النقاش، بالفعل، هذا ما توصلت إليه المخابرات ولجنة الأمن، التي تضم أعضاء في البرلمان، في تقريرها، الذي برأ بلير من تهمة الكذب، لكنه قال "في هذا الملف، كان ينبغي إبراز حقيقة أنه كان من المهم الإشارة إلى ذخائر المعركة الكيميائية والبيولوجية، وحركتها في ميدان المعركة، وليس لأي شكل آخر من الهجوم الكيميائي أو البيولوجي."

أنصاف الحقائق تستغل الفرق بين قول الكذب وعدم قول الحقيقة، فقد يخفق الشخص في قول الحقيقة بعدم قول أي شيء، كما يفعل عندما يقول أشياء زائفة، لكن فكرة أن الأكاذيب بالضرورة أسوأ أخلاقيا من أنصاف الحقائق لا يمكن الدفاع عنها،

في الواقع، باعتبار أن الكذب ليس دائما خطأ (كما في المثال المبتذل عن الكذب لحماية بريء من قاتل محتمل) فيبدو أن المهم هنا هو النية والغرض، والغرض والنية لنصف الكذبة يمكن أن يكونا جيدين أو سيئين، خبيثين أو مشرفين، كما للكذبة بالضبط.

بلاغيا، مع ذلك، أنصاف الحقائق يمكن أن تكون أقوى من الأكاذيب، لأن أنصاف الحقائق هي حقائق على أي حال، ويمكن أن يتم تقديم أدلة لمساندتها، ويمكن الإعلان عنها بكل الإخلاص والإقناع، ما دام المتفوه بها قادراً على إقناع نفسه أنها - كونها ليست أكاذيب، - مقبولة في الواقع.

* * *

تخيل عالمًا بدون أنصاف أكاذيب ليس سهلا، فكر في كل ما لا يقال، والتحفظات بين قوسين التي نحتاج لتوضيحها لكي نتجنب أي تلميح "للحق المراد به باطل": دهون مخفضة (لكنه ما زال محتويا على الكثير منه)، أحبك (لكن ليس بالطريقة التي تريدها مني)، لون قميصك رائع (لكن تصميمه سيئ)، هناك خط رفيع بين الكذبة البيضاء الحميدة ونصف الحقيقة الخبيث: أين يقع؟

انظر أيضا :

٣ . قرود مستكينة تأكل الجبن .

٢٣ . النهاية قريبة (ربما) .

٥٨ . مطبوعة على ورقة خالية من الدهون بنسبة ١٠٠ في المائة .

٨٥ . الخوف من الفلفل الأسود .

٧١ - ما لم يعرفه شرلوك
بأي طريقة أخرى يمكن تفسيرها؟

ما قاله كاتب المزامير عن نفسه حقيقي بالنسبة لنا أيضا: "هأنذا بالإثم صورت، وبالخطية حبلت بي أمي" (مزامير ٥١:٥)، وعلامة خطيئتنا أننا لا نريد طرق الله في حياتنا، ونحن في تمرد ضده وضد إرادته، بأي طريقة أخرى يمكن تفسير الشر في العالم؟

Reverend Billy Graham[١٠٤]

هل التفسير السيئ أفضل من اللا تفسير على الإطلاق؟ هل يتحطم كوب قهوتك فجأة بدون سبب واضح، فيقترح أحدهم أنه استعاد وعيه فجأة، وأدرك عقم وجوده فانتحر، هل يكون من الحكمة قبول ذلك التفسير، مؤقتا على الأقل، حتى يتاح تفسير أفضل؟

بوضوح هناك بعض التفسيرات التي تكون أسوأ من عدم التفسير على الإطلاق، لكن البشر لا يبدون مرتاحين للعيش مع غير المعلل، أحيانا نتكلم عن أشياء بذاتها "تتطلب تفسيرا"، بينما في الحقيقة نكون نحن المطالِبين به.

وإلا كيف تفسرون القوة البلاغية في السؤال عن كيف يمكن تفسير شيء بطريقة أخرى؟ توجيه سؤال مثل هذا ينقل العبء من موجه الادعاء إلى الشخص الذي يقبل هذا الادعاء أو يرفضه، وبدلا من الاضطرار إلى إيجاد الدليل أو الحجة للدفاع عن موقفه، يطلب موجه الادعاء من الشخص الذي يُقيِّم وجهة نظره أن يقدم تفسيرا أفضل أو أن يصمت، لكن هذا الانتقال للعبء غير معقول، إذا أنت قدمت تفسيرا، فالأمر

يرجع لك في إظهار أنه تفسير جيد، وليس لي لإظهار أن لدي تفسيرا أفضل، إن رفضي لتفسيرك لا يتطلب منى أن يكون لدي تفسيرا أفضل لتقديمه، وبنفس الطريقة، إذا كتب شخص ما قصيدة رديئة، فليس دفاعا منه أن يجادل بأن قصيدتك أسوأ.

هذه الحركة تستخدم في كثير من الأحوال بواسطة أناس تبدو وجهات نظرهم بطريقة ما غريبة بالنسبة للدخلاء، المؤمنون بالخوارق - على سبيل المثال، -يتقبلون تفسيرات غير قابلة للتصديق لأنهم يرونها طريقا وحيدا لحل مختلف الظواهر الغريبة، في غياب تفسيرات جيدة، فهم يستريحون للتفسيرات المجنونة.

واستخدام "بيلي جراهام" لهذا التكتيك مثير من نواح عدة، فهو يجمع بمهارة الأفكار المقبولة لكثيرين مع بعض الأفكار المحددة الأكثر عقائدية، فكرة أننا بمعنى ما مولودون بقدرات موروثة، أو حتى ميول، لأن نكون أنانيين ونرتكب أخطاء مقبولة عموما، لكنه يضع هذه الفكرة مع مفاهيم الانفصال عن الله والإثم، حتى عندما يسألنا بأي طريقة أخرى نفسر الشر في العالم، ستكون واحدة من أوضح الأجوبة - أن البشر ليسوا جيدين في الجوهر - هي بالفعل جزء من إجابته، في الحقيقة، هذا يجبر كثير من الناس على الموافقة جزئيا معه، مُعْطِين انطباعا أنهم لايملكون تفسيرا بديلا على الإطلاق.

بالطبع، في تعبير معين، يكون معقولا تماما أن نسأل ما هي التفسيرات الأخرى التي يمكن وجودها، النقطة الرئيسية هي روح الطلب، يمكن أن تكون جزءا من سيئ وسأقدر بالفعل تفسيرا أفضل، لكن غالبا الغرض الحقيقي هو جعل نقص البديل يبدو كسبب لقبول التفسير الضعيف المقدم.

ومع ذلك، فقد تتذكر شيئا ذا صلة قاله شرلوك هولمز: بمجرد أن تستبعد كل الاحتمالات الأخرى، فالاحتمال الباقي، مهما كان بعيدا، هو الاحتمال الصحيح، قد يكون هذا صحيحا، لكن فقط إذا كنا بالفعل قد استبعدنا كل الاحتمالات الأخرى،

المعضلة هي أننا عادة نستبعد فقط الاحتمالات التي نكون قد فكرنا فيها.

* * *

لا يمكننا دائما أن نعلق الحكم، وأحيانا التفسير أو مسار العمل الوحيد الذي يبدو مقبولا لنا على الإطلاق يكون غير مستَساغٍ أو يبدو غريبا، إذا حدثت حالات وفاة مريبة والتفسير الوحيد الذي يمكن أن تفكر فيه أن شريك حياتك هو القاتل، ألن تتصرف على هذا الأساس؟ "بأي طريقة أخرى يمكنك تفسير هذا؟" في هذه الحالات، هل تكون التفسيرات السيئة أفضل من عدم وجود أي منها مطلقا، بغض النظر عما يخبرنا به التفكير العقلاني؟

انظر أيضا :

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

٤٣ . مكافحة الجريمة بالموسيقى .

٥٥ . ليست مصادفة .

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٧٢ - القاعدة غير موجودة

أخطاء فئوية

أنا أجلب لنفسي مشاكل بقول إن "القاعدة" غير موجودة، لكن لا يوجد مثل هذا التنظيم .

Peter Hichens, Mail on Sunday(١٠٥)

لم تهتم الطبقة المثقفة بالحرب على الإرهاب، لأسباب جيدة في الأغلب، وشكوكها المبررة، مع ذلك، قادت البعض لسرعة رفض كل الادعاءات التي قدمتها المخابرات الأمريكية والبريطانية، وكلاهما تم اتهامه بالمبالغة في التهديد الإرهابي، من خلال نفس الناس الذين – عندما ضُربت مدريد ثم لندن – ادعوا أن هذه الهجمات كانت حتمية.

إحدى وجهات النظر المتشككة هذه أن القاعدة غير موجودة، لكن ما الذي يقود إليه هذا الادعاء؟ ما يعنيه أن القاعدة ليست تنظيما عالميا واحدا يسير بصورة مركزية، الهجمات في نيويورك ومدريد ولندن لم تكن كلها مخططة وموجهة بواسطة أسامة بن لادن وفريقه، على الأصح، الخلايا ذاتية التحكم التي قد لا تكون على اتصال مباشرة مع مجموعة بن لادن على الإطلاق، نظمت هذه الهجمات بمفردها .

مع ذلك، فالاستنتاج أن القاعدة إذن غير موجودة سابق لأوانه مثل القول – على سبيل المثال – إننا لا نستطيع الحديث عن المقاومة الفرنسية أو الموالاة الإيطالية خلال الحرب العالمية الثانية، حركات المقاومة هذه لم تستطع أن تكون محكمة ومركزية للغاية بتنظيم هرمي صارم، على الأصح، المجموعات المحلية اضطرت في أغلب الأحوال

للعمل بصورة أو بأخرى بمفردها، ومع ذلك، كانت أهدافها المشتركة واعترافها بنوع من القيادة يعني أنه من الممكن في كثير من الأحيان الحديث عن كلا الحركتين في صيغة الفرد.

بالطبع، من الممكن أن يختلف الأمر علينا لغويا ونفترض أنه بسبب استعمال الأسماء المفردة فيجب أن يكون هناك كيانات منفصلة يشار إليها، لكن لا المنطق ولا اللغة يتطلبان أن كل شيء نتكلم عنه ككيان منفرد هو ذات بسيطة وموحدة، قد تقول أيضاً إن حبكَ ليس حقيقيا ما لم يكن له وزن وأبعاد.

الفيلسوف دلبرت رايل جادل أن هذا الافتراض الزائف كان مثالا لما يمكن أن يسمى أخطاء فئوية، وهذه تحدث عندما نفكر في شيء واحد كما لو كان نوعاً آخر من الأشياء، وهكذا لا نفهم طبيعته، أحد أكثر الأمثلة تعبيرا السائح الذي يطلب أن يرى جامعة أكسفورد ثم يتحير عندما يرى فقط كليات ومكتبات، فقد توقع أن "الجامعة" هي مبنى واحد، ولم يدرك أنها لم تكن إلا مجموع مكوناتها.

هل هذا النوع من القاعدة موجود؟ في إنكار وجودها، أخذ بيتر هتشنس مكانه في الصف ابتداء من كتاب جاسون بيرك المثير للإعجاب "القاعدة: القصة الحقيقية للإسلام الأصولي"، بيرك، مع ذلك، لم يكتب كتابا عن شيء لم يعتقد بوجوده، على الأصح، كما قال ناقد، فإن نظرية بيرك الحقيقية هي أن القاعدة كما نعرفها غير موجودة، لكنها "صيغة نظام" للإرهاب، هذا إلى حد كبير أكبر من وصف (هتشنس) لعديد من الجماعات "المرتبطة بغموض بأيدلوجية مشتركة".

كيف إذن يمكن تفادي الأخطاء الفئوية؟ ربما كل ما نحتاجه تذكر قول مأثور أثنى عليه (وتجنشتاين) "كل شيء هو ما هو عليه وليس شيئًا آخر."[١٠٦]

* * *

لكي تقول بإقناع إن هناك من ارتكب خطأ فئوياً، يجب عليك أن تكون قادرا على شرح نوع الفئة الحقيقية التي ينتمي إليها الكيان الموصوف خطأ، أنت لا تستطيع أن تقول "هو ليس هذا النوع من الأشياء"، فأنت تحتاج إلى قول أي نوع من الأشياء هو في الحقيقة؛ لذا، على سبيل المثال، يشتكي بعض اللاهوتيين أن الملحدين العلميين يرتكبون خطأ فئوياً عندما يجادلون أنه إذا كانت العقيدة الكاثوليكية في التحول حقيقية، فإن نبيذ التناول يجب أن يتحول حرفيا إلى دم، "دم المسيح" لا ينتمي لنفس فئة الدم العادي، لكن إذا كان الأمر كذلك، فما هي الفئة التي ينتمي إليها، وهل هي الفئة التي يكون فيها منطقيا الحديث عن "دم" على الإطلاق؟

انظر أيضا :

١٠ . مثير مثلي .

٣٩ . تجميع مريب .

٥٢ . أزواج ومطلقون ومتعاشرون .

٦٨ . الكلب والبراغيث .

٧٣ - ثقوب الأوزون في طبقة الكربون

تمييع الحدود

تكييف الهواء جعل "الاحتباس الحراري" ممكنا للغاية، والآن حيث إننا فتحنا الباب لساوثيرن بولز وديكسي كلايمس، فمن الممكن أيضًا أن نصدر هذه الرياح الصيفية الساخنة إلى جميع أنحاء العالم عن طريق جعل الثقوب في طبقة الأوزون حقيقة واقعة.

Michael Moore(١٠٧)

تآكل الأوزون والاحتباس الحراري ليسا موضوعين لا علاقة بينهما، كلاهما يمكن رؤيته كمثال على تأثيرات البشر الضارة على البيئة، وكثير من كيماويات تآكل الأوزون هي أيضًا غازات الصوبة، لكنها ليست مرتبطة بإحكام كما قد يفترض أحيانا.

تآكل الأوزون يحدث أساسا بواسطة الكلوروفلوروكربون وتأثيره الأساسي هو رفع مستوى الأشعة فوق البنفسجية ب الضارة التي تصل سطح الأرض، الاحتباس الحراري، من الناحية الأخرى، يعتقد أنه على الأقل في جزء منه نتيجة زيادة انبعاثات غازات الصوبة من صنع الإنسان مثل ثاني أكسد الكربون والميثان، وتأثيرها الأساسي هو زيادة درجة حرارة الأرض.

لكن هذا لم يوقف أشخاصا كثيرين، غالبا دعاة حماية البيئة، عن قصد أو أي شيء آخر، من تمييع الحدود بين الاثنين، في جداله، على سبيل المثال، يبدو مايكل مور وقد اختلط عليه الأمر فاعتبر تآكل الأوزون سببا مهمًا للاحتباس الحراري، لكنه ليس

كذلك، (إذا كان هناك علاقة عارضة فهي غالبا على العكس: الاحتباس الحراري يمكن أن يساهم في تآكل الأوزون)، مور قد ميَّع الحد الذي يحافظ على تميز الموضوعين.

فهمُ أي موضوع يحتاج للوضوح والدقة في كل العلامات الفارقة المهمة، أنت لا تستطيع ذلك إذا ميعت حدود المجادلة، إذن لم نفعل هذا؟ أحيانا يكون الأمر مجرد جهل، فنفترض بكسل أن موضوعين يبدوان متماثلين يجب أن يكونا بصورة أو بأخرى نفس الشيء، البشر "بخلاء معرفة" لا يحبون أن يفكروا في شيئين عندما يمكننا الإفلات بالتفكير في واحد فقط، وهذا ربما يشرح لماذا فكر كثير من الناس (ربما على الأقل في يومنا هذا) في تدخين الحشيش وحُقَنْ الهيروين كما لو كانوا بالضرورة نوعا واحدا من النشاط، من الأسهل كثيرا اتباع قاعدة مثل "العقاقير الشرعية مقبولة، وغير الشرعية سيئة" أفضل من النظر في مجموعة كبيرة من الأدوية المختلفة المتاحة وتحليل أوجه الشبه والاختلاف بين آثارها واحتمال إدمانها، وعلاقتها بالجريمة، وما إلى ذلك.

لكن أحيانا تكون أسباب تمييع الحدود محسوبة أكثر، تمييع الموضوعات يمكن أن يكون وسيلة مفيدة منطقيا أو جدليا، في حالة دعاة حماية البيئة، على سبيل المثال، إذا كان تآكل الأوزون والاحتباس الحراري مرتبطين في أذهان الناس، هناك إذن بؤرة واحدة واضحة بدلا من الدخول في شبكة فوضوية من الموضوعات المرتبطة بصورة غامضة.

الحدود تم تمييعها أيضًا بين الحرب على الإرهاب والصراع في العراق، أي روابط بين الاثنين هي غير مباشرة وربما تتصل بالأهداف الإستراتيجية طويلة المدى (قطع الإمدادات عن وإخماد التشدد الإسلامي عن طريق إقامة نظام علماني صديق للغرب في قلب الخليج) أكثر من المطاردة التكتيكية لابن لادن وأنصاره، لكن بينما يكون حقيقيا أن هناك بعض الروابط بين الحملتين، إلا أنه كان من الأفضل للأمريكيين والبريطانيين لو كانوا قد فكروا في الحرب في العراق كامتداد بسيط للحرب على الإرهاب، تمييع الحدود إذن كان مقصودا كوسيلة لزيادة الدعم الجماهيري للحملة في العراق.

* * *

في بعض الأحيان، اتهام خصم أنه يميع الحدود يمكن في حد ذاته أن يكون خدعة بلاغية، فبعض الموضوعات تكون فوضوية في الحقيقة ورفض مناقشتها بطريقة هادئة ودقيقة علامة على الحكمة، وليس التفكير المتزعزع، تآكل الأوزون والاحتباس الحراري، والحرب على الإرهاب وحرب الخليج، والمخدرات الخفيفة والثقيلة: كل هذه الأزواج من الموضوعات يمكن التفرقة بينها، لكن هل يعني هذا أننا لن نكون أبدا على صواب بالربط بينهما؟

انظر أيضا :

٣٩ . تجميع مريب .

٥٢ . أزواج ومطلقون ومتعاشرون .

٧٧ . الحظ والفرصة .

٩٥ . إنهم يقتلون المدنيين .

٧٤ - الجميع مخنثون
إعادة تعريف مخفَّضة

لماذا تبدأ الحروب؟ الإجابة البسيطة أنها لا تنتهي أبدا.

Tom Palaima, professor of classics[١٠٨]

أحد أكثر العناوين إثارة للتعليقات في صحافة العالم في اليوم التالي للحادي عشر من سبتمبر ظهر في الصحيفة الليبرالية الفرنسية لوموند: "كلنا أمريكيون"، كان تعبيرا قويا للتضامن بين الديموقراطيين في أي مكان في وجه ما يبدو أنه تهديد رهيب جديد.

مع ذلك، لم يكن أحد ممن قرءوه من الحمق بحيث يأخذه حرفيا: لن تقل الصحيفة أن المواطنين الفرنسيين كان من حقهم الحصول على جوازات سفر الولايات المتحدة، كلنا فهمنا أن المعنى العادي "للأمريكي" تم توسيعه ليحمل معنى مجازيا ورمزيا، إلى جانب استعماله العادي الضيق.

لكن التحرك السخيف من المجازي للحرفية يمكن أن يحدث بعملية تعرف باسم إعادة تعريف مخفَّضة، وهذا يكون عندما يتسع المعني الشرعي لكلمة لكي يجعل اقتراح موضع تساؤل أكثر قبولا، وسُميت هكذا لأنها تخفض الحاجز لما يمكن أن يوصف بهذا التعبير.

هذا هو ما أعتقد أنه قد حدث في حجة (توم بالايما) عن الحروب، فلقد أراد أن يقدم فرضية أن الحرب هي في الأساس لا تتوقف، ونحن عادة نفكر في التاريخ على

أنه فترات مقسمة بين السلم والحرب، في أوروبا الغربية، على سبيل المثال، كان من المعتقد أنه كان لدينا سلام منذ ١٩٤٥، ما عدا بعض الصراعات الإقليمية، وأبرزها تلك التي وقعت في يوجوسلافيا السابقة، بالايما، مع ذلك، نازع هذا، الحرب لا تنتهي أبدا، هذا ينطبق ببساطة خلال المراحل الأهدأ والأكثر نشاطا، فقد كتب أن "فترات ما يسمى بالسلام كانت فترات تجهز حتما فيها البلاد المتنافسة للمرحلة التالية من الحرب المفتوحة".

المعضلة في هذه النظرية أنها تكون حقيقية فقط إذا كانت الحرب مفهومة بتعبير أوسع عن العادي، وليس الموضوع أننا قد خدعنا بغياب الحرب في أوروبا الغربية، بل إن الموضوع هو أنه لم يكن هناك حرب بالمعنى العادي للكلمة، إذا أردت أن تُعرِّف الحرب بطريقة أوسع، عندئذ قد تكون قادرا على الادعاء أن الحرب لم تتوقف مطلقا، لكننا يجب أن نكون واضحين أن ذلك يستلزم إعادة تعريف مخفضة للحرب – توسيعا لمعناها – وليس مجرد تصحيح فكرة زائفة موجودة لدينا.

قد تكون هناك أيضًا أسباب شرعية للرغبة في مثل هذه الإعادة المخفضة للتعريف، في حالة بالايما أعتقد أن العامل الحافز كان رغبة في جعلنا نعيد النظر في طبيعة السلام، أراد بالايما أن يتحدى الفكرة المريحة أننا، بسبب عدم خوض معارك بتكرار كبير في أوروبا الغربية منذ ١٩٤٥، نعيش في فترة من الهدوء الجغرافي السياسي والاستقرار حيث إن القوة العسكرية لم تعد قضية، ودفعنا لقبول إعادة تعريف مخفضة للحرب كان طريقة لإنعاش هذا الادعاء.

مع ذلك، فهو لم يعلن صراحة أنه كان يراجع المعنى العادي للحرب لدينا، إذن فإعادة تعريفه المخفضة للحرب كأمر واقع إما أنها بطريق المغالطة تدمج المعنى العادي للكلمة مع المعنى الأوسع لديه، وفي هذه الحالة تكون حجته معيبة، أو أنها تموه فوق الطبيعة التنقيحية لادعائه، وفي هذه الحالة تكون حجته مضللة.

إعادة التعريف المخفضة غالبا ما تكون أكثر وقاحة، عندما يقول الناس "الشوكولاتة عقار مسبب للإدمان"، أو "الجميع مخنثون"، أو "الاهتمام بالآخرين هو مصلحة ذاتية في نهاية المطاف"، فهم في كل حالة يوسعون معنى المفاهيم الأساسية لجعل الادعاءات التي من الممكن أن تكون متجاوزة مقبولة.

إعادة التعريف المخفضة عمليا مغرية في ثقافة ترى نفسها ديموقراطية محققة للمساواة، أي تعبير يستبعد بعض الناس المتطلعين إلى تطبيقها عليها هو عرضة لمثل هذه المراجعة؛ لذا، على سبيل المثال، في ثقافتنا فإن الحاجز الذي يتأهل الناس فوقه ليكونوا "مشاهير" يبدو أنه قد انخفض.

* * *

تستغل صناعة الإعلان في كثير من الأحيان إعادة تعريف مخفضة لتجعل الشيء العادي يبدو غير عادي، ومثالي الشخصي المفضل هو الاستعمال الواسع لكلمة "وَلَع"، بغض النظر عما تفعله الشركات، فيبدو أنهم مولعون به، وهذا يقلل من قيمة الولع الحقيقي، الذي يوضع احتدامه الآن على قدم المساواة مع رغبة الشركات في صناعة تجهيزات ستائر جيدة، وفي الوقت الذي تقرأ فيه هذا ستكون جائزة أكثر كلمات إعادة التعريف المخفضة ترددا قد تداولتها أيادٍ أخرى، فأي منها تريد ترشيحه؟

انظر أيضا :

٧ . لأني أقول هذا .

٢٩ . قتيل، نعم، قاتل، لا .

٣٩ . تجميع مريب .

٩٩ . الشيء الحقيقي .

٧٥ - هل تضرب عدوك بالنووي؟

لا افتراضات

لن أجيب على افتراضات.

Hillary Clinton[١٠٩]

أطلق نيجل واربورتون على رفض إجابة الأسئلة الافتراضية "جواب السياسي"، لسبب وجيه، فقد أصبح هذا هو الوسيلة المفضلة للمراوغة لكل السياسيين في العالم كله، ومن السخرية أن يكونوا حريصين على تجنب الأسئلة الافتراضية بينما تقوم حملاتهم على أساس من الافتراضات: إذا انتخبتني، سوف أفعل هذا، إذا كانوا يعتقدون بصدق أنهم لا ينبغي لهم أن يجيبوا على الأسئلة الافتراضية، إذن فينبغي عليهم الإقلاع عن قول أي شيء يمكن أن يفعلوه إذا أصبحوا في السلطة.

على الرغم من الحقيقة المجردة أن كون السؤال افتراضياً لا يعني عدم الإجابة عليه، فهناك أسباب طيبة لالتزام الصمت كنوع من الحكمة أحيانا، فيجب عليك أن تزن احتمالات النتائج المختلفة، وخطورتها لتقرر في أي حالة ما إذا كان تعبير"سنعبر الجسر عندما نصل إليه" سوف ينم عن نقص مروع في العواقب (خطة ماذا نفعل في العراق بمجرد إسقاط صدام هي المنافس الواضح في هذه الفئة) أو محافظة حصيفة على الطاقة الفكرية (على سبيل المثال، كيف توفر الضرائب في فرصة واحد لأربعة عشر مليونا أن تربح اليانصيب).

أسباب أخرى، أن الظروف تتغير، وسيكون من غير الحكيم أن تلزم نفسك في مسار عمل مستقبلي عندما قد تُغير الأحداث غير المرئية الحسابات عن ماهية أفضل

مسار للعمل، على سبيل المثال، قبل حرب العراق، تَهَرب توني بلير مراراً من سؤال عن ماذا سيفعل إذا لم يصدر قرار ثان للأمم المتحدة لمساندة التحرك العسكري ضد العراق، في هذه الحالة، وجود قرار للأمم المتحدة من عدمه كان مجرد عامل من عدة عوامل قد تساهم في قراره النهائي، مع الأحداث التي تتغير على الأرض كل يوم، ما لم تكن معتقدا أن العمل العسكري بدون دعم الأمم المتحدة غير مبرر في كل الظروف (في هذه الحالة كان يجب عليك أن تعترض على تحرك الناتو في يوجوسلافيا السابقة والتدخل البريطاني في سيراليون)، بلير لم يكن في استطاعته توقع الثقل النهائي للقرار، أو عدم وجوده، الذي كان ينبغي أن يوضع في مداولاته.

لكن من المهم ملاحظة أن المعضلة هنا ليست كون السؤال عن دعم الأمم المتحدة افتراضيا، بل بالأحرى كانت هناك متغيرات أخرى عديدة تدل في الحقيقة على عدم وجود سيناريو افتراضي واحد لا يكون فيه دعم الأمم المتحدة وشيكا لكي يعلق عليه بلير، أي عدد من السيناريوهات المختلفة كان متفقا مع هذه النتيجة، وكلها أمور لا يمكن التنبؤ بها، وكلها يجب الحكم عليها من خلال مميزاتها، فقط إذا اعتقد أحد بالفعل أن مطلب قرار الأمم المتحدة كان مطلقا، وهو ما يجعل كل السيناريوهات المختلفة متشابهة في اعتبار واحد مهم، يمكن اعتبار السؤال الافتراضي قد تمت الإجابة عليه.

إذن ماذا عن حالة كلينتون؟ فقد جاء رفضها بعدما قال منافسها المرشح باراك أوباما، "أعتقد أنه سيكون خطأ جسيما بالنسبة لنا أن نستعمل الأسلحة النووية تحت أي ظرف"، وعندما سئلت إذا كانت موافقة، قالت، "لن أجيب على افتراضات"، دفاع فقير في حد ذاته، لكن تفسيرها الكامل جاء ببعض المعقولية، فقالت، " يجب أن يكون الرئيس حريصا في كل الأوقات عند مناقشة استعمال أو عدم استعمال الأسلحة النووية، الرؤساء منذ الحرب الباردة استعملوا الردع النووي للمحافظة على السلام، وأنا لا أعتقد أن أي رئيس سوف يعطي تصريحات تغطي كل شيء بالنسبة للاستعمال وعدم الاستعمال".

مغزى القصة أنه على الرغم من أن الأسئلة الافتراضية غالبا ما يمكن وينبغي الإجابة عليها، فإنها أحيانا تقابل بالصمت المبرر، يجب أن تقيم على أساس كل حالة على حدة ، ليست هناك قاعدة عامة ما إذا كانت تحتاج لإجابة.

* * *

هل هناك أي أسئلة افتراضية تعتقد أنه من التهور محاولة الإجابة عليها؟ ماذا ستفعل إذا وجدت أن شريك حياتك قد خدعك، أو أنك غير قادر على العمل لسبب ما، أو اكتشفت أن والدك البيولوجي ليس من اعتقدت أنه هو؟ إذا كانت إجابتك على أي من هذه الأسئلة هي "الأمر يتوقف على.."، إذن فأنت تستطيع رؤية لماذا في بعض الأحيان لا تكون إجابة السياسي دائما تهربا مُخزيا بعد كل شيء.

انظر أيضا :
٤ . ليكن ما يكون .
٣٤ . لو كنت أعلم .
٤٧ . نفس القصة البالية .
٩٤ . ليس من شأن الكرادلة .

٧٦ - لماذا نحن بهذا الغباء؟
مغالطة السؤال المركب

ماذا عن الخطورة فيما تفعله؟ ولماذا يعترض الناس عليه؟

Question to Peter Singer from Andrew Denton on Enough Rope(١١٠)

النموذج القياسي الذي يوضح مغالطة السؤال المركب هو "متى توقفت عن ضرب زوجتك؟" مثل هذا السؤال يسأل عن شيء واحد يفترض أن له ثانيًا، بينما يحتاج هذا الافتراض الأول غالبا للإثبات، نحتاج أولا أن نعرف إذا كنت تضرب زوجتك، وإذا ثبت أنك تقوم بذلك عندها فقط نشغل أنفسنا بتوقيت توقفك عن فعل ذلك.

القوة البلاغية للسؤال المركب أن أي إجابة مباشرة له تصادق ضمنيا على الافتراض، بينما يمكن أن يظهر أي فشل في تقديم إجابة مباشرة كمراوغة، ومع ذلك، على الرغم من أنه في غمار مناقشة ما يمكن أن يخرج شخص ما عن الخط، ففي هذا النموذج وفي آخر أثير - "لماذا سرقت النقود؟" - لا يحتاج الأمر لتفكير كثير لاكتشاف الخدعة والرد ببساطة، "أنا لم أبدأ بضربها مطلقا" أو "أنا لم أسرق النقود".

في برنامجه التليفزيوني "الحبل الكافي Enough Rope" يطرح أندرو دنتون سؤالا مركبا على عالِم الأخلاق المثير للجدل بيتر سنجر، "ماذا عن الخطورة فيما تفعله؟ ولماذا يعترض الناس عليه؟" يُطْلَق على سنجر "أكثر الرجال خطورة على الكوكب"، لكن كان من الأكثر إنصافا لو تم سؤاله إذا كان هذا صحيحا، وليس ما الذي يجعله خطيرا.

تعمد دنتون وضع السؤال في هذا الأسلوب المستفز لأن برنامجه يتسم بالفظاظة والحدة، وجاءت إجابة سنجر كنموذج جيد: "أعتقد أن تلك الصفة المحددة جاءت بسبب

كوني ناقداً لم يدعه الناس أحيانا وجهة نظر "قدسية الحياة"، وهي وجهة النظر التي تقول إن كل حياة إنسانية، فقط لكونها إنسانية، مصونة ويجب ألا تمس." فعل سنجر الشيء العاقل الوحيد الذي يمكن أن يفعله أي شخص يواجه بسؤال مثل هذا – تجنب الإجابة المباشرة مع التعامل مع الموضوعات الحقيقية خلفها، يظهر هذا أن هناك على الأقل وضعًا معينًا يكون فيه السؤال "لماذا لا تستطيع أن تعطي إجابة مباشرة؟" له رد مقنع.

المغالطة تكون أصعب في الاكتشاف عندما يستعمل الناس سؤالا مركبا بلاغيا، ليس لتوجيه اتهام، بل لتشكيل مناقشة أو استفهام، في الجارديان،على سبيل المثال، افتتح راعي الكنيسة جيلز فريزر مقالا بالسؤال، "لماذا نحن مهووسون بما يعتقده الآخرون عنا؟ لماذا نحن قلقون هكذا من ملائمتنا؟ لماذا نستسلم بهذه السهولة لطغيان "الآخرين"؟"(١١١) كل هذه الأسئلة الثلاث تفترض شيئا لم يحدده، وبعد التفكير، قد لا يكون حقيقيا لأغلبيتنا، تشجعنا أسئلته ببساطة على افتراض أننا كلنا مشغولون للغاية بما يعتقده الآخرون وللتعجب فقط من سبب حدوث هذا.

هذا النوع من النقاش – الذي يفترض حالة من الأمور التي قد لا تلائم – منتشر بوضوح في وسائل الإعلام، وغالبا ما يكون هناك بعض الأسس الواهية المقدمة، مثل تقرير أو استطلاع رأي منفرد، لكن حينئذ نكون قد اندفعنا مباشرة إلى نقاش: لماذا يرفض الناس الزواج؟ لماذا لا يكون الرجال البريطانيون عاطفيين؟ لماذا لا تستطيع الممثلات فوق سن الأربعين الحصول على عمل؟ لماذا تدمر الحكومة البي بي سي؟ ما حجم الحرية التي ينبغي أن نستعد للتضحية بها مقابل الأمن؟

وهذا يتركني بلغز واحد نهائي، لماذا ننهزم أمام مغالطة السؤال المركب بهذه السهولة؟

* * *

لا يتفق الناس حول أي الافتراضات يمكن لسؤال أن يثيرها بإنصاف وأيها لا يمكن إثارته، ماذا تعتقد فيما يلي؟ لماذا لا تزال النساء تتعرضن للتمييز في أماكن العمل؟ لماذا تعتبر السويد مكانا أفضل للحياة من البرتغال؟ لماذا لا نفعل المزيد لمساعدة فقراء العالم؟ لماذا تكون موسيقى البوب الإيطالية بهذا السوء؟

انظر أيضاً :

١٤ . أعجوبة الوخز بالألوان .

٢١ . موسيقى المزاج .

٣٥ . حقنة القهوة الشرجية تقهر السرطان .

٥٦ . الواجب الوطني .

٧٧ - الحظ والفرصة

مغالطة المراوغة

إذا تحكمت في فن أن تصبح مسئولا عن حياتك الخاصة وأن تفعل كل ما يمكن في كل حالة تحدث، إذن سوف تجذب مزيدا من الحظ إلى حياتك.

Heather Summers and Anne Watson, The Book of Luck(١١٢)

أليس رائعًا أن تكون أكثر حظا في حياتك؟ محظوظًا مثل جون وودز، الذي لم يكن فقط مدرجا على قائمة ركاب طائرة (البان آم) التي انفجرت فوق لوكربي في ١٩٨٨، ولكنه أيضًا ترك مركز التجارة العالمي في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ قبل اصطدام المبني بطائرة مخطوفة بثوان.

قد تستطيع ذلك، "كتاب الحظ" يَعِد أن "يريك كيف تكون محظوظا دائما"، أفضل جدا من أن يكون صحيحا؟ نعم، كما تعترف واحدة من المؤلفتين بصراحة، تقول آن واتسون، "أعتقد أن ما نعتبره حظًا في العادة هو شيء يقع في دائرة سيطرتنا."(١١٣) مرتبك؟ يجب أن تكون كذلك، في الواقع، أعتقد أن الناشرين يعتمدون على ارتباكك، وكما ترى، هناك حظ وهناك فرصة، و"كتاب الحظ" هو عن الحظ، وليس عن الفرصة، لكنه سيساعد المبيعات إذا اعتقدت أنه كان عن الأخير.

هناك العديد من الكلمات في لغتنا لها معان متعددة، ونحن نرتكب مغالطة المراوغة عندما نستعمل كلمة بمعنيين كما لو أن لهما نفس المعنى، ونستخلص استنتاجات غير مبررة كنتيجة، وباتخاذ مثال سخيف إلى حد ما، فهو مثل الادعاء أن

الجبن يتعفن عندما يشيخ، دونالد ترمب هو جبن كبير(بمعنى شخص مهم للغاية- المترجم) وقد شاخ؛ لذا فإن دونالد ترمب قد تعفن، قد تكون الكلمات هي نفسها، لكن "جبن كبير" ليس جبنا كبيرا،

بنفس الطريقة، هناك حظ وهناك فرصة، لكن في هذه الحالة، الفرق ليس باهر الوضوح، الحظ الذي تدّعي سمرز وواتسون أنك تستطيع أن تسيطر عليه يتعلق باستقبال الناس لمصائرهم ونزوعهم للنجاح، وهما تعتقدان أن هذا النوع من الحظ له فرصة قليلة للغاية للعمل مع الفرصة العشوائية أو مع قوى القدر، بالأحرى، الناس ذوو الموقف الإيجابي، الذين يصونون ويتحملون المسئولية، سيكون لديهم نجاح أوفر، وما نسميه حظا في هذه الحالات هو مجرد مظهر أو تصور للحظ، أو ما يمكن تسميته الحظ الموضوعي.

وهذا لا علاقة له بنوع آخر من الحظ، ويمكن تسميته الحظ المجرد: الحظ حول الأحداث وتتابعاتها التي لا نملك سيطرة عليها، سمرز وواتسون ليستا بهذا الغباء للادعاء أن كونك إيجابيا ودوياً يمكن أن يحميك ضد هذا النوع من الحظ السيئ، أو يأتي لك ببديله الحسن، ولا يمكن لأي كمية من التفكير الإيجابي أن تحمي هؤلاء الذين كانوا فوق الدور الثالث والتسعين في البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي في ١١ سبتمبر، ولا هؤلاء الذين كانوا على متن طائرة بان آم رقم ١٠٣ في ١٢ ديسمبر ١٩٨٨ .

لماذا إذن الادعاء أنك تستطيع "جذب مزيد من الحظ إلى حياتك" عندما تقبل أن ما تعنيه بهذا ليس بالضبط حظا على الإطلاق؟ مهما كانت الإجابة على ذلك - وأنا لا أستطيع قراءة ذهن المؤلفتين - فإن هذا الكتاب يدعو بالتأكيد - حتى لو لم يلتزم بهذا- إلى مغالطة المراوغة، على سبيل المثال، في مقال نشرته جريدة كبرى عن الكتاب، استعمل صحفي مثال جون وودز، خالطا الحظ الموضوعي مع المجرد بنفس الطريقة بالضبط التي أعتقد أن الكتاب وصفحته الإلكترونية سيجعلانك تقوم بها.

مـثـال آخـر أقـرب بطـريقــة مـا للمكان، لا تفـتـرض أنه بسـبب وصف شـخص "فيلسوف مشهور" سيحبه بالفعل كثير من الناس...

* * *

عديد من المراوغات متعمد ومتلاعب، عندما يعرض عليك طعام "طازج" في مقهى، هل تستنتج أنه تم إعداده في الحال من مكونات خام، أم ببساطة أنه ليس مجمدا؟ عندما يتحدث السياسيون عن الكمية التى رفعوا (أو خفضوا) بها الإنفاق، هل هم يتكلمون بمعانٍ واقعية أم مطلقة؟ وهل من المعقول التفكير أن "القطار السريع" سيسافر بالفعل بسرعة، بدلا من أن يتوقف في كل المحطات في طريقه؟ في بلادي، من الواضح أنه ليس كذلك...

انظر أيضا :

٣٩ . تجميع مريب .

٥٧ . أعطني هذا المخدر .

٧٤ . الجميع مخنثون .

٩٥ . إنهم يقتلون المدنيين .

٧٨ - طبيعي فقط

الفجوة بين الكائن وما يجب أن يكون

الصيد بالكلاب هو الطريقة الطبيعية والإنسانية للتحكم في تعداد كل أنواع الطرائد الأربع.

Over 500 members of the Royal College of Vetrenary Surgeons(١١٤)

احتل صيد الثعالب مكانة خاصة جدا في الحياة السياسية البريطانية، وكثير من الناس متحيرون في سبب استمرار هذه الممارسة التي تبدو وحشية في نهاية القرن، حزب العمال كان لديه التزام ممتد لحظره، لكنه لم يحدث حتى ثمانى سنوات تقريبا من توليه السلطة عندما ألغى الصيد بالكلاب في النهاية، مع ذلك، الموضوع بالنسبة للكثيرين ليس بخصوص رعاية الحيوان، ولكن المدينة ضد الريف، أو حتى مجرد وجود نوع من الكراهية لطبقة نبلاء الأرض الذين يشكلون العمود الفقري لمجتمع الصيد.

مهما كانت الخفايا الاجتماعية للجدال، فإن القضية الأخلاقية ضد الصيد تستند إلى أمور رعاية الحيوان؛ لهذا فهو شيء من التحدي لمعارضي الصيد أن فوق ٥٥٠ عضواً من الكلية الملكية للجراحين البيطريين ادعوا أن الصيد بالكلاب أكثر الطرق إنسانية للتحكم في تعداد الثعالب وأنواع الطرائد الأخرى (مثل الغزال والأرنب والمنك)، لكن هل هذا الادعاء الإضافي بالطبيعية يضيف أي شيء لقضية الصيادين؟

حقيقة أن شيئًا ما طبيعي هي ببساطة: حقيقة (أو ربما ينبغي القول في هذه الحالة، افتراض)، ما ليس كذلك هو حكم على الاستصواب الأخلاقي للممارسة، وبعد

كل شيء، فمن الأكثر طبيعية عدم الوقوع تحت تأثير المخدر فذلك أفضل من فقدان الوعي، لكن هذا لا يعني أن القيام بالعمليات الجراحية الطبية بدون تخدير مفضل أخلاقيا.

في الواقع، لا شيء عما يجب أن تكون عليه القضية يستتبع ما تكون عليه في الحقيقة، طبيعية أم لا، وهذا معروف بالفجوة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، التي وصفها أولا ديفيد هيوم في كتابه "مقالة في الطبيعة البشرية"، وجهة نظر هيوم منطقية بسيطة، على سبيل المثال، إذا أردت أن تفكر من حقيقة أن ركل الناس يسبب الألم إلى الاستنتاج أنك يجب ألا تركل الناس بدون سبب وجيه، فلن تستطيع فعل هذا إلا إذا عرضت بيانًا للقيم، مثل "التسبب في الألم بدون سبب وجيه خاطئ"، يجب أن تضع القيم فيه لكي تخرج بقيم: فهي لا تتولد من الحقائق ببساطة.

الجدل حول فجوة ما هو كائن وما يجب أن يكون أصبحت سفسطائية للغاية وكثير من الفلاسفة يجادلون في أن الفجوة ليست غير قابلة للتجسير، وحتى إذا كانوا على حق، فإن القفز من الحقائق إلى القيم بدون توضيح كيفية حدوث هذا يعتبر غير مبرر،

وتجاهل فجوة ما هو كائن وما يجب أن يكون شيءٌ يحدث كثيرا عندما ينظر الناس إلى السلوك الإنساني، وأحيانا يتم الادعاء، على سبيل المثال، أن الزواج الأحادي غير طبيعي، أو أنه ليس طبيعيا بالنسبة للرجال أن يكونوا شرهين جنسيا، حتى إذا كانت هذه الادعاءات صادقة، فماذا في ذلك؟ الأخلاق، كما تُفهَم عادة بالتأكيد تطلب منا أحيانا أن نتحرك ضد تهيؤاتنا المتطورة، على سبيل المثال، كثير من علماء نفس التطور قد يقولون إننا تطورنا بحيث نضع رعاية أقربائنا فوق رعاية الغرباء، لكن هذا قد لا يؤدي بالضرورة إلى تفضيل طلب عمل من قريب أكثر من غريب يمتلك مؤهلات أفضل.

بالطبع، هذه ليست القضية إن الفجوة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون (أو الحقيقة الشبيهة/تمييز القيمة) متصلبة للغاية لدرجة أن أمور الحقيقة ليست ذات صلة

بالأمور الأخلاقية، على سبيل المثال، إقرار أن كل البشر من نفس النوع هي حقيقة قوية يمكن بها التصدي لبعض السلالات العنصرية، الحقائق قد تهم بالنسبة للقيم، لكن القيم لا يمكن بسهولة قراءتها منها.

* * *

في مناسبات عدة لا يبدو واضحا أي الحقائق تهم لوضع أخلاقي، هل القضية الأخلاقية ضد التمييز العنصري، على سبيل المثال، تعتمد على الحقائق التي تظهر عدم وجود فروق مهمة في العوامل مثل نسبة الذكاء في مختلف السكان؟ هل الفروق الفطرية بين الجنسين - إذا ظهر أنها موجودة - تغير مواقفنا نحو التمييز الجنسي؟ هل نحتاج أن نعرف الحقائق عن كيف تشعر الحيوانات بالألم لكي نفصل في قضايا رعاية الحيوان؟ بعض هذه الحقائق ذات صلة أخلاقية، وبعضها ليس كذلك، ما الفرق بينهما؟

انظر أيضا :

١٠ . مثير مثلي .

٢٨ . اللبن للأبقار .

٧٩ . الحقيقة النكراء .

٨٨ . إذا كان قديماً فهو جيد .

٧٩ - الحقيقة النكراء
رهيب فلا يمكن أن يكون صحيحا

سيكون هناك هدف في الحياة فقط إذا كان الله موجودا، ومن ثم فإن مأزق الرجل الحديث فظيع حقا.

William Lane Craig, theologian(١١٥)

حقيقة محزنة عن العالم، أن مجرد وجود أشياء مزعجة كثيرة، لا يعني أنها غير حقيقية، كلنا نعرف هذا، ولا يوجد بالغ عاقل واحد يمكن أن يقبل المبدأ العام أن كون الشيء غير المستساغ يعني أنه ليس موجودا، لكنه مهما كان مزعجا فقد يعني هذا أن الناس سوف يجادلون هكذا، وفي واقع الأمر، هم يفعلون ذلك.

حقيقة أن شيئًا ما بغيض غالبا ما يستشهد به كخير دليل للاعتقاد أنه لا يمكن أن يكون صحيحا، وليس دليلا على أنه لا يمكن وجوده، على سبيل المثال، لعدة أشهر في نهاية ٢٠٠٧، تابع الإعلام البريطاني قصة مادلين ماك كان، وهي طفلة تبلغ من العمر ثلاث سنوات زُعِم أنها اختُطفت من مسكن عطلة في باريا دا لوز، بالبرتغال، أصبح والداها بسرعة متهمين في القضية، وعلى الرغم من أن عشرات الأطفال يفقدون كل عام، فإن هذه القصة فتنت الإعلام والجمهور البريطاني، وبدا أن كل واحد لديه رأي في ما إذا كان الوالدان مذنبين أم بريئين.

ومع ذلك، لم تكن هذه الأحكام إلا تخمينات، حيث لم يعرف أحد الحقائق الكاملة، وهذا لم يوقف كاتبة العمود اليسون بيرسون في جريدة الديلي ميل عن إصدار رأيها:

"إن العمل الذي اتهم به الوالدان يتطلب شرا أسود بقلب بارد أرفض أن أصدق أنهما مذنبان به ما لم يكشف عن دليل ساحق."(١١٦)

لم تذهب بيرسون لقول إن فظاعة العمل المزعوم كانت تعني أنه لا يمكن أن يحدث، لكنها مع ذلك ذهبت بعيدا، أحيانا يسيء الوالدان ويقتلان أطفالهما، وحقيقة أن هذا مخيف ليس سببا جيدا بما فيه الكفاية للاعتقاد أنه لا يحدث، الزوجان ماك كان كانا متهمين رسميا، لذا فإن احتمال أنهما قاما بذلك كان بالفعل حقيقياً، بالطبع، هما بريئان حتى تثبت إدانتهما، ولما يستحقه ذلك (ليس كثيراً) فأنا لا أعتقد أنهما فعلاه أيضا، لكني لا أستطيع رؤية كيف تكون فظاعة الجريمة المزعومة داعمة بأي شكل لموضوع براءتهما.

يستخدم اللاهوتي ويليام لين كريج خطأً مجادلاً مشككًا مماثلاً عندما يدعي أن "عبثية الحياة بدون الله" تضيف وزنا للادعاء بوجود الله، هذه الحجة يمكن أن تؤثر إذا كانت العبثية موضع التساؤل منطقية نوعا ما، لكن هذا ليس ما يعنيه (على الأقل ليس في السياق الذي اقتبسته)، العبثية التي يتكلم عنها شبيهة لما ناقشه ألبرت كاموس، الذي جادل فى أن الحياة عبثية بدون الله لكننا يجب أن نستمر فيها، هي عبثية لأنها بدون معنى ولا هدف.

لكن ماذا بعد ذلك؟ قد تكون الحياة بدون معنى ولا هدف، إذا كان الأمر كذلك (وأنا لا أعتقد أن الملحد يتطلب هذا الاستنتاج المتشائم) فقد يعطيك هذا سببا لكي تطلب وجود الله، لكن هذا ليس سببا للاعتقاد حقيقة أنه موجود، في الحقيقة أحيانا تكون الأشياء الفظيعة على الرغم من ذلك صحيحة.

لكن بالطبع نحن غالبا لا نريد أن نصدق الأشياء الفظيعة، وهذا يقودنا إلى كل أنواع خداع الذات، نحن لا نريد أن نصدق أن شريك حياتنا له علاقة غرامية؛ لذا فنحن نقلل كل أنواع الأدلة التي تثبت ذلك، نحن لا نريد أن نصدق أن أقاربنا المقربين وأصدقاءنا قادرون على ارتكاب جرائم مروعة، وهذا هو سبب أنه لا يوجد أي نقص في عدد الناس الذين يكونون على استعداد للوقوف أمام كاميرات التليفزيون للتأكيد على أن شخصاً ما متهم بارتكاب جريمة "لا يمكن أبدا أن يفعل ذلك".

كما قال ت.س إليوت، "الجنس البشري لا يستطيع تحمل كثير من الحقيقة"، نحن لا نستطيع توقع أن الناس دائما سيحملقون في وجه الحق بدون خوف، على الرغم من أننا قد نطمح في كثير من البطولة، قد يكون فظيعا أن الناس غير قادرين على قبول الأشياء الفظيعة، لكن بالتأكيد أيضًا صحيح أننا أحيانا لا نستطيع، إلى أي حد يمكننا مقاومة هذه الحقيقة غير المستساغة للطبيعة البشرية؟

* * *

يمكن الجدال أن عديدا من النظريات الفلسفية الكبيرة أثبتت عدم شعبيتها أساسا بسبب أنها غير مستساغة، ليس لأن حججها ضعيفة، وهذا يثير سؤالاً آخر عما إذا كان ما نفكر فيه سيكون مروعا، وإذا كان صحيحا، فسيكون ذلك سيئا في الحقيقة، هل سيكون فظيعا أن البشر يفتقدون للإرادة الحرة في نهاية المطاف؟ هل نقبل أن ما نفكر فيه لا يدفعنا في الحقيقة لفعل ما نفعل؟ وهل ستكون نهاية الأخلاق إذا لم تكن هناك قيم أخلاقية مجردة؟

انظر أيضا :

١ . شيء لا يصدق.

١٠ . مثير مثلي.

٤٧ . نفس القصة البالية.

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح.

٨٠ - توازن المراوغة

"ينبغي أن نحقق التوازن"

ينبغي أن نحقق التوازن بين تمكين الناس من السفر وتحقيق التزاماتنا البيئية.

Alistair Darling, transport secretary(١١٧)

"فلنكن معقولين" هذا توسل لن يرفضه أحد بالتأكيد، من يمكنه طرح أن يكون غير معقول؟ لكن تلك هي المشكلة: أنه مجرد طموح غامض، ووظيفته الأساسية يبدو أنها تجعل كل من ينطق به يبدو مثل، حسنا، شخص معقول.

"تحقيق التوازن" شيء غائم وساذج، لن يقول أحد، "أعتقد أن في تقييم الدليل، ينبغي أن نسعى لأن يكون غير متوازن"، كلما كانت هناك حجج متضاربة، أو قوائم بمحاسن ومساوئ، كانت هناك حاجة للموازنة بينهما، القيام بهذا هو ما يستتبع التفكير عن الأشياء: تحقيق التوازن ليس نشاطا إضافيا يمكن تجنبه بالتشاور الرشيد.

الحديث عن تحقيق التوازن هكذا يكون بلا معنى، إلا إذا فسر لنا ما التوازن الذي ينبغي تحقيقه ولماذا، إلا أن هذا يحدث نادرا عندما يستحضر الناس هذا التعبير، بدلا من ذلك فهم يلقون به كتبرير واضح لقرار يبدو أنه صادر لتحاشي القيام باختيارات صعبة.

هذا ما كان يفعله ألستير دارلنج، وزير النقل في ذلك الوقت، في مقابلته مع أندرو مار، السؤال الصعب كان كيف تخفض انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون وفي نفس الوقت الذي يكون تأثيره ضئيلاً على النمو الاقتصادي قدر الإمكان، القول

"ينبغي أن نحقق التوازن بين تمكين الناس من السفر وتحقيق التزاماتنا البيئية" لا يجيب على هذا السؤال الصعب على الإطلاق، بل يعيد صياغة تحدي تقديم إجابة لائقة، الإجابة الحقيقية ينبغي أن تكون شيئا مثل "لكي نحقق التزاماتنا البيئية، يجب أن نمنع الناس من السفر كثيرا" أو "الأمر يحتاج لتنازلات في بعض أهدافنا البيئية لكي نسمح للناس بالسفر بحرية"، لكن، بالطبع، كلتا الإجابتين تتضمنان قبول شيء غير مستساغ، والأكثر أمانا إذن هو الحديث عن تحقيق التوازن، حتى لو كان من الأدق القول إن ما جرى تحقيق التلاعب.

حديث التوازن يمكن قياسه عندما يكون ما نحتاجه، في الحقيقة، إعادة توازن جذري للأولويات، في المسألة الخضراء، قد يكون مجرد أننا لا نستطيع أن نأمل في الحفاظ على المستويات الحالية لاستهلاك الكربون، في ذلك التحليل، قد يكون زائفا وخطيرا تشجيع فكرة أن بطريقة ما نستطيع موازنة الضرورة الملحة لاتخاذ إجراءات لمكافحة تغير المناخ مع الحفاظ على الكثير من العادات والممارسات التي اعتدنا عليها.

للأسف، "يجب أن نحقق توازنًا" تبدو الآن إجابة مختزنة لأي أسئلة صعبة عن السياسة البيئية، على سبيل المثال، في مجلس اللوردات، تم سؤال اللور دافيز أولدهام المنتمي لحزب العمل كيف أن ضرائب جديدة تستهدف خفض انبعاثات كربون الطائرات تداخلت مع قرار الموافقة على المدرج الثاني في مطار ستانستيد، كانت إجابته بالطبع، "يجب أن نحقق توازنًا بين أهدافنا البيئية."(١١٨)

الأسوأ أن المعقولية الظاهرة للتوازن تعمينا عن حقيقة أنه أحيانا تتداخل مجموعة من الاهتمامات مع مجموعة أخرى، انظر إلى التوازن الذي قيل لنا إنه يحتاج للتحقيق بين الأمن والحريات المدنية، في الملخص، هناك بعض الحقيقة في هذا الادعاء، لكن في بعض مناطق السياسة المحددة، التوازن الصحيح قد يعني أن تميل الموازين تماما إلى جانب واحد، هناك، على سبيل المثال، يمكن المجادلة أنه لا يوجد اتزان يحتاج للتحقيق بين احتجاز الناس بدون محاكمة لعدة سنوات والأمن القومي، فالأول يجب ألا يحدث أبداً، لا نحتاج للتوازن عندما تأتي الموازين بقوة إلى جانب واحد.

* * *

كثير من الجدل يصل إلى خيارات أكثر صعوبة يتحاشاها التوازن البلاغي، على سبيل المثال، هل أخلاقيات الإجهاض حقًا هي عن تحقيق التوازن بين حقوق الأم وحقوق الجنين؟ هل يجب على خدمات الصحة الوطنية أن توازن بين توفير الإجراءات المختبرة سريريا والعلاجات التكميلية الأخرى؟ هل ينبغي أن نزن آراء العنصريين والمتعصبين ضد آراء الآخرين؟

انظر أيضا :

٢٥ . نرفض هذه الحرب الفاشية .

٣٣ . المعتدلون لا يتقدمون .

٥٣ . آمنة تماما .

٨٣ . مدجج بالسلاح بوضوح .

٨١ - لقد جلبت لكم السلام والازدهار
تقدير غير مستحق

نحتفل هذه السنة بالعيد الخمسين للاتحاد الأوربي، نحن فخورون بالإنجاز الذي حقق السلام، والازدهار والتضامن للقارة التي حطمتها الحرب.

José Manuel Barroso, president of the European Commission(١١٩)

ماذا تريد من حكومتك؟ لا تستطيع أن تطلب أكثر من السلام والازدهار، أليس كذلك؟ حسنا، حسب هذا الرئيس، هذا بالضبط ما أعطاه الاتحاد الأوربي لدوله الأعضاء، إذن تحية كبيرة للاتحاد الأوروبي ؟

ليس بهذه السرعة، صحيح لم يكن هناك حروب بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوربي منذ تأسيسه، على الرغم من وجود الكثير منها في القرون السابقة، وصحيح أيضًا أن أوربا الآن غنية للغاية، أغنى مما كانت عندما بدأ الاتحاد الأوربي، لكن ادعاء أن الاتحاد الأوربي أصبح بالفعل سبب هذا السلام والازدهار يتطلب أدلة أكثر من بيان عن هاتين الحقيقتين.

انظر - على سبيل المثال - كيف كان أداء دول عديدة خارج الاتحاد الأوربي أيضًا جيدا للغاية على جبهة السلام والازدهار، الأكثر ملاحظة، هي النرويج التي حققت أعلى ثاني معدل للدخل القومي للفرد في العالم، وأيضا اعتلت بانتظام مؤشر قائمة الأمم المتحدة لتطور حقوق الإنسان، ما جعلها أفضل مكان في العالم للحياة فيه، من يستطيع القول إن الدول الأخرى في الاتحاد الأوربي ما كان لها أن تحقق نجاحات مماثلة إن لم يكن الاتحاد قد تكون؟

يحب السياسيون أن يحصلوا على التقدير لما يسير على ما يرام، بالضبط كما يحبون أن يتحاشوا اللوم لما يجري خطأ، في ذلك، هم فقط بشر، في خطابه أمام مؤتمر حزب العمل ٢٠٠٣، على سبيل المثال، أشار توني بلير، رئيس الوزراء في ذلك الوقت، إلى انخفاض وفيات السرطان تحت مراقبة حكومته، لم يشر إلى أن الاتجاه على المدى الطويل في كل دول العالم النامي هو لمثل هذا الانخفاض وأن انخفاض ٩ في المائة في بريطانيا كان متفقا فقط مع المعدل الأوربي، في أحسن الأحوال حققت الحكومة المتوسط فقط، ويمكن القول جدلا إنها حققت القليل من السيطرة المباشرة على الاتجاهات في المدى المتوسط إلى الطويل عموما.

وكخطوة بلاغية، الحصول على التقدير يمكن أن يكون مؤثرا جزئيا بسبب أن البشر يفهمون العالم غريزيا كما لوكان يعمل حسب مبادئ عارضة، وهو عمل طيب أن نفعل ذلك، لكن الجانب الهابط من هذا أننا يمكننا بسهولة أن نخطئ الارتباطات غير العارضة على أنها عارضة، النجاح تحت نظام معين يمكن أن يحسب خطأ على أنه نجاح بسبب النظام.

نيل التقدير بدون وجه حق (أو اللوم) بهذه الطريقة ليس محصورا على عالم السياسة، انظر إلى الادعاءات العارضة المتضمنة فيما يلي: "منذ زواجنا، انطلق عملك للأمام، بينما توقف عملي." أو "كان هناك حالة وفاة واحدة في هذا المصنع في كل الوقت الذي كنت فيه مديرا"، أو ماذا عن، "الرجل الذي فاز بخمس من ست بطولات كبرى التي لعبت بين أغسطس ١٩٩٩ وأبريل ٢٠٠١ بأدوات تايتلست فاز فقط باثنتين من آخر سبع، ولم يكن أي من الخمس الأخيرة ومعه مضرب نايك في الحقيبة." كان هذا الرجل تايجر وودز، وهذا التصريح قيل أثناء الأعوام العجاف، ومنذ ذلك الوقت بدأ في استعادة مجده في رياضته مع أندية نايك، هل يمكن أن يكون الأمر ببساطة أن أيًا من نايك أو تايتلست يجب ألا يحصل على التقدير لنجاحه، وأن وودز بذلك يكون مجرد رياضي رائع له نجاحه وفشله؟

بذكر هذا، أنا متأكد أن هذا الكتاب إذا بيع جيدا فسيكون السبب براعتي وعملي الجاد، وإذا فشل فسيكون خطأ الناشر.

* * *

مثلما يحصل الناس على التقدير بدون وجه حق ، هكذا يمكن أن يقود نفس غياب وضوح السبب والنتيجة إلى عدم حصول البعض على التقدير الذي يستحقونه، قد يكون توني بلير قد ادعى نجاحات أكثر مما فعل، لكن هل ينكر منتقدوه إنجازاته الحقيقية؟ هل كان آلان جرينسبان رئيسًا رائعًا للبنك الاحتياطي الفيدرالي أم مجرد رجل محظوظ؟ هل من الممكن تحديد كم التقدير الذي يجب أن يحصل عليه الناس، أم أن تأثير الفرصة كبير أيضًا حتى لا يمكن أن يكون الحكم ذا معنى؟

انظر أيضا :
٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .
٢٦ . البطة التي فازت باليانصيب .
٤١ . المعرفة بأثر رجعي .
٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء .

٨٢ - اللسان الحاد لا يعني ذهنا حريصا ضد الشخص

يمكنني تحمل إرفينج الذي يمتلك أكثر الأنفاس النتنة إحراجا في لندن، لأنه يزودنا بسبيل للوصول لأناس ومواد ذات أهمية تاريخية.

Max Hastings, Guardian(١٢٠)

إليك مشهداً معتاداً بالنسبة للجميع: اثنان من الناس في مجادلة، وأحدهما قد توتر للغاية من الآخر، عند هذه النقطة، يقول المحاور صاحب اليد العليا شيئا ذكيا، لا يجد له الشخص الآخر رداً محكماً؛ لذا يقول عوضا، "هذا ما كنت أتوقع أن يقوله *** أحمق مثلك" (أضف عبارتك البذيئة).

هذا مثال نموذجي للجدال "ضد الشخص"، الهجمات ضد الشخص لا تتناول موضوع المجادلة بل الناس المشاركين، وعلى هذا النحو، فهم قاصرون منطقيا، على الرغم من أنهم مسلون للغاية في كثير من الأحيان.

تعليق ماكس هاستنجز عن ديفيد إرفنج نموذج غير عادي لأنه في السياق الذي تفوه به كان يدافع عن إرفنج، قائلا إنه على الرغم من كل أخطائه كمنكر للمحرقة، فهو يكشف عن معلومات لها أهمية كبيرة للمؤرخين، قال هاستنجز، "لا يمكن لأي مؤرخ جاد للحرب العالمية الثانية أن يستبعد كتب إرفنج من قائمة القراءة،" فلماذا الإهانة إذن؟

حسنا، إرفنج منبوذ في المجتمع المهذب؛ لذا يفترض أن هاستنجز اعتقد أن الكلام عنه بفظاظة قد يساعد في توضيح أن دعمه المؤهل لبعض أعماله التاريخية ليس

بأي شكل تأييدا له كإنسان، ومن المحتمل أن هذا التكتيك قد نجح، لم يستطع أحد ممن قرءوا تعليقات هاستنجز الشائكة التفكير في أي حب مفقود بينه وإيرفنج، كانت خدعة بلاغية منمقة لم تخبرنا بأي شيء عن مزايا إرفنج كمثقف.

مع ذلك، لا ينبغي أن نلقي بالطفل خارجا مع ماء الاستحمام: الإهانة الجيدة لا تحتاج أن تكون ضد الشخص فقط، في الحقيقة، أفضل الجروح أعمقها، انظر، على سبيل المثال، إلى تعليق ويليام فولكنر عن إرنست هيمنجواي: "لم يعرف عنه أنه استعمل كلمة يمكن أن ترسل القارئ للبحث في القاموس" هو إهانة نعم، لكن هل هي ضد الشخص بصورة بحتة؟ كلا على الإطلاق: فولكنر يحاول أن يخبرنا شيئا عن قصور العمل، وليس فقط عن الرجل، والدليل على هذا أنه بالسماح ببعض المبالغة في التصريح، يمكن اختبار ادعاء فولكنر، ونستطيع أن نسأل أنفسنا ما إذا كان هذا يرقى إلى خلل في عمل هيمنجواي أم لا، رائحة أنفاس ديفيد إرفنج السيئة لا تغير من نوعية تاريخه بحرف واحد.

هناك ملاحظة واحدة سمعتها مؤخرا وأعتقد أنها تستحق إدراجها في أي قائمة للتحقيرات الكبيرة التي، مرة أخرى، تكون أكثر من مجرد هجوم ضد الشخص، بعد تقديمه بكلمة طويلة، علق المتحدث أن المقعد قد ألقى خطابا، كما هي العادة دائما، "وهي تصرف صعب الاتباع – بكل ما تحمل الكلمة من معنى"، وبطريقة ما ضاع هذا التعليق؛ لأنه في الحقيقة كان ظاهر الوضوح، لكن حتى الفلاسفة (كما كان المتحدثان) يوافقون أن الحق يجب ألا يقف في وجه مزحة طيبة.

لأسباب مختلفة، يأتي مثال مفضل آخر عندي من راعي الكنيسة إيان بيسلي، فقد سخر من الصحفية ديبورا روس التي وجدت الجرأة لسؤاله أن يبرر ادعاءه أنه يعرف فكر الله، أخبر بيسلي اجتماع السكن البرتقالي، "سألتني صحفية سخيفة اليوم كيف عرفت فكر الله، وكان يجب على أن أخبرها أني أعرفه لأنه مكتوب في الكتاب

المقدس."[١٢١] المثير هنا هو أنه أجاب على سؤال روس ("مكتوب في الكتاب المقدس")، وتعليقه "ضد الشخص" عن غبائها المزعوم ينبذ استباقيا صلاحية المتابعات الواضحة، مثل لماذا يعتقد أن تفسيره الكتابي أعلى من تفسير البابا، أو كيف يعلم أن الكتاب المقدس هو كلمة الله.

كان لروس الضحكة الأخيرة على كل حال، كتابتها الرائعة عن المقابلة جعلت بيسلي يبدو هو السخيف، "ضد الشخص" يمكن أن يأتي بنتائج عكسية إذا جعلت المهاجم يبدو غير عقلاني وشريراً.

* * *

ليس من الواضح دائما متى تكون الإهانة شخصية بحتة ومتى تحتوي على بعض النقد الجاد وهو قوام النقاش العقلاني، ماذا تفعل مع وصف اليزابيث باون لألدوس هكسلي: "فكرة الشخص الغبي عن الشخص الذكي"؟ أو حكم جور فيدال على أندي وارهول: "العبقري الوحيد بمعدل ذكاء ٦٠"؟ أو ماذا عن تعليق مامي فان دورين الحارق عن وارن بيتي: "أنه نوع من الرجال سينتهي به الحال ميتا بين ذراعي نفسه"؟ "ضد الشخص" البحت أم الإهانات المعبأة بلكمة فكرية؟

انظر أيضا :

١٣ . محاكمة الثياب .

٢١ . موسيقى المزاج .

٣٠ . عزيزي القارئ الحكيم .

٩٤ . ليس من شأن الكرادلة .

٨٣ - مدجج بالسلاح بوضوح
اللجوء للفطرة السليمة

هذا مثال تقليدي عنًّا عندما نطبق بعض الفطرة السليمة، أن نكون معقولين فقط، أليس كذلك؟ والمعقول يقول إن أصحاب الأسلحة المرخصة - وأنا أحترم التعديل الثاني - أنا أقول إن أصحاب الأسلحة المرخصة ينبغي أن يكونوا قادرين على الصيد، وأن يكونوا رياضيين، وأن يحموا عائلاتهم.

Barak Obama(١٢٢)

بالنسبة للسياسيين، اللجوء للفطرة السليمة هو، حسنا، فطرة سليمة، هي شيء يعتقد كل الناس أننا نمتلكه بوفرة، على الرغم مما يقال إن النخبة المثقفة تفتقر إليه، هي ديموقراطية، بسيطة وواضحة في حد ذاتها، لذا من تريد أن تجادله ضد هذا؟ أنا، الفطرة السليمة مؤشر فقير لما هو حقيقي، أو بالنسبة لهؤلاء المتشككين من كلمة إرهاب أو ما هو حقيقي أو عملي أو فعال.

وجهة النظر هذه وضحت بقوة في كتاب العالم البيولوجي لويس ولبرت "الطبيعة غير الطبيعية للعلم".(١٢٣) ولبرت يشير إلى أن العلم مرارا يخلط الفطرة السليمة، وعلى الأقل ما ينظر إليه كفطرة سليمة في أي وقت محدد، على سبيل المثال، الفطرة السليمة تقر أن الشيء الثقيل يسقط أسرع من الخفيف، والفطرة السليمة تقول إنه إذا كان العالم كرة، سيسقط الناس من عليها، وبالتأكيد سوف نتبعثر في الفضاء إذا كان العالم يدور، الفطرة السليمة - أو على الأقل الحكمة المتلقاة - تقول إن الذهاب خارجا

في البرد بملابس مبتلة يزيد من فرصة الإصابة بالبرد، الفطرة السليمة في كل هذه الحالات الثلاث تعد خطأ.

ولا يستغرق الأمر وقتا طويلا لإظهار أن الفطرة السليمة لا يعتمد عليها، لكني أنا أيضًا أجد إغراء الفطرة السليمة تقريبا لا يقاوم، اللجوء للفطرة السليمة غالبا ما يكون تعبيرا عن نوع من السخط، شيء يبدو واضحا لنا حقيقيا أو زائفا ونحن في الحقيقة لا نعتقد أنه يستحق جهد التفسير، الاحتكام إلى المنطق يكون هكذا مجرد طريق مختزل للقول إننا نعتقد أن شيئًا ما حقيقي أو زائف بوضوح، وهي استراتيجية خادعة، حيث إن "الفطرة السليمة" تتضمن نوعا من المستوى العالمي للعقلانية، وهي أكثر من مجرد ما يعتقد فيها الناس العاديون، لكنها تتطلب أقل من المعلومات المتخصصة، لكن إذا كانت أكثر من مجرد رأي وارد، ألا تصبح ببساطة ما نعتقد أنه يجب على الناس التفكير فيه؟ وإذا كان هذا هو ما نعنيه عندما نتكلم عن الفطرة السليمة، ألا ينبغي علينا قول ذلك وأن نوضح لماذا نعتقد أنهم يجب أن يتفقوا معنا؟ القول إنها مجرة فطرة سليمة هو طريقة لنقل مسئولية وجوب تفسير سبب التفكير في ما نفعله من خلال حكم أسطوري لسبب عادي .

إذن فالفطرة السليمة ليست فقط غير حقيقية، بل هي غائمة وغير محددة، يجب أن نحاول تحاشي استعمال هذا التعبير بالكامل ونستعمل بدلا منه شيئا يجعل قواعد أحكامنا واضحة على الأقل: هي ما يعتقد فيه الناس عموما، وكل ما تشير إليه التجارب على أنه حقيقي، وهي الحكمة المتلقاة، وهي ما اعتقد أنه واضح وبديهي، لكن على الأقل هي أمور واضحة وتجعل من الممكن تقييم المبررات بأمانة، والقول إن شيئا من الفطرة السليمة هو مجرد طريقة لمحاولة تحاشي التبرير بالكامل.

هل للفطرة السليمة أي دفاع ضد قائمة الاتهام؟ أعتقد أنها تملك هذا، هناك أمثلة لا تحصى حيث تحصل استجاباتنا الحدسية غير المنعكسة على إجابات صحيحة أو أكثر دقة من أفكارنا المنهجية، الفطرة السليمة يمكن أيضًا أن تجسد نوعًا من الحكمة

الجماعية، والأحكام المعتمدة على الخبرة التي تعمل عادة وتبرر بمحكمة التاريخ، وليس بالجدال العقلي، المعضلة هي أن من الصعب تفريق هذا النوع الطيب للغاية من الفطرة السليمة عن الحماقة المقبولة على نطاق واسع.

* * *

الفطرة السليمة قد تكون مريبة، لكن إنكارها بلا ضرورة طريقة رخيصة للظهور بمظهر المثقف، لقد ابتدعتُ لعبة أسميتها زيزوكو - نسبة لصاحب النظريات الثقافية والعازف من طراز فريد السلوفيني سلافوج زيزيك - وهي تسمح لك بإبهار الآخرين بذكائك بهذه الطريقة، خذ فقط أي شيء معتقد فيه على نطاق واسع واقلبه، ويفضَّل خلق مفارقة تبدو حكيمة، على سبيل المثال، "كلما استعملنا علم النفس لنجعل أنفسنا نشعر بسعادة أكثر ، أصبحنا تعساء" أو، "إنه وسواس 'الأكل الصحي' الذي يجعلنا غير أصِحَّاء في الواقع"، والمثير أكثر للجدل، "مكافحة العنصرية هي أكثر شيء عنصري على الإطلاق، لأنها، فوق كل شيء، تموضع العنصر"، والآن دورك...

انظر أيضاً :

١ . شيء لا يصدق .

٢٥ . نرفض هذه الحرب الفاشية .

٥٠ . كلمات لاذعة .

٨٨ . إذا كان قديماً فهو جيد .

٨٤ - همبرجر الهيروين

مغالطة القياسات

بالنسبة لعدد كبير من الناس، الغذاء المستمر من الوجبات السريعة غالبا ضار ويصعب مقاومته، مثل الهيروين : للمدمن أو النيكوتين للمعتاد على تدخين السجائر.

John Banzhaf, attorney and law professor(١٢٤)

رُفِعَ بالفعل عديد من الدعاوى القضائية ضد مطاعم الوجبات السريعة مدعية أنها مسئولة عن الصحة السيئة للبدناء الذين تمت تغذيتهم لسنوات على منتجاتهم، على الرغم من أن كثيراً من الناس يعتبرونها نوعا من المزحة، فإن بعض الدعاوى الجماعية كانت ناجحة.

قبل أن يبدأ جون بإنزاف محاربته لشركات الوجبات السريعة، كان واحدا من أولئك الذين قاضوا "شركات التبغ العملاقة"، استسخف الناس هذه المحاولات أيضا، لكن في ١٩٩٨، شهد اتفاق التسوية الأساسي شركات التبغ الأمريكية الكبرى وهي توافق على دفع ٢٤٦ بليون دولارا خلال ٢٥ عاما لتسوية دعاوى قضائية رفعتها ولايات أمريكا.

نجاح دعاوى التبغ قاد الناس إلى التساؤل عما إذا كانت المطالبات ضد صانعي الوجبات السريعة مشابهة، في كلتا الحالتين، تم الادعاء أن الصحة العامة قد تدمرت بتصرفات الشركات الكبرى التي تخفي المخاطر الصحية لمنتجاتها، وهذا يجعلها عرضة لدفع تعويضات لهؤلاء الذين عانوا نتيجة ذلك.

من وجهة النظر القانونية، هناك بالتأكيد سوابق وضعتها دعاوى التبغ يريد الساعون خلف منتجي الوجبات السريعة أن يتعلموا منها، لكن هل الحالتان متشابهتان في الحقيقة؟

أحد الطرق الشرعية لإيجاد قياس في مجادلة هو تحديد هيكل منطقي مشترك، على سبيل المثال، يمكن المجادلة أن الحجج ضد صناعتي التبغ والوجبات السريعة لها نفس الشكل، وبالتحديد:

١ . إذا غطى المنتج الضرر الذي يمكن أن تسببه منتجاته، فهو مسئول عن أي ضرر مثيل تسببه هذه المنتجات.

٢ . س قام بتغطية الضرر الذي يمكن أن تسببه منتجاته.

٣ . لهذا فإن س مسئول عن أي ضرر مثيل سببته منتجاته.

إذا كان (١) صحيح، إذن س يمكن استبداله بأي شيء يجعل (٢) صحيح والنتيجة (٣) سوف تتبع ذلك، بهذه الطريقة، تكون الحجتان بالفعل متشابهتين، في الواقع، فالحجتان تتشاركان في شكل أساسي ساري المفعول يعرف باسم تأكيد السابقة:

إذا كانت ل هي م

ل

تكون إذن م

ومع ذلك، فحقيقة أن الحجج ضد شركات التبغ الكبيرة وصناعة الوجبات السريعة لها نفس الهيكل ليست مثيرة للغاية في حد ذاتها، ما نحتاج لمعرفته هو إذا كانت محتويات الحجج متشابهة، وليس فقط الشكل، هل اشتركت صناعة الوجبات السريعة في تغطية للصحة تقارن بتلك التي لشركات التبغ؟

هنا حيث يمكن أن ينكسر التشابه، أولا، إذا دخنت، أي ضرر تعاني منه لا يمكن منعه، وإذا أكلت وجبات سريعة، يأتي الضرر فقط من سوء الاستعمال، يجب أن يكون واضحا لشركات التبغ منذ وقت طويل أن منتجاتهم كانت مدمرة داخليا للصحة، التحذيرات مثل تلك التي توضع في إعلانات صناعة الكحول - "استعمل منتجنا

بمسئولية" – ستكون سخيفة على علب السجائر، لكن الوجبات السريعة، مثل الكحول، يمكن الاستمتاع بها باعتدال دون ضرر للصحة.

الأمر الأكثر حساسية بالنسبة للحجة التي نظرنا إليها، في حالة التدخين يبدو أن هناك تستراً واضحاً، وفي حالة الوجبات السريعة، سيكون من الصعب إثبات مثل هذا الخداع الخطير، الحقائق عن مكونات الغذاء الصحي أصبحت معروفة بدرجة وافية لوقت كاف، لذا أصبح ممكنا أن تكون هناك حالة للمستهلكين يصبحون فيها قادرين على اختيار كمية الوجبات السريعة التي يستهلكونها لأنفسهم، نفس الأمر لم يكن صحيحا في التدخين.

الحجج من التشابه يمكن أن تكون قوية منطقياً، لكن من الأهمية بمكان أن نسأل ما إذا كانت خطوط التوازي قريبة بما فيه الكفاية لتبرير النتائج التي يمكن استخلاصها منها.

* * *

ماذا يمكنك أن تفعل بهذه الحجج من التشابه؟ على سبيل المثال، هل "التعصب النوعي" ضد الحيوانات يمكن مقارنته بالعنصرية أو التفرقة على أساس الجنس؟ هل الملحدون المتعصبون أصوليون مثل المتعصبيين دينياً الذين يدعون للقتل باسم الله؟ هل الأثداء الزائفة هي من نفس نوع الأشياء التى من قبيل اسمرار الجلد الزائف؟" ما الذي يقارن بالضبط في كل حالة، وما هو مدى قرب التشابه؟

انظر أيضاً :

٢ . أغنام الكم القافزة .

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئًا لك؟

٤٥ . درس الماضي

٩٧ . هجوم على الشجيرات القاتلة .

٨٥ – الخوف من الفلفل الأسود

الذعر

أكثر من ٥٠ مبيدا حشرياً خطيراً يلوث طعام بريطانيا، كما أثبتت الاختبارات الرسمية، (...) الكشف – في مسح لنتائج الاختبارات الرسمية – سيزيد من القلق على تلوث الطعام.

Geoffrey Lean, Independent on Sunday[١٢٥]

جيوفري لين، محرر البيئة السابق للإندبندنت يوم الأحد، لا ينبغي أن يكون هدفاً سهلا للنقد، فقد فاز بالعديد من الجوائز، بما فيها جائزة خاصة لإنجازاته العامة في الصحافة البيئية من اتحاد الحماية العالمي، وجائزة مارثا جيلهورن، وجائزة رويترز – أي يو سي أن الإعلامية وجائزة الصحافة البريطانية لسبق العام، إلا أن اكتشاف أخطاء في تقريره عن "أكثر من ٥٠ مبيداً حشرياً وجدت في الطعام البريطاني" مثل التصويب على سمكة في برميل، سمكة كبيرة، في برميل صغير ببندقية آلية.

كلمات لين تستعمل حركة ذعر تقليدية. فهي تشير إلى وجود خطر بينما تقلل أو لا تكشف حقيقة أن الخطر موضع التساؤل قليل للغاية، مثال واضح على الطبيعة المراوغة لهذه الحركة هو مسئول تسويق موانع الصواعق الذي يظهر ليقول لك، "هل تعلم أن منزلك – نعم، منزلك – يمكن أن يصاب بصاعقة غداً، تسبب حريقا قد يقتلك مع كل أفراد أسرتك؟ هل تريد أن تقبل هذه المخاطرة؟" ربما قد تكون إجابتك "نعم"، لأنك بالفعل تعرف أن منزلك يمكن أن يصاب بصاعقة، لكنك أيضًا تعرف أن الخطر قليل

للغاية ولا يستحق إنفاق كثير من النقود لاتقائه، ومع ذلك، عندما يواجهك أحد بخطر لم تكن على علم به، فكل هذه المعلومات في الخلفية لن تكون موجودة، ورد الفعل الطبيعي هو أن تقلق، "هل تعلم أن أواني الطبخ يمكن أن تصيبك بالزهايمر ؟" حسنًا، لا، لم أعلم، يا إلهي، ربما يجب عليَّ أن أشتري نوعًا آمنًا...

عندما يخبرنا لين أن الطعام البريطاني يحتوي على "مبيدات حشرية خطيرة" دون أن يكشف مستوياتها، فهو يجعلنا أكثر خوفا مما ينبغي، وهذا مثل إخبار شخص ما أن هناك زرنيخًا في كوب الماء الذي شربه للتو، بينما لم يكن هناك إلا مقدار ضئيل من السم غير كاف ليكون له أي تأثير ملحوظ على الجسم، إلا أن لين لم يشر في أي جزء من مقولته إلى دليل على أن مستويات هذه المبيدات مرتفعة بدرجة خطيرة.

ويشكل مدهش، يستبق لين هذا النقد بالادعاء أن "العديد من الخبراء يعتقدون أنه لا يوجد مستوى آمن للكيماويات المسببة للسرطان"، وبكلمات أخرى، ينبغي عليك أن تخاف بمجرد وجود مبيدات حشرية ضارة، بغض النظر عن مستوياتها، لكن هذا الادعاء إما أنه غير صحيح وإما أنه ليس تمامًا كما يبدو، على سبيل المثال، تبين أن في الفلفل الأسود مادة مسرطنة، وأيضًا مادة التانين الموجودة في الشاي والقهوة، ومع ذلك لم يعتقد أي خبير موثوق أنه ليس مأمونا شرب الشاي أو طحن الفلفل الأسود على طبق للمعجنات، فأنت لن تكون قادرًا على استهلاك الكميات اللازمة من هذه المواد الغذائية لكن تتمكن آثارها المسرطنة من الإضرار بك.

بصراحة هذا النوع من التقارير غير المسئولة يسمح أيضًا للمراسل أن يتنبأ بناء على قناعاته الذاتية، كتبت لين أن "الكشف...سوف يزيد من القلق"، حسنًا، نعم سيحدث هذا؛ لأنه كشفه بطريقة صممت لتزيد من القلق، ولا شيء ينشر الخوف مثل إخبار الناس أن الخوف ينتشر.

* * *

حاول أن تجرب هذه التجربة: التقط أي جريدة، اليوم، وانظر إلى القصص التي تحذر من المخاطر، أي مخاطر: انهيار أسعار العقارات، الكوارث العالمية، هجمات الإرهاب، التسيب، وأي شيء آخر، أراهنك أن تقريبًا القصة في كل الحالات سوف تركز على مجرد وجود الخطر وليس على مستوياته الحقيقية، النتيجة هي أننا نقلق أكثر مما ينبغي، لكن بدون أن يكذب أحد، الخطيئة هنا هي خطيئة إغفال، لكن أحيانًا يكون ما لا تذكره هو ما يمكن أن يكون خادعًا.

انظر أيضًا :

٣ . قرود مستكينة تأكل الجبن .

٢٣ . النهاية قريبة (ربما) .

٤٩ . هنا تكمن الكارثة .

٧٩ . الحقيقة النكراء .

٨٦ - ليس هناك جانب مظلم للقمر
قوة التأكيد الجسور

فكر في هذا: كل مرة تكون هناك قائمة بأعظم ١٠٠ تسجيل في جميع الأوقات، تكون كل هذه الألبومات قد تم تسجيلها في يومين.

Jack White of The White Stipes(١٢٦)

فكر في هذا، نحن في القرن الحادي والعشرين! لماذا تفكر عندما يكون في استطاعتك أن تبحث في الإنترنت؟ إن البحث عن "أعظم التسجيلات في جميع الأوقات" سوف يأخذك إلى استطلاع "قراء رولنج ستون"، والذي ستجد فيه كلاسيكيات مثل الرقيب ببرز، و أوكي كمبيوتر، والجانب المظلم من القمر، وانتبه يا حبيبي، على قمة استطلاعهم كانت أغنية البيتلز "مسدس"، وهي اختيار مألوف، ينعكس على العديد من الاستطلاعات والاستقصاءات الأخرى.

"مسدس" لم يتم تسجيلها في يومين، في الواقع إنها سُجِّلت في ثمانية أسابيع، واعتُبرت، مثل الرقيب ببرز، بواسطة الكثيرين كألبوم تاريخي باختصار بسبب الاستعمال الواسع والمبتكر للتكنولوجيا، والمزج والإنتاج في الإستوديو، أنفق بريان ولسون أربعة شهور في تسجيل خلفيات أصوات الحيوانات، وتسجيل "الجانب المظلم للقمر" حدث بين يونيو ١٩٧٢ ويناير ١٩٧٣ . وأخذ تسجيل "أوكي كمبيوتر" عدة شهور، امتدت طوال عامين، هل ينبغي عليَّ أن أستطرد؟ خطأ جاك وايت إذن واضح وثابت.

حصولك على الحقائق بطريقة خاطئة خطأ أساسي يسجل بالكاد كخطوة جدلية سيئة، إلا أنه ربما يكون واحداً من الأكثر شيوعاً ولا يلتفت إليه بسهولة، قال جوبلز،

"إذا قلت كذبة كبيرة بما فيه الكفاية وواصلت ترديدها فسيصدقها الناس فى نهاية المطاف"، ومن الممكن أن يكون قد قال إنه إذا صرحت بشيء غير صحيح بجسارة وثقة كافية، سيكون الناس على استعداد لتقبل ما تقوله بشكل ملحوظ، هذا، بالمناسبة، يشكل مشكلة كبيرة فى الاعتماد على شهود عيان كثيرين في المحكمة، أظهرت التجارب النفسية أن الشهود المتأكدين للغاية مما يتذكرونه هم الذين يرجح أن يُصدَّقوا، والأقل ترجيحاً فى دقة فى تقريراتهم.

ويبدو أنه ما لم يكن لدينا أسباب محددة للشك في حقيقة ادعاء ما، فنحن نميل إلى افتراض أنه صحيح، وسيكون من الصعب فى الواقع أن نكون متشككين عن أى شيء نسمعه ونحن لا نعرف بالتأكيد أنه حقيقى، "بريء حتى تثبت إدانته" هو المبدأ الذي يسمح لنا أن نستمر فى حياتنا بدون أن نضطر للوقوف والتساؤل.

ومع ذلك، الأكثر عن التأكيد الجسور هو أنه يمكن أن يجعلنا نقبل الأشياء التى يمكن لأوجز تفكير أن يظهر زيفها، يجب أن تفكر فقط للحظة مما يسمى أعظم التسجيلات فى كل الأوقات لتدرك فى الحال أن القليل جداً منها قد تم تسجيله فى يومين فقط، لكن بمواجهة ادعاء مُقَدَّم بثقة، فنحن غالباً لا نفكر، بل نقبل فقط.

ولا ينبغى أن نريح أنفسنا بفكرة أننا سنكون أكثر حذراً عندما يكون الموضوع أكثر خطورة من أعظم ١٠٠ ألبوم، فغالباً نحن نقبل بدون نقد الأشياء التى يقولها الناس، خصوصاً إذا كنا معجبين أو مؤيدين لهم، بدون أساس مثلما نرفض الادعاءات التي يقدمها منتقدوهم.

ونحن عادة نضطر لقبول أشياء كحقيقة ما دامت قد بدت معقولة وليس لدينا سبب محدد للشك فيها، العمل بهذه المبادئ يحدث معظم الوقت ويوفر علينا كثيراً من الوقت والمتاعب، على سبيل المثال، هل عرفت ما إذا كان ادعائى السابق عن مصداقية شهادة شهود العيان صحيحاً أم لا؟ وإذا لم يكن، هل كنت متشككاً فيه، أو راجعته؟

أخذ قدر معين من الثقة أمر لا مفر منه، لكنه يجعل الأمر كله سهلاً للناس، عمداً أو لا، للاستفادة من اتجاهنا في عدم التحقق من التأكيدات البسيطة.

* * *

الباحثون في جامعة كارديف راجعوا حديثًا ٢٠٠٠ قصة صحفية في الجرائد البريطانية الجادة ووجدوا أن ٨٠٪ قامت إجمالاً، أو أساسيًا، أو جزئيا على مواد منقولة خلال طرف ثان، وتم التحقق من الحقائق الأساسية في ١٢ في المائة فقط منها [١٢٧] ، حاول أن تقوم بنسختك، الأقل علمية، من هذه الدراسة، واسأل في كل ادعاء فعلي تسمعه أو تقرأ عنه ما إذا كنت واقعيًا تثق أنه حقيقي، وأراهن أن الإجابة ستكون غالبا لا، وأن هذه المهمة سوف تصبح مجهدة سريعًا.

انظر أيضًا :

١ . شيء لا يصدق .

٢٠ . الفرقة الغنائية التي بدّلت حياتي .

٣١ . أبي يقول .

٤٧ . نفس القصة البالية .

٨٧ - إذا لم يكن الكل سيئًا فيجب أن يكون الكل جيدًا
الدفاع الجزئي لا يعني التأييد

في الجارديان الأسبوع الماضي، أعلن الفيلسوف البارز جوليان باجيني، خلافًا للظاهر، أن الخطط الجديدة لحزب العمل لبطاقات الهوية كانت فكرة يجب أن يتبناها اليسار.

Nick Cohen, Observer(١٢٨)

الخطوات الجدلية السيئة يمكن أن يقوم بها القراء مثلما يفعل الكتاب، عندما يكون هؤلاء القراء كتابًا هم أنفسهم، تكون النتيجة تشويهًا صارخًا لموقف شخص ما، وهو مزعج جدا للطرف الذي تم تصويره بدون دقة.

الآن أصبحت في الطرف المتلقي لهذا النوع من الأشياء مرات عديدة، ويبدو أن نمطا بدأ في التشكل، مرارا وتكرارًا، يأخذ الناس الدفاع الجزئي عن شيء خطأ على أنه دعم كامل له، ويبدو مستحيلاً، فالإشارة إلى أن شيئًا يمكن أن يقال عن س أو ص دون شخص يعرف أفضل تفسير لذلك ، وأنت، توازنا مع ذلك، تظن أن س أو ص شيء جيد.

على سبيل المثال، هاجم شخص ما على مدونة كروكد تمبر المحترمة عمودا في سلسلتي "خطوات سيئة" التي أكتبها للصفحة الإلكترونية "بترفلايز أند ويلز"، قائلا "الحجة بالكامل قُوِضَت بالموقف السياسي السافر للكاتب"، ما استمر فيه بعد ذلك ليقول إنه كان صحيحًا "وفقًا لباجيني" لم يكن بالضبط ما قلته على الإطلاق، ما يبدو

أنه قد حدث هو أنه رأى أني – "في نقطة واحدة محددة"– قد دافعت عن بلير وانتقدت واحداً من معارضيه، ولهذا فقد افترض أني عموماً ساندت بلير: نموذج كلاسيكي في تفسير خاطئ لدفاع جزئي على أنه دعم كامل.

ارتكب نك كوهن نفس الخطأ، في مقال للجارديان، حاولت المجادلة بأن النقاش على بطاقات الهوية الشخصية الإجبارية في المملكة المتحدة سيطرت عليه مخاوف عن قيود على الحرية من "تدخل" الحكومة، وتجاهل النقاش أسئلة عن مدى تورط الحكومة في حياتنا اليومية وأثره في حريتنا في العمل.

بغض النظر عن كون حجتي جيدة أو لا، فقد توقفت على مسافة قصيرة من التوصية ببطاقات الهوية الشخصية، قائلاً إني أظن أن هذا الإجراء "لن يجني فوائد كافية من حيث زيادة حريتنا الإيجابية ليسير عملنا بسلام"، واصفًا الخطة بأنها "نصف ناضجة"، لكن يبدو أن هذا لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية، الدفاع الجزئي عن وزير الداخلية ديفيد بلانكت ورؤية بعض المزايا في خلفية حججه سرعان ما اختلط بكوني مؤيداً له ولإجراءاته.

ربما كان كوهن يحاول إلحاق الأذى عمداً، على العموم، كان وصفه لي على أني "فيلسوف بارز" مزحة من المفارقات، (وهو قد استخدم هذا التعبير سابقًا في تراشق ديمقراطي مفتوح، وعندما راجعته، قدم "اعتذاراً بلا تحفظ" قائلاً "أنا أسحب هذه الإهانة في الحال وأعد بعدم تكرارها أبدا").

وأظن أن الناس يخلطون الدفاع الجزئي بالدعم الكامل بسهولة بسبب الرغبة في تقسيم العالم إلى معسكرين متعارضين بوضوح – "نحن" و "هم"– إذا كان توجهك للتفكير في هذا الاتجاه، يمكن أن تبدو الدفاعات الجزئية مثل علامات ولافتات لما يعتقده شخص في الواقع، في هذا العالم الثنائي، عندما اعترف بلير أن بلانكت على حق، إذن فهذه علامة على أني مؤيد سلطوي لبلير، ربما أنا كذلك! لكن الدفاع الجزئي

الذي وصفته لا يظهر شيئا كهذا، لأني قد دافعت جزئيًا أيضًا عن المعارضين السياسيين لهؤلاء الناس ولا يمكن أن أكون مؤيدا لكل الناس.

هناك بعض مناطق الجدل حيث القفز إلى الاستقطاب يبدو سهلا، أليس الأمر، في الولايات المتحدة، أن الشخص الذي يعبر عن مساندته لحق الفلسطينيين في تقرير المصير يدمغ غالبًا كمضاد للسامية؟ من جهة أخرى، في المملكة المتحدة، فإن الدفاع عن بعض نواحي السياسة الإسرائيلية يصنفك كصهيوني جديد.

هذا النوع من الخطأ واسع الانتشار، ومثل محاولة تصحيح الآخرين، يجب أن نسأل أنفسنا إلى أي مدى نحن نقفز لاستنتاجات عما يقوله الدعم الجزئي الذي يقدمه آخرون عن معتقداتهم الأوسع بالفعل.

* * *

يبدو أن معظمنا يجد من الصعب رؤية أي مزايا في وجهات نظر الناس الذين نختلف معهم عمومًا، لذا حاول مرة بعد الأخرى أن ترى المزايا الحقيقية التي يمكن أن تقال لصالح وجهة نظر ترفضها بقوة، ومثلما تجد هذا صعبًا، فقد تشعر أيضًا مقاومة داخلية لهذه التجربة في التعاطف الفكري.

انظر أيضًا :

١٧ . إذا لم تقتله لا تأكله .

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئًا لك؟

٤٠ . يجب أن تحب جورج، وتكره الإرهابيين .

٤٩ . هنا تكمن الكارثة .

٨٨ – إذا كان قديمًا فهو جيد
مغالطة الحكمة القديمة

إذا لم نتحرك، إذا أصبحنا صامتين، ستكون الحكومات حرة في استبدال أكاذيب سامة بتعاليم كل العصور، الأدوية الطبيعية الخالدة، الأغذية والأعشاب التي طوّرناها، وانتخبت منذ آلاف السنين من الحكمة المتراكمة، سوف تُجرف بعيدًا، وتُسحق تحت ثقل قصر نظر جشع الشركات.

Dame Judi Dench, actor[١٢٩]

إذا لم ترغب في أن تسحق تحت عجلات صناعة الأدوية، فإليك ما قالت ديم جودي إنك يجب أن تقوم به: عارض الكود الغذائي الأساسي، وهو مجموعة قوانين السلامة الغذائية العالمية التي تستعملها منظمة التجارة العالمية لتسوية المنازعات التجارية، هذا الكود تم استعماله للتحكم في مبيعات المكملات الغذائية والعقاقير العشبية، وهذا، كما يبدو، شيء سيئ؛ لأنه يحد من "حريتنا الصحية" ويتركنا معتمدين على الأدوية الحديثة الخطيرة.

عندما نقرر ما إذا كنا سنصغي أم لا لنداء ديم جودي للبلاسم، هناك شيء واحد لا ينبغي أن يقوم به إنسان عاقل: أن تقع فريسة لأسطورة أن عمر الممارسة أو العلاج يكون بأي طريقة مؤشرًا على فاعليته.

دينيش تحتكم لعمر العلاجات كما لو كان نوعًا من التوصيات، فهي تتكلم عن "تعاليم كل العصور"، و"الأدوية الطبيعية الخالدة" و"آلاف السنين من الحكمة المتراكمة"،

ومن المفارقة، على الرغم من ذلك، أن أهم الأشياء التي يريد معارضو الكود أن يحموها هي حبوب الفيتامينات، وهي من اختراعات القرن العشرين.

وقد يكون كافيًا مجرد الإشارة إلى أنه "إذا كان قد استعمل لقرون، لذا فمن المحتم أنه جيد" هو مجرد استنباط غير متفق مع المقدمات، إذا كان لهذا أي معنى، فإن قدَم عمر العلاج هو سبب للشك فيه، حيث إنه منذ قرون مضت كان هناك قليل من الفهم لكيفية عمل الجسم البشري، وكان الناس يموتون بانتظام من أمراض نراها الآن بسيطة، وسيكون من غير المعقول إذا كانت مثل هذه الثقافات غير المتطورة بيولوجيا وطبيًا مصدر العديد من العلاجات الفعالة.

في الواقع، حبنا للعلاجات القديمة اختياري للغاية، الحجامة ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد وغالبا تعود أصولها لأبقراط، وتقوم على المبدأ غير المحقق أن الجسم البشري يحتاج إلى الحفاظ على التوازن بين عناصره الأربعة: الدم، والبلغم، والعصارة الصفراء، والعصارة السوداء، ومثل كثير من الممارسات الطبية المروعة للقدماء، فقد تم بحق إغفالها تاريخيًا (حتى، فرضت، بواسطة جودي دنش)، لكن ليس قبل تطبيقها الخاطئ الذي قتل جورج واشنطن، بين آخرين.

إذن ما الذي يجعل الحكمة القديمة بهذه الجاذبية؟ عندما يأتي الأمر للممارسات الشرقية، أحد الأسباب هو بالتأكيد الجو الأسطوري عن الشرق المنتشر في المجتمع الغربي، أماكن مثل : الصين والتبت والهند ينظر إليها على أنها "روحانية" للغاية، كما لو كان الناس هناك ليسوا من لحم ودم مثل: الأمريكيين، والفرنسيين، والبريطانيين.

وسبب آخر يبدو واعدًا أكثر هو أن هذه العلاجات "جُربت واختُبرت"، ومن المقبول حدسيا أنه إذا استمر شيء لعدة قرون، فيجب أن يكون فيه شيء، لكن بهذا المنطق، يجب أن يكون هناك شيء في العبودية وعدم المساواة للمرأة.

بالطبع، من الغلطة أن نذهب للجانب الآخر بالكامل ونصمم أن الحكمة القديمة غير صحيحة وأن العصري فقط هو الذي له قيمة، فكثير من الأعشاب قد وُجدت له صفات علاجية، على الرغم من وجود بعض الأدوية العصرية الأكثر تأثيرا، والمفتاح،

مع ذلك، هو أن فاعليتها ثبتت لأنها اختبرت بصورة سليمة، وليس لأنها قديمة وبذلك تكون بطريقة ما قد جُربت واختُبرت بواسطة التاريخ.

* * *

لكي تفرق بين الحكمة القديمة والتخاريف التي عفى عليها الزمن، فلن تستطيع أن تكون متحاملاً في أي من الاتجاهين، الأفكار القديمة يمكن أن تقاوم لأسباب طيبة وسيئة، لماذا تدوم مؤسسة الزواج هكذا؟ لماذا تجد النساء صعوبة في الارتقاء لقمة وظائفهن؟ لماذا لم يمت الإله، كما أصر كثير من الإنسانيين العلمانيين على حتميته؟ لماذا يستمر الناس في تناول اللحم؟ هل استمرار كل الزيجات وعدم المساواة بين الجنسين والإيمان بالله وتناول اللحم هو انعكاس للحكمة القديمة التي جعلت كل ذلك جزءاً من مجتمعاتنا لقرون، أم هل يجب إلقاؤها في مزبلة التاريخ، مثل الحجامة وصيد الساحرات والنظام الإقطاعي؟

انظر أيضاً :

٢٨ . اللبن للأبقار .

٣٦ . الاغتصاب والتطور البشري .

٤٧ . نفس القصة البالية .

٧٨ . طبيعي فقط .

٨٩ - ميثاق مسترق النظر
البريء ليس لديه شيء يخافه

إذا تعرضت حكومة لإهانة في هذا، فإن تلك الحكومة تكون مهانة بأفعال مواطنيها، إذا كانوا مكروهين.

Lynne Weil, US State Department communications director(١٣٠)

قرر الكونجرس منزعجًا بالزيادة الظاهرة في معاداة السامية، وخصوصا في أوروبا في الولايات المتحدة في ٢٠٠٣ أن الموقف يحتاج للمراقبة، وأمر وزارة الخارجية أن "تبدأ بتصنيف الحكومات في كل العالم بخصوص تعاملها مع المواطنين اليهود".

ومع ذلك، اعترض عديد من البلاد على هذا، لكن مديرة الاتصالات في وزارة الخارجية لين ويل جادلت فى أنه لا توجد أي أسباب منطقية لأي حكومة للاعتراض على مثل هذا التقرير، في الجوهر، كانت حجتها أنه إذا لم يكن للدولة أي مشكلة محددة مع معاداة السامية، إذن فلا يوجد شيء في التقارير يكون مرفوضًا منها، لكن إن كان لديها مشكلة، عندئذ يجب أن تهتم ليس فقط بالتقرير، بل بالمشكلة في حد ذاتها، إن الأمم المعادية للسامية فقط هى التى يوجد لديها أي شيء؛ لكي تقلق بشأنه بحق.

هذه نسخة للحجة الشهيرة "البرىء ليس لديه شيء يخافه"، وهي ما تدور عندما ترغب السلطات في تطبيق تدابير جديدة تزيد الرقابة أو تحد من الحريات باسم تشديد الأمن، على سبيل المثال، يطلب شخص أن يفتش حقيبتك فترفض هذا التدخل في خصوصياتك، لكنه يخبرك أنك إذا كنت بريئًا، فليس لك الحق في الاعتراض، وبعد كل ذلك، ما الذي ترغب في إخفائه؟

الحجة نوع معين من ثنائية زائفة، فأنت تقابل باختيار بسيط إما/أو، إما أنك مذنب، وبذا يجب أن ينكشف أمرك، وإما أنك بريء، في هذه الحالة لن ينكشف شيء، وهكذا فلا يوجد ما تنزعج من أجله، وفي أي حال، ليس لديك سبب شرعي لكي تنزعج، ومثل كل الثنائيات الزائفة، فالمعضلة هي أن هناك على الأقل خياراً واحداً أكثر من الاثنين المقدمين في خيار إما/أو.

في حالة حجة "البريء ليس لديه شيء يخافه"، الهجوم المضاد الشرعي عادة هو أن اعتراضاتنا ليس لها دخل بذنبنا أو براءتنا لكن بحقنا في الخصوصية، انظر، على سبيل المثال، إن ما لدينا في غرف النوم قد يكون شيئًا لا نخجل منه، لكن معظمنا يظل غير راغب في أن يقف الآخرون فيها ويتطلعون، مسترقو النظر المحتملون لن تكون حجتهم قوية إذا قالوا ببساطة "لماذا لا تدعنا نتطلع؟ هل أنت تفعل شيئًا يجب ألا تفعله؟" لهذا فإن "البريء ليس لديه شيء يخافه" عادة تكون نموذجا للهراء: حقيقة أننا لا نفعل شيئًا خطأ هي بجانب هذه النقطة.

حجة لين ويل هراء لسبب مختلف قليلاً، لم يكن انتهاك الخصوصية هو ما اعترضت عليه الحكومات الأجنبية، ولكن ما اعتبروه تركيزا محدداً على معاداة السامية خلافا لغيرها من أشكال التمييز، دبلوماسيو وزارة الخارجية حذروا من أن هذه التدابير قد تعرِّض حكومة الولايات المتحدة لاتهامات المحاباة: التركيز على معاداة السامية أكثر من أي شيء آخر، ربما الأشكال الأخرى الأكثر انتشاراً من التمييز والقمع، كون هذه حجة جيدة أم لا هو بالطبع موضوع آخر، ومع ذلك، حيث كان هذا الأساس الرسمي للاهتمام، فإن رد فعل لين ويل يخطئ الموضوع بوضوح، ما يخيف البريء لم يظهر، لكن العيش في ظل نظام مقتحم أو غير عادل.

"البريء ليس لديه شيء يخافه" يمكن أن تكون وجهة نظر شرعية إذا كان ما تعنيه فعلا هو أن "المخاوف التي عبر عنها البريء هي على غير أساس."، الفرق خفي

لكنه مهم، على سبيل المثال، في المملكة المتحدة كان هناك جدل يدور لمدة طويلة عن إدخال بطاقات الهوية الشخصية، بعض الاعتراضات على هذا تدور حول قلق الناس حول معلوماتهم التي ستستخدم، إذا كان هذا القلق بدون أساس، فإن البريء ليس لديه شيء يخافه، وتفسير ذلك سيكون وثيق الصلة بالموضوع.

* * *

قد تكون قلقًا أن موقعًا اجتماعيًا شبكيًا على الإنترنت قد يشارك معلوماتك مع آخرين، وأن القوانين التي تسمح باعتقال مشتبه فيهم بالإرهاب بدون اتهام سوف تعطي الشرطة سلطة كبيرة للغاية، وأن كاميرات السرعة ستتبع تحركاتك بفاعلية حول القطر، في بعض هذه الحالات، قد يكون صحيحًا أن البريء ليس لديه شيء يخافه وبهذا لن يصيبه شيءٌ سيئ كنتيجة، لكن هل يعني هذا أن مخاوف البريء بدون أساس ويمكن أن يصرف النظر عنها؟

انظر أيضًا :

٣٠ . عزيزي القارئ الحكيم .

٤٠ . يجب أن تحب جورج، وتكره الإرهابيين .

٦٨ . الكلب والبراغيث .

٨٠ . توازن المراوغة .

٩٠ - كيف يمكن أن أصدقك مرة أخرى؟
حجج من القابلية للخطأ

لماذا يجب أن يصدق أي شخص كلمة أخرى يقولها السياسيون أو علماء الحكومة؟ بعد كل ما حدث، هل يمكن أن يكون هناك أي قدر من الثقة في التأكيدات الرسمية عن السلامة المفترضة للأغذية المعدلة وراثيا؟

Daily Mail[١٣١]

في ديسمبر ٢٠٠٧ أصدرت الديلي ميل اعتذاراً و دفعت تعويضات لم يكشف عنها بعد تقرير خاطئ أن رجلين قد أدارا أعمالاً احتيالية وغير شريفة، في أغسطس من نفس العام، دفعت أكثر من ٤٥,٠٠٠ جنيهًا استرلينيًا في مصاريف قانونية وأصدرت اعتذاراً لضابط شرطة من السيخ اتهمته زوراً بالعنصرية، في يونيو اعتذرت لرجل اتهمته زوراً بأنه كان العقل الإجرامي المدبر خلف سرقة ٥٣ مليون جنيه إسترليني، ومرة أخرى دفعت تعويضات، في نفس الشهر دفعت ٥٠٠٠ جنيه إسترليني تعويضًا عن التشهير بعضو البرلمان عن حزب العمال اتهمته زوراً بإطلاق وابل من الكلمات البذيئة ضد رجل أمن. [١٣٢] والأسوأ من كل هذا، أنها ذات مرة منحت واحداً من كتبي عرضًا جيداً، ويمكنني أن أسترسل، لذا فإني أسألك: لماذا يجب أن يصدق أي شخص كلمة أخرى للديلي ميل أو ميل أون صنداي؟

هناك أسباب جيدة لتقبل ما تقوله صحف الميل مع قليل من الملح، لكن حقيقة أنهم ارتكبوا أخطاء في الماضي ليست سببًا كافيًا لفقد كل الثقة فيهم بالكامل، تنشر

الصحف عشرات القصص كل يوم، وكلها يكتبها صحفيون مشغولون وقابلون للخطأ، الأخطاء سترتكب، وهذا سبب جيد لعدم افتراض أن كل شيء تقرؤه حقيقي، لكنه سبب غير كاف لتبني سياسة للسخرية الشاملة.

مع ذلك، فصحيفة الميل أشد على غيرها مما هي على نفسها، بعد طباعة تقرير فيليبس عن تعامل الحكومة البريطانية مع أزمة مرض جنون البقر في ٢٠٠٠، جادلت، في الافتتاحية التي اقتبست عاليه، أن الأخطاء التي وضحها فيليبس جعلت من الصعب الوثوق بالحكومة أو العلماء مطلقًا مرة أخرى.

في الواقع، تقرير فيليبس وجه اللوم أساسًا للتأخيرات البيروقراطية والتعامل السياسي مما أدى للفشل في إيقاف انتشار المرض، وليس العلماء، العلم خلف السياسة في مرض جنون البقر كان بطبيعته غير حاسم، لكن الأمر يرجع للسياسيين والعاملين المدنيين للقيام بتقييم المخاطر القائمة على أدلة.

مع ذلك، يبدو أن هناك كثيراً من الأمثلة الأخرى للعلم عندما يذهب في اتجاه خاطئ أو يترك الناس مرتبكين: التأثيرات الجانبية الكارثية للعقاقير مثل الثالوميد، والتقارير المتضاربة عما هو صحي للأكل، واستعمال أدلة الحمض النووي لإدانة الناس خطأ بجرائم لم يرتكبوها، والتقنيات مثل كلوروفلوروكربون في الثلاجات، والرصاص في البترول الذي ثبت أنه مدمر.

لكن على الرغم من أن الفشل في التعلم من الأخطاء قد يكون زلة علمية، فإن ارتكابها بالدرجة الأولى ليس كذلك، العلم يتقدم بالمحاولة والخطأ، ويتم الوصول ببطء للدليل لأي استنتاج، وتجربة واحدة لا تستطيع، في حد ذاتها، أن تثبت أن النبيذ جيد لقلبك، أو أن التدخين يقتلك، التقارير العلمية لا تميل إلى التأكيد على هذا، والإعلام يحب أن يقدم آخر الدراسات كما لو أنها أكثر تأكيداً مما هي عليه، ولسوء الحظ، في سبيل البحث عن الانتشار والتمويل، فإن كثيراً من العلماء الآن يلعبون لعبة الإعلام؛

لذا عندما يتبين أن اكتشاف ما هو زائف، أو يتعارض مع اكتشافات أخرى، فإن عديداً من أفراد الجمهور يعتقدون أن العلم مرتبك في حد ذاته.

لذا فعندما يستقر المجتمع العلمي على نطاق واسع، يكون في معظم الأحيان على حق، ويمكن أن تكون الفوائد لبقيتنا هائلة، أحيانًا تكون العقاقير غير مأمونة، لكن أمام كل شخص عانى بسبب تأثيرات جانبية غير مرئية، هناك ملايين من الناس استمروا على قيد الحياة وبصحة جيدة بالأدوية التي طورها الرجال والنساء ذوو المعاطف البيضاء.

إذا كانت الثقة تعني الإيمان الأعمى، إذن بالطبع ينبغي ألا نثق في هؤلاء الذين أظهروا أنفسهم قابلين للخطأ، سواء كانوا من الإعلام أو المجتمع العلمي، لكن شكوكنا يجب أن تكون نسبية، العديد من الناس يشيرون لهفوات الماضي كسبب واقعي للتقليل مما يقوله العلم أو الصحافة.

ما هو إذن المستوى الصحيح للشك؟ هذا يعتمد جداً على الظروف، بدون ثقة، فإن المجتمع لن يعمل، لكن أعط الكثير من الثقة بسهولة شديدة وكن على يقين أنك ستُخذل.

* * *

قال ديكارت إنه "كان من الحصافة ألا تثق أبداً بالكامل في هؤلاء الذين خدعوك ولو لمرة واحدة". (١٣٣) حتى إذا كانوا على حق، ما حجم الثقة الجزئية التي يمكن أن نضعها في هؤلاء الذين لا يمكن الاعتماد عليهم بنسبة مئة في المائة؟ هل تثق مطلقا في شريك حياتك مرة أخرى إذا اكتشفت أنه على علاقة غرامية على مدى طويل؟ هل بعض الخبراء، مثل الاقتصاديين، يعتمد عليهم بأقل من آخرين، مثل البيولوجيين؟ أليس من المعقول أن نطلب معرفة عدد الناس الذين يموتون تحت مبضع الجراح قبل أن نطلقه في جسدنا؟

انظر أيضاً :

١٥ . من يعلم؟

٤٥ . درس الماضي .

٥٣ . آمنة تماماً .

٦٢ . من قال إن التدخين قاتل؟

٩١ . هذا ما لم أقله
حَرفية مفرطة

لم يقل أحمدي نجاد إنه سوف يمحو إسرائيل من الخريطة لأن مثل هذا التعبير لا يوجد في الفارسية.

Juan Cole, professor of history at the University of Michigan[١٣٤]

في أكتوبر ٢٠٠٥، ألقى الرئيس محمود أحمدي نجاد واحدا من أكثر خطاباته سيئة السمعة في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، في مؤتمر في طهران باسم "العالم بدون صهيونية" قال، "إسرائيل يجب أن تمحى من الخريطة"، واعتُبر الكلام مؤشرا على رغبة خطيرة في الحرب من جانب الحكومة الإيرانية وتهديدا من جانبها للاستقرار الإقليمي.

لكن هل كان ذلك هو ما قاله أحمدي نجاد في الحقيقة؟ صمم بعض خبراء الفارسية أن ترجمة أكثر دقة ستكون، "النظام الذي يحتل القدس يجب أن يختفي من صفحة الوقت." ، ويقولون، والأكثر أن هذه الملاحظة يجب أن ينظر إليها على أنها نبوءة، وليست تهديدا، حيث إن الملاحظة كانت إشارة لتعبير استعمل بواسطة آية الله الخميني، الذي رأى الإطاحة بنظام إسرائيل الحالي كأمر محتوم في النهاية مثل الإطاحة قبلا بنظام حكم الشاه في إيران، ترجمة "تمحى من الخريطة"، كما قيل، كانت زائفة، واستعملت لتبرير الصقور الأمريكيين الذين أرادوا اتخاذ إجراءات صارمة ضد إيران.

إذا كان هذا حقيقة، مع ذلك، فلماذا تشير كل الترجمات الرسمية لتصريح أحمدي نجاد، بما فيها مراجع على صفحته الإلكترونية، إلى إزالة آثار إسرائيل؟ استشهدت النيويورك تايمز باثنين من الإيرانيين اللذين يتحدثان الإنجليزية والفارسية وصمما أن "محو" أو "إزالة آثار" هي أكثر دقة من "تختفي" لأن "الفعل الفارسي مبني للمعلوم ومتعد".

هل تشوشت؟ يجب أن يحدث هذا، فهذا الجدل مثال حي على أن التفكير السليم لا يتحقق فقط بالمنطق والحذلقة اللغوية، أحد أكبر مساهمات الفلسفة الأوربية خلال القرن الماضي هو البصيرة النافذة في أن فهم الحقيقة يتطلب انتباها للواقعية الاجتماعية للتصريحات، وليس فقط معانيها الحرفية.

وكمواطن مطلع، كيف تفهم ما أظهره خطاب أحمدي نجاد في الواقع؟ إن انتباها وثيقا لكلماته المحددة قد يساعد، لكن الترجمات الدقيقة فقط ليست كافية، أبرز الحقائق عن هذا الخطاب، كما أراها، هي الآتي، أولاً، أن أحمدي نجاد ألقى الخطاب أمام جمهور معاد لإسرائيل بصورة ضارية، وكانوا مستعدين لتلقي أي رسالة تدعم مقاومتهم لشرعية إسرائيل، ثانياً، استشهد نجاد بالخوميني، الذي طالب نظامه مرارا بتدمير إسرائيل، ثالثا، تم إلقاء الخطاب أثناء الوقت الذي كان فيه الكثيرون في واشنطن يطالبون بإجراءات ضد العراق، لذا فإن كثيرين في أمريكا كانوا مستعدين أن يعطوا أحمدي نجاد كلمات سلبية بقدر الإمكان، والحقيقة الرابعة فقط هي التي تتعلق بكلماته بالضبط وهي مهما حاولت أن تفسرها، لم تحتو على أي تهديد مباشر بإجراء إيراني ضد إسرائيل ولكن أعطت دعما واضحا لأعداء إسرائيل، وكثير منهم يستعملون العنف وبعض منهم تمولهم إيران.

الذي تجمع عليه هذه الحقائق هو أن أحمدي نجاد كان بعيدا عن الملاحظة البريئة بالنسبة للنهاية الحتمية لكل الحكومات، لكن قوة ردود الفعل لهذه الملاحظة لا يمكن تفسيرها بطبيعة كلماته وحدها، كثير من الناس كانوا يتطلعون لدليل على وجهة نظره

المتطرفة بالنسبة لإسرائيل، وبدا أحمدي نجاد سعيدا للغاية بأن يعطي هؤلاء الناس ما تطلعوا اليه، وهي حقيقة مثيرة فى حد ذاتها، (يجب أن أضيف أن بروفيسور كول كان منغرسا في جدل عام عن الترجمة ضد رغبته، ولم يوجد شيء مما قاله يوحي لي أنه يعتقد أن الحصول على ترجمة صحيحة تماما يوضح كل الأشياء.) .

خطاب أحمدي نجاد سبَّب توبيخا دوليا كبيرا، لكن في كثير من الجوانب الصغيرة، يلجأ الناس غالبا إلى دفاع "لم أقل هذا" عندما لا يتعلق الأمر بكلماتهم بالضبط ولكن بطريقة وسياق ما نطقوا به، وإليك مثالاً حيًا، إذا أنا قلت إن فريد رجل لطيف وتذمرت أنت في سخرية، فأنت لم تقل أي شيء على الإطلاق، لكن سيكون مثيرا للسخرية إذا ادعيت "أنا لم أقل مطلقا إن فريد ليس لطيفا" التواصل ليس فقط بالكلمات الصريحة.

* * *

الكلمات تتطلب أكثر من فهم حروفها، لكن هناك خطراً من القراءة الكثيرة لما يقوله الناس، هل يكون الشخص بالفعل متعصباً جنسيا إذا استعمل فقط ضمائر المذكر للإشارة إلى الناس الذين قد يكونون ذكورا أو إناثا؟ متى يكون رفض التعليق علامة على الذنب وليس تعبيرا عن رغبة شرعية في الحفاظ على الخصوصية؟ هل مخاطر التفسير الزائد عن الحد أكبر من تقبل ما يقوله الناس حسب قيمته الظاهرية؟

انظر أيضًا :

٣ . قرود مستكينة تأكل الجبن .

٨ . لا تقلل من شأني .

٥١ . ثغرات قانونية .

٧٠ . لا شيء سوى الحق .

٩٢ - آلة الطيران المستحيلة

ليس حقيقيا ما لم يفسر منطقيا

إذا درست الطب والصيدلة، فأنت تعلم أن الهوميوباثي لا يمكن أن يعمل.

Edzard Ernst, professor of complementary medicine[١٣٥]

في ١٨٩٣، أعلن رئيس الجمعية الملكية في إنجلترا أن "طيران الآلات الأثقل من الهواء مستحيل."، كان لورد كلفن واحدا من أعظم العلماء في عصره، أو أي عصر آخر، فقد طور قياس الحرارة المطلقة وكان العقل المفكر خلف أول كابل للتلغراف عابر للأطلنطي، مع ذلك، الرواد الذين لا يهابون شيئًا، لا يشكلون شيئا إن لم يتصفوا بالجرأة، وعلى الرغم من أنه كان محقا لدرجة كبيرة، فإنه أحيانا كان خطؤه مذهلا.

ملاحظة كلفن الشهيرة عن الطيران يستخدمها غالبا من يريد أن يدّعي، بتفاؤل، أن لا شيء مستحيل، لكن يجب أن يكون واضحا أن حقيقة أن بعض الأشياء التي أعتُقد باستحالتها ثم ثبت أنها غير مستحيلة لا تبرهن على إمكاننا القيام بالفعل بأي شيء.

هناك درس أفضل يمكن تعلمه من خطأ كلفن بمساعدة تخمين صغير عن كيفية توصله إلى استنتاجه: ببساطة لم يكن لديه طريقة لحساب كيف يمكن لآلة طائرة أثقل من الهواء أن تعمل، ولعدم قدرته على رؤية كيف يمكنها الطيران، فقد توصل لاستنتاج أنها لا يمكنها ذلك، حقيقة أن الطيور أثقل من الهواء كان من المفترض أن تكون دليلا أن هذا الخط من المنطق كان مشكوكا به، لكن الأشياء تبدو واضحة غالبا فقط عند استعادة الأحداث.

إذا كان هذا على نطاق واسع هو السبب في خطأ كيلفن، فيجب أن ينبهنا إلى حقيقة أن نقص التفسير المعقول لشيء ما ليس سببا كافيا في حد ذاته للإصرار على أنه مستحيل الحدوث، العلم الحالي دائما غير كامل، وإذا كان لنا أن نتصور المستحيل في إطار العلم المفهوم حاليا فحسب، سيكون علينا أن نستبعد بعض الأشياء التي سيثبت أنها ممكنة بعد كل شيء.

هذا هو السبب أني لم أكن معجبا بالحجة التي تستخدم مرارا ضد الهوميوباثي، والتي كررها إزارد إرنست، أنه لا يمكن أن يكون فعالا، السبب الذي أعطاه هو أن المكونات الفعالة في أدوية الهوميوباثي مخففة للغاية حتى أنه لم يبق منها شيء ليكون له أي تأثير، سواء جيد أو سيئ، في علاجات كثيرة، لا يوجد جزيء من المادة الصلبة متبق على الإطلاق، و"الدواء" الناتج كيمائيا هو مجرد ماء.

ربما يشرح هذا لماذا لا يعمل الهوميوباثي، ودعني أكن واضحا هنا، ليس هناك دليل علمي موثق أنه فعال، ومع ذلك، فإن أمر عدم الفاعلية لا ينبغي أن يبدأ من افتراض ما هو ممكن وما هو مستحيل، بالأحرى، يجب الحكم على الهوميوباثي من أدائه، القضية ضده يجب أن تقوم على غياب النتائج، بعد إثبات أنه غير فعال، يكون إذن معقولا تماما أن نشرح فشله من حيث التخفيفات، لكن تفسير عدم قدرته على الفعالية ليس نفس الشيء كحكم مسبق أنه لن يستطيع.

هذا مهم، لأني أعتقد أنه ممكن بالكامل أن نأتي إلى بعض الممارسات الطبية التي تظهر الدراسات أنها فعالة حتى على الرغم من أننا لا نستطيع أن نرى لماذا هي كذلك، والأكثر، أن الناس الذين يقدمون هذه العلاجات قد يعطون تفسيرات غير علمية، لكن إذا كانت فعالة، فهي فعالة، والتحدي يكون عندئذ في العثور على كيفية عملها.

في حالة الهوميوباثي، الحجة ضارة بصفة خاصة لأنها تنتقص بغير ضرورة مما يجب أن يسوى الأمر، عندما يقول الناس إنه لا يمكن أن يكون فعالا، يثرثر ممارسو الهوميوباثي عن "ذاكرة الماء" وعُرف عنهم أنهم يستحضرون نظرية الكم كنوع من التفسير المحتمل لهذا، وهذا يجعل الأمر يبدو مثل تقنية عالية وحديثة، وبديل جذاب للرزانة المحافظة للطب التقليدي، لكن هذا كله لا يصيب قلب الموضوع: فعدد لا نهائي

من التجارب العلمية يظهر أنه غير ذي فاعلية، لذا فإن المناقشات النظرية عن طريقة عمله موضع جدال.

هذا لا يعني مع ذلك أن فهمنا العلمي للمستحيل ليس له أي دور على الإطلاق في تقييمنا للأدلة، الادعاءات غير العادية تتطلب أدلة غير عادية، إذا كان شيء ما متعارضًا مع كل شيء نعرفه عن العلم، فإن درجة مرتفعة من الشك تكون مبررة تماما، التحدي هو أن يكون لدينا عقل غير مغلق وقابل للتغيير، وليس منفتحًا تمامًا حتى ينتهي به الحال إلى الامتلاء بكل فكرة مجنونة للغاية، التعلق بهذا التوازن المحدد ليس هينا.

* * *

ينبغي أن يكون هناك اسم للأشياء التي لا يكون لدينا سبب للاعتقاد في فاعليتها، لكنها تعمل، واقترح اسم "ديوداتا" (ومفردها ديوداتم) وأسميتها كذلك على اسم أومر ديوداتو لتوزيعه لموسيقى شتراوس بموسيقى الجاز، لكن هل من الممكن أن يكون هناك كلمات أكثر جدية أيضًا؟ بلاسيبو منافس واضح، يقبل الطب التقليدي تأثير البلاسيبو، لكن لا أحد يعرف بالضبط كيف يعمل، هل يمكن أن تكون تدخلات طبية أخرى هي ديوداتا أيضًا؟ هل هناك أي بدائل تبدو غير معقولة أو ممارسات عصرية فعالة، على عكس المنطق؟

انظر أيضًا :

٣٦ . الاغتصاب والتطور البشري .

٥٤ . الأسلحة الخفية .

٧١ . ما لم يعرفه شرلوك .

٧٩ . الحقيقة النكراء .

٩٣ - كن شاكرا لأصحاب الأعمال السيئين
"أفضل من لا شيء"

على الرغم من أن الظروف في كثير من المتاجر المستغلة للعمال، بائسة بوضوح، فإن الناس يختارون أن يعملوا في هذه المتاجر بإرادتهم الحرة، ويشير الخبراء إلى أن وظيفة مزرية أفضل من لا شيء على الإطلاق.

National Center for Policy Analysis[١٣٦]

المتاجر المستغلة للعمال يمكنها أن تجعلنا نشعر بعدم الارتياح من ملابسنا التي نرتديها، فنحن نعلم أن الظروف في مصانعها، عادة ما تتمركز في العالم النامي، رهيبة، ونحن نعلم أن عمالها غالبا لديهم القليل من أي حقوق، ويتسلمون مرتبات بائسة ويعملون في بيئة خطرة.

مع ذلك، قد يكون مغويا للغاية أن يأتي شخص ما بحجة تخبرنا أننا يجب ألا نشعر بالانزعاج بعد كل هذا، ويكون من الأفضل إذا أخبرتنا هذه الحجة ببعض الأمور الصحيحة.

تأتي الحجة كمجاملة من المركز الوطني لتحليل السياسات، الذي يستهدف "تطوير وتنمية البدائل الخاصة للتدابير والسيطرة الحكومية، وحل المشاكل بالاعتماد على القوة التنافسية وتنظيم المشاريع التي للقطاع الخاص"، هؤلاء الذين لم ينجذبوا ناحية الليبرالية الجديدة في السوق الحرة المألوفة قد يشعرون بالشك في ما يمكن أن تقوله مثل هذه المؤسسة، لكن حجة هذا المركز تحتاج إلى الحكم عليها من مزاياها، وليس من منشئها.

لذا لننحِ جانبا للحظة واحدة الحجة القائلة إن العاملين في المتاجر المستغلة هذه اختاروا أن يعملوا هناك بمطلق الحرية (وهو ما ناقشته في رقم ٦٤)، ركز بدلا من ذلك في الموضوع الأساسي، وهو أن هذه "الوظيفة المزرية أفضل من لا شيء على الإطلاق"، إذا لم نشتر بضائع تأتي من متاجر مستغلة، سيقال إن العاملين الذين نهتم بشأنهم سيكونون في أسوأ حال.

الحجة لها أصول جيدة، وتم الاستشهاد بها كثيرا في مقال صحيفة وول ستريت للكاتبة لوسي مارتينيز مونت بعنوان "متاجر مستغلة للعمال أفضل من لا متاجر"(١٣٧) وفيه كتبت، "حظر الاستيراد للبضاعة التي يصنعها أطفال سوف تقضي على الوظائف، وترفع تكلفة العمالة، وتحول المصانع بعيدا عن البلدان الفقيرة، وتزيد الديون، الدول الغنية ستخرِّب دول العالم الثالث وتحرم الأطفال من أي أمل في مستقبل أفضل".

ما قالته مارتنيز مونت صحيح، والسؤال هو : ما الذي يُستنتج من هذا؟ الذي لا يُستنتج بوضوح هو أننا نستطيع أن نستمر في شراء البضائع التي ينتجها أطفال مع الإفلات من العقاب، حيث إن كثيراً من (ولكن ليس كل) أنصار الحجة سيجعلونك تصدق.

والسبب في هذا هو أن الاختيار ليس بين الوضع الراهن وحظر مثل هذه الاستيرادات، هذا شيء يعرفه جيداً كل ناشطي التجارة العادلة، على سبيل المثال، نصحت شبكة التضامن مع ماكيلا، "لا تشجع مقاطعة كاملة لكل البضائع التي تنتجها عمالة الأطفال"، بالتحديد على أساس أن سحب بضاعة ببساطة وعدم ترك شيء مكانها ضار لمن يريدون مساعدتهم، الكود الأساسي لمبادرة التجارة الأخلاقية يحظر "التوظيف الجديد في عمل الأطفال" ويصمم أن "الشركات الأعضاء يجب أن تطور وتشارك وتساهم في السياسات والبرامج التي تؤدي لانتقال أي طفل يتم اكتشاف أنه يقوم بعمالة الأطفال لتمكينه من الحضور والاستمرار في تعليم جيد حتى يخرج عن طور الطفولة".

الموضـوع بسيط، ظروف العمل السيئة قد تكون أفضل من لا شيء، لكن هذا لا يبرر مساندتنا لظروف العمل السيئة، البديل يجب ألا يكون لا شيء، لكن جعل الأشياء أفضل، الآباء الذين يطعمون أطفالهم وجبات سريعة لا يمكن أن يقولوا إنهم غير قابلين للانتقاد لأن الوجبات السريعة أفضل من عدم وجود طعام، لأن هناك خيار تقديم طعام سليم، "أفضل من لا شيء" ليس دفاعا إذا كان من الممكن أن تقوم بالأفضل.

* * *

ماذا إذا كان هناك اختيار قسري حقيقي بين شيء سيئ ولا شيء، وهو الأسوأ؟ والنموذج التقليدي هو شن هجوم عسكري بضحايا مدنيين لا مفر منهم لأن العدو يستعمل أشخاصا أبرياء كدروع بشرية، لكن إذا توقف الهجوم، فقد يستمر العدو في شن هجمات مميتة ضد مدنيين أكثر، أليست هذه حالة حقيقية حيث القيام بشيء رهيب يكون في الواقع أفضل من عدم فعل شيء على الإطلاق؟

انظر أيضاً :

٤ . ليكن ما يكون .

٥٧ . أعطني هذا المخدر .

٥٩ . أي شخص كان سيفعل نفس الشيء .

٦٤ . أمري كان لي .

٩٤ . ليس من شأن الكرادلة

"ليس لك أن تقول"

هذا ليس من شأنه، إذا أرادت امرأة سكوتلندية أن تجهض، فالأمر لها ولطبيبها.

Tim Street, director of the Family Planning Association Scotland(١٣٨)

الكاردينال كيث أوبريان ليس من الكاثوليك الذين يحببون أن يعبروا عن معارضتهم للإجهاض بلباقة، في حفل الكنيسة الكاثوليكية السنوي "يوم للحياة" قال، "دعونا نبن داخل مجتمعنا جيلا من الأطباء الذين لا يرغبون في التعاون مع المذبحة". أوبريان، قائد الكنيسة الكاثوليكية في سكوتلندا، قال "أكاذيب وأضاليل متنكرة في صورة الرحمة والحق" واصفا التأكيدات المعطاة عندما تم تمرير قانون الإجهاض في ١٩٦٧ الذي ينص على أن إنهاء الحمل يمكن أن يسمح به فقط في الظروف الاستثنائية،

إذا ساعدت في تقديم الإجهاض أو قمت به أو مررت به، فهذه كلمات قاسية: فأنت أساسا تُدعى طرفًا في عملية اغتيال، تستطيع تقريبا أن تشعر بغضب تيم ستريت، مدير جمعية تنظيم الأسرة في سكوتلندا، عندما رد على أوبريال قائلا، "ليس من شأنه"، لكنه كان مخطئا في رده.

هناك تقليد قديم في صفوف مؤيدي الإجهاض للمجادلة على غرار ستريت، الذي قال، "إذا أرادت امرأة سكوتلندية أن تجهض، فالأمر لها ولطبيبها"، المبدأ العام خلف هذا يبدو أن قرارات الحياة المهمة من شأن الناس الذين يقومون بها فقط، وهؤلاء الذي يُطلب منهم المساعدة في تنفيذها.

هذا كاسح للغاية لعدة أسباب، أولها، في حالة الإجهاض، فهي تستجدي السؤال فحسب، لأن معارضي الإجهاض يعتقدون أن الطفل غير المولود له حقوق لا تؤخذ في الاعتبار بالقدر الكافي، وبالنسبة لهم، فإن حجة أن الإجهاض أمر يخص المرأة الحامل وطبيبها فقط هو أمر بغيض بقدر الادعاء أن الاغتيال هو شأن يخص القاتل فقط.

ثانيًا، حتى إذا صدقنا أن الغرباء لا حق لهم للتدخل، فإن لهم حقًا في المساعدة في تشكيل الاتجاهات العامة والقوانين، ونحن لا نتبع عمومًا سياسة أن يحق فقط للناس أن يعبروا عن وجهات نظرهم في الموضوعات إذا كانوا هم من يتأثرون مباشرة بها، ستكون الحكومات حمقاء للتباحث فقط مع العاطلين عندما تقرر الفوائد التي سيحصلون عليها، أو مع الجيش عندما تتخذ قرارات عن الحرب، بالطبع، يجب أن نستمع باهتمام إلى الناس المعنيين مباشرة في أي موضوع، لكن هذا لا يعني أن نترك القرارات لهم.

ثالثًا، على الأقل يحق للناس أن يعبروا عن آرائهم في الأمور التي لا تهمهم بصورة مباشرة، لا يوجد أحد يعتقد أن هؤلاء الذين تم السطو عليهم هم فقط الذين لهم حق إبداء الرأي في السطو، أو أن الناس الذين لا يطيرون لا يكون لهم رأي فيما إذا كان الطيران يجب أن يكون مشمولاً في مباحثات خفض الكربون.

لكن في بعض الظروف، يقترب الناس من قول إن هؤلاء الذين لهم خبرة مباشرة في الموضوع فقط هم الذين يحق لهم أن يعبروا عن رأيهم فيه، فهم يقولون، "مالم تمر به بنفسك، فلن تعرف ماذا تتكلم عنه." هذا صحيح، لكن فقط بتكرار المعنى أنك تستطيع أن تعرف كيف تشعر بشيء فقط إذا شعرت به، لكن يمكنني أن أعرف – بمعنى غير تجريبي – ماذا يعني الهيروين بالنسبة لك بدون أن أتعاطاه، بالفعل، نحن نتحاشى كثيرا من احتمالات الحياة المرعبة فقط لأننا نستطيع أن يكون لنا مثل هذه المعرفة.

رابعًا، من الغريب أن نقول إن قائد الكنيسة يجب ألا يعبر عن آرائه عن الأمور الأخلاقية، أنا لا أتفق مع تعاليم الكنيسة الكاثوليكية في معظم الأشياء، لكني أستطيع

رؤية أن تقديم المشورة الأخلاقية – حتى لو كانت خاطئة – هو أحد الواجبات الجوهرية لرجل الدين، قد يكون الأمر أن عامة الناس يجب أن يحتاطوا قبل أن يعلقوا على المشاكل الأخلاقية التي لا يواجهونها بأنفسهم، لكن القادة الدينيين والأخلاقيين بالتأكيد لا ينطبق عليهم ذلك.

إذا ما أردنا إنقاذ نقطة بناءة من هذه البلاغة المربكة، فنحن نحتاج أن نعطي وزنا مناسبا للمعرفة والخبرة والتجربة، أما إذا كنا نفعل ذلك عادة فهو أمر مشكوك فيه.

* * *

أي آراء يجب أن يعتد بها أكثر في المناقشات العامة عن الأخلاق؟ هل القادة الدينيون هم فعلا خبراء المجتمع الأخلاقيون؟ هل تم استشارة خبراء الجريمة بما فيه الكفاية عندما قام السياسيون بتقرير السياسة العقابية؟ هل يتم إعطاء الأعمال التجارية قولاً فصلاً في كيفية تنظيم الأعمال؟ كل الناس يمكنهم المساهمة في مناقشات المجتمع، لكن ألا يجب أن نستمع لبعض الأصوات بصورة أكثر قربا من آخرين؟

انظر أيضاً :

٥ . تحدث عن نفسك .

٣١ . أبي يقول .

٦٦ . اثبت نفسك .

٨٢ . اللسان الحاد لا يعني ذهنا حريصا .

٩٥ - إنهم يقتلون المدنيين
مغالطة الحادثة

هذه الأيام، يطلق الأمريكيون الأسلحة النارية روتينيا في الفالوجا والمناطق العمرانية المكتظة الأخرى، وهم يقتلون عائلات بأكملها، إذا كان لكلمة الإرهاب أي تطبيق عصري، فهو إرهاب هذه الدولة الصناعية.

John Pilger, journalist(١٣٩)

قليل من البلاد تستقطب الرأي أكثر من الولايات المتحدة، وهي تبدو للكثيرين مثل : بطل الحرية والديموقراطية العظيم، لكنها بالنسبة إلى آخرين، إمبراطورية البلطجة والاستعمار الجديد، وأعظم تهديد للسلام في العالم اليوم، مؤيدو هذا الرأي الثاني يحاولون غالبًا تحطيم وهم أن الولايات المتحدة قوة حميدة بالمجادلة بأن كثيراً من تصرفاتها تتساوى أخلاقيا مع تصرفات الدول الحمراء وجماعات الإرهاب التي تندد بها مرارًا.

إحدى أكثر الاختلافات الشعبية لهذا الخط من المجادلة يقارن الحملات العسكرية الأمريكية بالإرهاب، جون بلجر، المعارض الشرس للسياسة الخارجية الأمريكية، يفعل هذا بالضبط عندما يقول إن الطريقة التي تخوض بها أمريكا الحروب تجعلها مذنبة بإرهاب الدولة، بلجر لديه أسباب مختلفة لهذا، لكن واحداً منها لا يبدو قادراً على التماسك وهو أن القصف الأمريكي عمل إرهابي لأنه يقتل المدنيين.

هذه الحجة تقوم على خطأ بسيط، وهو مغالطة الحادثة، وهذا يكون عندما تطبق قاعدة عامة على حالة هي في الواقع استثناء لها، على سبيل المثال، أنا أحب القطط،

لكن إذا فكرت أنه بسبب أن مستر بجلزورث هو قط، فسوف أحبه، أكون مخطئا، إذ يتضح أن هذا البجلزورث هو شيء كريه، وبالمثل، يجب ألا أستنتج لأن الناس الأشرار يسببون الألم للآخرين، إذن فطبيب الأسنان شخص شرير.

وبالتأكيد صحيح أن الإرهابيين يقتلون المدنيين، لكن أن تستنتج أن أمريكا بسبب ذلك دولة إرهابية، لأنها أيضًا تفعل أشياء تعلم أنها ستتسبب في موت مدنيين، فهذا يذهب بعيدا، وبنفس المنطق، جنرال موتورز هي شركة إرهابية، لأنها تنتج أشياء (سيارات) معروف أنها ستنتج موت الكثيرين من المدنيين الأبرياء.

بموافقة عامة، يفعل الإرهابيون أكثر من التسبب في موت المدنيين: ويقومون بدور نشط في تحقيق هذا باعتباره هدفًا استراتيجيًا، إذا أردت أن تعلق ملصقًا إرهابيًا على حكومة الولايات المتحدة، فيجب عليك أن تجادل في أنها عندما أطلقت الصواريخ على الفالوجة، كان القصد من ذلك ارتكاب مذبحة بين المدنيين، هذا بالتأكيد ليس ما تقوله القوات الأمريكية، فهم يجادلون أن قصدهم كان هزيمة المتمردين، ومع ذلك، لأن هذه القوات اختلطت مع المدنيين، فلم يكن هناك أي وسيلة للقيام بهذا دون قتل مدنيين أيضًا، أيا ما تعتقده عن القرار بمهاجمتهم على أي حال، فهذا بوضوح ليس مثل قتل الأبرياء كهدف استراتيجي، لكن هذا ما يطرحه بلجر عندما يستخدم الفعل "قتل" – وهو يعني القتل العمد – ليصف قصف سكان الفالوجة المدنيين.

ما يخلط بين النشاط العسكري والإرهابي بهذه الفظاعة هو أن الفرق في الدوافع ليس سرا، القاعدة لم تتظاهر أبدا أن ١١ سبتمبر كان محاولة للهجوم على الجيش، الذي كان لسوء الحظ يختبئ بين المدنيين، بالطبع القصد كان قتل المدنيين فقط، بينما حتى إذا استهدفت بعض وحدات الجيش الأمريكي المحددة المدنيين، فإن الحقيقة التي يجب توضيحها أن هذه ليست سياسة الحكومة.

بالطبع، هناك حجج أخرى ضد شن هجمات حربية في مناطق يكثر بها المدنيون، ما أقوله ليس دفاعا عن أي عمل عسكري محدد، كل ما أحاول شرحه هو لماذا يكون

الخلط بين قوات الاحتلال والإرهابيين غير مبرر ببساطة بحقيقة أن كليهما قتل مدنيين.

ولتحاشي المغالطة، يجب التماس الحذر لتحديد الحالة العامة التي تقود لها، في هذه الحالة، فالإرهاب لا يتضمن فقط قتل المدنيين، بل استهدافهم أيضًا كهدف استراتيجي، مثل هذا التحديد يكون أكثر طبيعية إذا تعودنا على تذكر أن قواعد قليلة تكون بدون استثناء، إذا كنت تفضل دائما الطعام الطازج عن المجمد، أو لا تثق أبدا في سياسي، أو تعتقد أن السُلطة مفسدة، أو تعتقد أن الطب البديل يعوزه الصدق، أو أن المنطق الجيد دائما ينسخ الغريزة الداخلية – فكن حذرا: فقد تكون عادة على حق، لكنك لا تريد أن تفوت فرصة الاستثناءات.

* * *

" أبدا لا تقل أبدا" هو قول مأثور، إذا كان صحيحا، ينبغي ألا تقوله أبدا، لكن بالسماح لبعض الغلو، فهذه نصيحة جيدة، إلى جانب المثل الأقل جاذبية "دائما تجنب قول دائما"، فكر في كل المعتقدات التي تعتنقها، وتلك التي تحتوي على كلمات مثل "جميع"، و "لا أحد" و "كل واحد"، ألا تقبل استثناءات؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما هي؟

انظر أيضًا :

٢٤ . جيد للرجل، وللمرأة أيضًا .

٢٧ . هل ٦ ملايين لا تعني شيئا لك؟

٣٩ . تجميع مريب .

٧٤ . الجميع مخنثون .

٩٦ – ما الفرق الذي يصنعه؟
اللعب بنظرية المباراة

الناس الذين يمتنعون عن التصويت في الانتخابات يتخذون قرارا عقلانيا، فهم يحسبون أن الفوائد التي ستجلبها لهم النتيجة مضروبة في احتمال أن تصويتهم سوف يغير النتيجة، هي أصغر من التكاليف المتضمنة في بذل الجهد للذهاب إلى مركز الاقتراع.

Daniel Finkelstein, The times[١٤٠]

في العالم، حيث تضيع كل تصرفاتنا بين تلك التي للمليارات من الآخرين، من السهل التفكير أن قليلا مما نفعله يستحق الجهد، أنت تستطيع أن تخفض انبعاثاتك الكربونية بأن تضع جهاز تشغيل اقراص الفيديو الرقمية لديك في وضع الانتظار، لكن حيث إنه سيكون هناك ١٠٠٠ سيارة أكثر في شوارع بكين وحدها غدا، فلماذا تهتم؟

مثل هذا التشاؤم أحيانا يتم تشجيعه بنظرية الألعاب، وبالتحديد في تطبيقاتها بواسطة الاقتصاديين، مرارا وتكرارا يُظهر الأكاديميون في هذا الحقل ، من وجهة نظر عقلانية، أن فوائد كثير من التصرفات لا تذكر حتى أنه ليس منطقيا القيام بها، قدم دانييل فنكلشتاين مثالا نموذجيا بليغا لهذه الطريقة من التفكير في التايمز، عندما جادل أن التصويت هو عادة مضيعة للوقت.

أصحاب نظرية الألعاب هم من النوع الرشيد الصلب، والأحمق فقط هو من سيرفض بخفة جوهر ادعاءاتهم التجريبية والإحصائية، المعضلة تأتي عندما يستقرئ الناس من هذه الادعاءات ما ينبغي أن نفعله في الحياة الواقعية.

والأكثر إشكالية، أن نظرية الألعاب تستخدم مفهوم العقلانية وهو ضيق للغاية وموجه للهدف، في عالم المنظرين، العقلاني هو ما سوف يمكنك من تحقيق بعض الأهداف المحددة تحديدا جيدا، ومع ذلك، فهذه الأهداف لا تتفق بالضرورة مع الناس الحقيقيين.

خذ مثلا موضوع الانتخابات، قد تبدو الإشارة إلى أن الهدف من الانتخابات هو التأثير على النتيجة العادلة ، وإذا كان هذا هو الحاصل فعلا، فيمكن إثبات أن في أي شيء ماعدا معظم نتائج استطلاعات الرأي، لا يمكنك فعل ذلك عن طريق التصويت، لذلك فمن غير المعقول القيام بذلك، ومع ذلك، قد يكون لديك أهداف مختلفة للغاية، مثل المشاركة في عملية تعتقد أنها أفضل نظام لدينا لإخراج حكومة يُعتمد عليها، تستطيع القيام بهذا دون أن تعاني من أي وهم أن النتيجة تعتمد عليك، في الواقع، الموضوع كله بالنسبة للديموقراطية بالتأكيد هو أنه لا توجد نتيجة تعتمد على شخص واحد بمفرده.

وحتى إذا كنت تريد أن تصوِّت لتؤثر على النتيجة، فهذا ليس نفس الشيء مثل الاعتقاد أن صوتك يجب أن يحددها بحسم، هناك فرق خفي لكنه مهم هنا: أن تعتقد، عقلانيا، أن تصويتك لا يتطلب الاعتقاد بأن النتيجة ستكون مخالفة لو لم تدلِ به.

وليست الحالة هي أن التصرف العقلاني يجب بالضرورة أن يُعَرَّف من حيث النتائج المباشرة على الإطلاق، خذ مثال التدوير (إعادة التصنيع - المترجم)، قد أعتقد أنه من المهم أن ندوِّر أكثر مما نفعل، وفي نفس الوقت قد أكون على علم أن هذا لا يصنع فرقا ذا بال بالنسبة للكوكب إذا فعلت أو لم أفعل، ومع ذلك، من العقلاني أن أختار أن أتصرف وفقا للقيم التي أنادي بها: إني أريد أكبر عدد من الناس يهتمون بإعادة التدوير لأننا معا نستطيع أن نصنع الفرق، لذا فمن العقلاني بالنسبة لي أن أتبع مبادئي، عادة التدوير لا تكون عقلانية فقط إذا عَرَّفت العقلانية على نحو ضيق أنها تنطبق فقط على التصرفات التي لها نتائج فعلية ذات بال.

وباختصار، هناك أسباب في السماء والأرض أكثر مما نحلم به إذا تفلسف بعض منظري نظرية الألعاب.

* * *

نظرية المباراة يمكن أن تتحدى الافتراضات المريحة عن لماذا نفعل ما نفعله، كثير من الناس يحبون أن يفكروا أن السبب الأساسي في خفض الكربون أو إعادة التدوير أو التصويت هو أنهم، بالقيام بذلك، "يصنعون فرقا." على الرغم من احتمال وجود أسباب أخرى للاستمرار، فليس من الصعب أن يكون وراء الدافع مبررات غير مباشرة أكثر من التأثير المباشر على النتائج؟ بمجرد قبولك عدم وجود فرق إذا ذهبت زجاجتك إلى القمامة أو إلى إعادة التدوير، أليست أسبابك للقيام بالجزء الصغير الخاص بك أقل إلزاما من الناحية النفسية، حتى لو كانت مبررة؟ وحيث إننا نحفز بالنفسية أكثر من المنطق، هل هذا يعني أننا ربما يتحتم علينا أن ننشر الكذبة النبيلة التي تقول إن كل شيء صغير يساعد بالفعل؟

انظر أيضًا :

١١ . تناول الغذاء المعدل وراثيا .

٦١ . أكاذيب وإحصاءات .

٦٨ . الكلب والبراغيث .

٩٦ . هذا ما لم أقله .

٩٧ . هجوم على الشجيرات القاتلة

الاستهزاء والسخافة

الحرب على المخدرات كانت غريبة بما يكفي لأنها كانت حربا على النباتات، وهو ما أجده شاذا للغاية، لكن المفهوم الكامل لحرب على الإرهاب مثير للسخرية، هل يمكنك إعلان حرب على شيء مجرد، على فكرة؟

Mark Thomas, comedian(١٤١)

الكوميديا كانت دائما واحدة من أقوى وسائل التعليق السياسي والاجتماعي والجدلي، في بريطانيا، على سبيل المثال، الممثلون الكوميديون مثل بن التون في الثمانينيات، وروي برمنر ومارك ستيل في أيامنا هذه، تمت الإشادة بهم باعتبارهم بعض أكثر النقاد للسياسيين فعالية في كل الأوقات، مايكل مور في الولايات المتحدة، ومارك توماس في المملكة المتحدة أصبحوا مؤخرا روادا شعبيين لتهجين التحقيقات الصحفية والكوميديا.

مهارات الممثل الكوميدي، مع ذلك، لا تصلح دائما لهذا النوع من التحليل الخفي المطلوب لتعليق سياسي جيد، الممثل الكوميدي هو سيد الاستهزاء، لكن من السهل أن ننسى أن ما نُظر إليه مثير للسخرية قد لا يكون مثيرا للسخرية.

خذ ضربات مارك توماس العنيفة ضد الحرب على المخدرات والحرب على الإرهاب، عليَّ أن أقول إنها ليست نكاتا سيئة، لكن هل هي تضيف انتقادات خطيرة إلى أيهما؟ بالكاد، انظر إلى الحرب على المخدرات أولا، تعمل المزحة عندما تجعلك

تتخيل صراعا مسلحا سخيفا يكون فيه العدو نباتا، لكن، بالطبع، لا يوجد أحد متورط في الحرب ضد المخدرات يعتقد أنه ذاهب بالفعل لمعركة مع النباتات، في الواقع، هم لا يعتقدون أنهم مشاركون في حرب بالمفهوم التقليدي على الإطلاق، "الحرب على المخدرات" مجرد نوع من الاستعارة أو الاختزال لسياسة تعمل على القضاء على إمدادات واستخدام المخدرات.

ما تفعله المزحة هو أنها تأخذ عبارة "الحرب على المخدرات"، وتفسرها بطريقة أكثر من حَرفية مقصودة ، ثم تُظهر كيف، بهذا التفسير، تكون هذه الحرب سخيفة، لكن هذا بعيد كل البعد عن إظهار أن "الحرب" في حد ذاتها سخيفة، في الواقع، لا تستطيع المزحة أن تفعل ذلك لأنها لا تبدأ حتى في معالجة معنى الحرب على المخدرات في الواقع، ومع ذلك، الكوميديا تكون في التوقيت، والنكات على عكس الحجج الدقيقة تتتابع بسرعة، ومن السهل في ضحكاتنا أن نعتقد أننا نجد سياسة المخدرات سخيفة، بدلا من أن نجدها نكتة ذكية مضحكة،

استهزاء مور أيضًا بعيد عن الحدة غالبا، في فهرنهيت ١١ سبتمبر سخر من جورج بوش لأنه استغرق وقتا طويلا ليفكر فيما سيقوله عندما تم إبلاغه عن الهجوم على البرجين، لكن إذا توقفت عن الضحك وفكرت فيه، لماذا يكون سيئا أن تتأني؟ ألن يكون أكثر سوءا إذا وقف بوش وقال أول شيء لاح في مخيلته؟

إذا بدا كل هذا على أنه نظرة للكوميديا بجدية كبيرة إذن يجب تذكر أن كثيرا من الممثلين الكوميديين يتسمون بجدية كبيرة في أهدافهم السياسية، فهم فصيحون للغاية ومتحدثون مقنعون في قضاياهم، وجمهورهم يبدو أنه يعتقد أنهم يقولون الحقيقة للسلطة، وعملهم يمكن أن يكون ممتازا ، فالنكات تضرب في الحقائق غير المريحة، كل من مايكل مور ومارك توماس بالتحديد أنتج بعض الأعمال الثاقبة والمزعجة، لكن الاثنين سخرا من بعض الأشياء غير الساخرة في الواقع وجعلانا نرى المشاكل في الأماكن الخطأ، الكوميديا يمكن أن تكشف الحقيقة، لكنها يمكن أن تجعلنا نخطئها.

* * *

ما عدد الهجائيات التقليدية التي أصابت أهدافها؟ اترك جانبا مزاياهم الفنية والكوميدية للحظة واسأل نفسك، هل يخبرنا د. سترانجلوف حقا أي شيء عميق عن الحرب الباردة؟ هل "حياة برايان" تكشف سخف الديانة المنظمة؟ هل "اللاعب" لروبرت ألتمان تظهر حماقات هوليوود والموضة؟ أحيانا تكون الإجابة نعم مدوية، لكن غالبا القول القديم المأثور إن شيئًا ما مضحك لأنه صحيح، لا هو صحيح ولا هو مضحك.

انظر أيضًا :

١ . شيء لا يصدق.

١٤ . أعجوبة الوخز بالألوان.

٤٧ . نفس القصة البالية.

٦٩ . مشاحنة مع الفراغات.

٩٨ . كثير من اللا شيء لا يكفي

الكم فوق النوعية

هناك تقارير كثيرة عن الأشباح والظواهر الروحية أكثر من أن تهمل، هناك شيء ما بالضرورة!

Ton Ogden, The Complete Idio't Guide to Ghosts and Hauntings[١٤٢]

نظرية المؤامرة في أحداث ١١ سبتمبر المفصلة في الفيلم التسجيلي التغيير الطليق Loose Change هي مادة قوية. [١٤٣] يتم قصفك لمدة ٩٩ دقيقة بالأدلة التي يُدّعى أنها تشير كلها للهجمات على البرجين كعمل داخلي، وقد صممت لخلق "بيرل هاربر جديدة"، وهذا جعل أجندة المحافظين الجدد مشروعة.

مثل كل الناس، إذا قدمت لي كمية ضخمة من الأدلة مثل هذه، سيكون حكمي على الأقل مهزوزاً بصورة مؤقتة، هذا ينبغي ألا يحدث، حيث إن الكمية ليست هي نفس الشيء مثل النوعية، لا توجد كمية من الأدلة السيئة يمكن أن تتراكم لتكون حالة عامة جيدة، وتكون ساحقة فقط بالمعنى السيئ.

"التغيير الطليق" هو مثال ممتاز لقوة الكمية على النوعية بالنسبة للأدلة، لقد قيل لنا إنه في ١٩٦٢، قدمت هيئة الأركان المشتركة تقريرا لوزير الدفاع روبرت مكنمارا عن هجمات إرهابية تدبر في خليج جوانتانامو لتوفير ذريعة لمهاجمة كوبا، هل يبدو هذا مألوفا؟ لكن ذلك لا يثبت أي شيء عدا أن تزييف هجمات إرهابية كان موضوعا في الاعتبار في وقت ما في الماضي، وماذا في ذلك؟ فهذا لا علاقة له بأحداث وقت لاحق بأربعين عاما.

بعدها، في ١٩٨٤ طائرة بوينج ٧٢٠ تطير بالتحكم عن بعد لمدة ١٦ ساعة ثم تنفجر على الأرض بواسطة ناسا، مرة أخرى، وماذا في ذلك؟ فكلنا يعرف أن الطائرات يمكن أن تطير بالتحكم عن بعد، ثم، في ١٩٩٧ في إصدار للوكالة الفيدرالية للتصرف في الطوارئ، وهو عن دراسة ذاتية عن استجابة الطوارئ للإرهاب، تم وضع صورة لمركز التجارة العالمي على الغلاف في نقطة تصويب سلاح، مرة أخرى، وماذ في ذلك؟ إذا كانت أمريكا ستهاجم بالإرهابيين، فإن مركز التجارة العالمي كان هدفا واضحا، هل يعتقد صانعو الفيلم أن مصمم أغلفة الوكالة الفيدرالية للتصرف في الطوارئ كان في المؤامرة؟

كل هذا كان في الدقائق الأولى، وهكذا يمضي الفيلم، لفترة ٩٠ دقيقة تقريبا، لا شيء زائد لا شيء يساوي لا شيء، لكن لسبب ما، عندما يظهر دليل فاسد، يبدو أننا نعتقد أن هذا يجعل الأمور أفضل، هل هي بالفعل صدفة، أن الولايات المتحدة قررت افتعال هجمة إرهابية، وأنها جربت طائرة بدون طيار، وأنها حتى صَدَّقَت على اختيار مركز التجارة العالمي كهدف؟ كلا، لأنها لم تكن صدفة: هذه هي كل الأمور التي قد تتوقع أن حكومة الولايات المتحدة قد فكرت فيها في وقت ما في الماضي.

الأدلة على وجود الأشباح والأحداث الخرافية الأخرى تراكمت بنفس الطريقة، "دليل الأبله الكامل للأشباح والأرواح" معروف جيدا، لأنه لا يتبع، كما يدعي مؤلفه، أن "هناك شيئًا ما بالضرورة" فقط لأنه كانت هناك "تقارير كثيرة عن الأشباح والظواهر الروحية"، النوعية، وليست الكمية، هي المهمة، عدد قليل، وربما واحد، من الأحداث المحققة مع شبح سيثبت وجودها، لكن لا يوجد أي عدد من الحالات الفردية غير المؤكدة يمكن أن يضيف للقضية، في الواقع، قد تعمل في الاتجاه الآخر، حقيقة أن آلافًا من مزاعم رؤية الأشباح تم الإبلاغ عنها والتحقق منها ومع ذلك لم يثبت أن أيًا منها حقيقي تطرح أن الأشباح ببساطة غير موجودة.

وليست القضية فقط أن أي كمية من الأصفار لا تجمع إلى واحد صحيح، بل أيضًا صحيح أن الاحتمالات لا تصبح حقيقة بعملية الجمع، إذا كان لديك عشرة أجزاء

من الأدلة كل منها يشير إلى نفس النتيجة باحتمال عشرة في المائة، فهذا لا يعني أنها معا تشكل نتيجة مرجحة بنسبة مائة بالمائة، بالأحرى تكون الحالة أن كل جزء من الأدلة يصل بمفرده لنفس الاستنتاج: إن الحدث بعيد الاحتمال، ومع ذلك، فنحن بالحدس نميل لافتراض أن عشرات الأجزاء من الأدلة التي تقترح شيئًا ما قد تكون صحيحة معا للإيحاء بأنه على الأرجح كذلك.

وبالاستطراد، إذا كان لدينا عشر وسائل لحساب احتمالية اصطدام قطار، وكل واحد يأتي بإجابة بين ٥٥ و٦٥٪، فإن لدينا سببًا جيداً للاعتقاد أن القطار سوف يصطدم على الأرجح، ولكن يظل هذا بنسبة ٦٠٪ من الاحتمالات تقريبا.

يمكنني الاستمرار في هذا، لكن حيث إن النقطة هي أنه ليس عدد الأسباب هو المهم، لكن نوعيتها الجيدة، فأعتقد أني سوف أتوقف الآن.

* * *

ما الأمثلة الأخرى التي يمكن أن تكون لأناس أعميت أعينهم بكم كبير من الأدلة؟ محمد الفايد جمع كما كبيرا من الأدلة أن الأميرة ديانا قد اغتيلت، هناك كثير من الأدلة أن التدخين يسبب السرطان، وممارسو الهوميوباثي يمكن أن يشيروا إلى دراسات عديدة تقول إن علاجاتهم ناجعة، أي من هذه الحالات تحتوي نوعية مثلما تحتوي على كمية من الأدلة؟

انظر أيضاً :

٦ . الشاعر الوسيط الروحي المدهش .

٢٥ . نرفض هذه الحرب الفاشية .

٤٧ . نفس القصة البالية .

٨٨ . إذا كان قديماً فهو جيد .

٩٩ - الشيء الحقيقي
حركة الاسكوتلندي غير الحقيقي

نحن نعرف أنه لا يوجد مدمن على الكحول يسترد السيطرة على الإطلاق.

The AA Big Book(١٤٤)

قال توني بلير في خطاب أمام مركز السياسة الخارجية في مارس ٢٠٠٦، "التطرف ليس هو الصوت الحقيقي للإسلام."، إذن ما هو الصوت الحقيقي؟ "هذا يمكن إيجاده، كما كان في الماضي، في الإيمان الهادئ لكن غير المسموع لعديد من المسلمين، ملايين منهم منتشرون في العالم، بما في ذلك أوربا، يريدون ما نريده نحن جميعا: أن نكون أحرارا وأن يكون الآخرون أحرارا أيضًا، الذين يعتبرون التسامح كفضيلة واحترام إيمان الآخرين جزءا من إيمانهم".

قد يكون لطيفا إذا كان هذا حقيقيا، خصوصا بالنسبة لهؤلاء المسلمين الهادئين الذين تحدث عنهم بلير، والذين سئموا من التعامل معهم بنظرة مماثلة للانتحاريين، ومع ذلك، لا يتفق كل الناس مع هذا الكلام، المفتي زبير دودا علَّم الأطفال والشباب في أكاديميته للتربية الإسلامية في دوسبري، وفي مقدمته لنشرة مترجمة في عام ١٩٩٦ كتب ما يلي :"لا يمكن لشخص متعلم ولا لمسلم حقيقي أن ينكر الفوائد والثمار والبركات للجهاد البدني في سبيل الله".

وطبقا لبلير، وهو كاثوليكي، فإن المسلم دودا لا يمكن أن يكون مسلما حقيقيا، وطبقا لدودا، فإن بلير هو الذي ينطق هراء، فمن نصدق؟

الجواب هو لا أحد، عندما تستعمل تعبيرات مثل "مسلم حقيقي" بهذه الطريقة فهي عمليا بدون معنى، هناك بعض المغزى عندما يتكلم أحد عن المسلمين الحقيقيين والزائفين، على سبيل المثال، شخص يتظاهر فقط باتباع الإسلام ليس مؤمنا حقيقيا، وقد يكون هناك أيضًا بعض الطوائف الهامشية التي استبعدت حتى الآن من بقية الإسلام والتى يتبرأ منها باقي المسلمين شرعيا، لكن المسلمين يأتون بأشكال وصور كثيرة، من الانتحاريين إلى المسلمين العلمانيين الذين يعتبرهم معظم إخوانهم في الدين مرتدين، وعندما يحاول شخص ما أن يقول كيف يبدو المسلمون الحقيقيون، فكل ما يفعله في الحقيقة هو أن يخبرك أي طبعة من الإسلام يوافق هو عليها.

وينطبق نفس الشيء على الديانات الأخرى، سيقول البعض إنه لا يوجد مسيحي حقيقي يتغاضى عن المثلية الجنسية، ربما يستشهدون بقول القديس بولس: "وكذلك الذكور أيضًا تاركين استعمال الأنثى الطبيعي، فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق." (رسالة بولس إلى أهل رومية ١:٢٧)، وسيقول آخرون إنه لا يوجد مسيحي حقيقي يَدين أي واحد على أساس من الهوية الجنسية التي وهبها له الله، مشككين في تفاسير العدد القليل جدا من مقاطع العهد الجديد التي تطرقت إلى المثلية الجنسية، لكن مرة أخرى، المسيحيون لا يتفقون قط، والقول بما يجب أن يفكر فيه "المسيحيون الحقيقيون" هو ببساطة الادعاء بسلطة وهمية لوجهة النظر التي تتخذها،

جمعية "مدمنو الكحول المجهولون" مشهورة بمزاعمها عما يجعل المدمن "مدمنا حقيقيا على الكحول"، وتقول هذه الجمعية إن مدمن الكحول لا يمكن أن يصبح متحكما ومعتدلا في شرابه، والامتناع التام هو العلاج الوحيد، المشكلة تبدو أن هناك الكثير من الأمثلة المضادة: الشاربون مثيرو المشاكل الذين تعلموا الاعتدال في تعاطيهم، لكن بالنسبة للجمعية فهذا لا يحسب كدليل مضاد، حيث إن هؤلاء الناس إما مدمنو كحول غير حقيقيين بحكم التعريف وإما أن ارتدادهم لم يحدث بعد.

هذه الطريقة في الجدال سميت "حركة الاسكوتلندي الزائف" بواسطة الفيلسوف أنتوني فلو، الذي استخدم مثاله الوهمي لرجل اسكتلندي قرأ عن غرائب رجل مهووس بالجنس وقال، "لا يوجد اسكتلندي يمكن أن يقوم بشيء مثل هذا!" ثم، في الأسبوع التالي، قرأ قصة بدا أنها تناقضه، فنهض واقفا قائلا، "لا يوجد اسكتلندي حقيقي يمكن أن يقوم بشيء مثل هذا!"(١٤٥) اعتقد فلو أن هذه حركة جدلية فاسدة، فهل يعترض أي عقلاني حقيقي؟

* * *

سبب واحد لماذا تكون حركة الاسكتلندي غير الحقيقي مغرية أن أحداً منا لا يحب أن يفكر في الاستمرار في مخالطة أناس يجدهم بغيضين، هناك كل أنواع الأشياء التي أحب أن أفكر أنه لا يوجد فيلسوف حقيقي سوف يفعلها، لكن الكثيرين فعلوها بوضوح، وأظن أيضاً أنه قد يحدث أن بعض محبي الحيوانات الحقيقيين، من خلال الجهل، يعاملون حيواناتهم بصورة سيئة، وأن بعض محبي الأفلام الحقيقيين قد أحبوا بالفعل فيلم جولي دلبي وإخراجها الأول المقيت "يومان في باريس"، وأن الحب الحقيقي لا يستمر دائما، هل هناك أي شيء قد يفعله الأعضاء الحقيقيون في عشيرتك، وإن كنت تكره أن تعترف به؟

* * *

انظر أيضاً :
٧ . لأني أقول هذا .
٢٩ . قتيل، نعم، قاتل، لا .
٤٨ . سيقولون ذلك .
٧٤ . الجميع مختنثون .

١٠٠ - الكلمة الأخيرة

التفوق بالرضا

ما الذي نعتقده عن أنفسنا، نحن حراس المعاني الطيبة والعقلانية؟ في هذا الكتاب، حاولت أن أُفصِّل طرقا مختلفة تكون فيها الحجج ووجهات النظر قد قدمت بصورة سيئة لكن في الأغلب مقنعة، هل يعني هذا أني أعتقد أن حججي جيدة؟ إذا كان هذا صحيحا، فهل هذه ثقة مبررة أم غطرسة رهيبة؟

في الواقع، أنا لا أعتقد أني محصن ضد الأخطاء التي فهرستها هنا، وقد أكون حتى قد ارتكبت بعضا منها (أو من غيرها) في هذه الصفحات بعينها، هذا ليس اعترافًا قدريًا أن لا أحد منا يمكن أن يكون أكثر عقلانية أو تماسكا من أي شخص آخر، بل هو تذكير بأن السعي نحو النهايات النبيلة، مثل الحق أو الخير، صعب ولا بد أن تصحبه أخطاء، ومع ذلك، عندما يضع أحد نفسه في جانب الملائكة فمن السهل أن يبدأ في الاعتقاد أنه قد نمت له أجنحة، ويمكن أن تكون النتيجة هي التفوق بالرضا؛ وهو الاعتقاد أن الشخص "صالح" أو "عقلاني" وهنا يصبح محصنا ضد الشر أو ضعف التعليل، إذا بدأ شخص في تصديق ذلك، أو تبنى ذلك كافتراض في اللاوعي، إذن سيكون هذا الشخص عرضة للوقوع في نوع من السوء أو الجهل الذي افترض أنه ضده.

ولقد رأيت هذا يحدث، للأسف، مع فلاسفة مدربين، الذين كبروا على افتراض أن لديهم مهارات فكرية نقدية يرفضها باقي العالم، لكنهم فشلوا في استعمالها بصورة صحيحة، وأحيانا يرتكبون ما أسميه "مغالطة المغالطة"؛ تصديق أن بسبب استطاعتهم اكتشاف شكل الخطأ المنطقي في حجة ما، فيمكنهم ذلك أن ينبذوه بعيدا.

أحد الأمثلة الجيدة هو فيلسوف سخر من الطريقة التي تراجع بها د. ريتشار هورتون، محرر مجلة لانست، عن قراره بنشر مقال مثير للجدل كتبه أندرو ويكفيلد الذي اقترح علاقة بين لقاح ام ام ار (الحصبة، الحمى النكفية، الحصبة الألمانية – المترجم) والإصابة بمرض التوحد، السبب الذي أعطاه هورتون أن تمويل الدراسة المستخدمة في المقال لم يتم الإفصاح عنه وأثار مصدره تضارب مصالح لويكفيلد.

اعتقد الفيلسوف أن هورتون قد ارتكب نسخة من المغالطة الجينية، وهو اعتقاد يجب أن يخضع للتقيم من وجهة نظر موضوعية مجردة، وليس على أساس أصوله (انظر رقم ٢٨)، لكن في هذا الحالة كان من الخطأ أن يؤخذ هذا المبدأ ببساطة من مراجع التفكير النقدي ويطبق بصورة عمياء، انحياز الباحثين عامل مهم للغاية في الأبحاث العلمية ولهذا فمن المهم بالفعل أن يكون هناك إفصاح كامل عمن موّل وأسس دراسة ما، وما كان ينبغي أن تكون هذه نقطة صعبة للاكتشاف، لكن الثقة الزائدة للفيلسوف في قدرته على اكتشاف المنطق السيئ قادته للوقوع في هذا بنفسه.

هناك شيئان مهمان ينبغي تذكرهما إذا أردنا أن نتقادى الوقوع في مصيدة الثقة الزائدة : الأول اليقظة البسيطة، لا تفترض أبدا أن حججك منطقية، ودقق دائما في منطقك باحثا عن علامات الارتباك، والثاني الاعتراف أن الخطوط التي تفرق بين الماهر والغبي، والحجة الفقيرة والجيدة، نادرا ما تكون قاطعة.

يجب أيضًا الاعتراف أنه حتى الحجج الأكثر عقلانية لا تخلو من التأنق البلاغي، لا شيء خطأ في هذا، فبصرف النظر عن أي شيء آخر، ستكون نصوصنا جافة للغاية إذا كانت تتطلع للحياد وعدم التطرف بقدر الإمكان، من الصعب أن نجد أي شيء نقرؤه أو نكتبه خاليًا تماما من المحتوى البلاغي.

البلاغة يمكنها أن تجعل الحجج الجيدة أكثر إقناعا واتباعها أكثر إمتاعا، المشكلة تكون فقط عندما تصبح البلاغة في خدمة منطق سيئ.

ومع ذلك، البلاغة ليست نفس الشيء مثل الحجة العقلانية؛ لذا فهؤلاء الذين يتطلعون أن يكونوا في جانب المنطق يحتاجون لتذكر أنهم ليسوا فقط غير معصومين، بل إنهم أيضًا يستعملون بعض حيل الإقناع التي يحاولون جاهدين أن ينتقدوها في خصومهم.

* * *

أملي أن هذا الكتاب سوف يساعدك لتكون أكثر حساسية للطرق التي لا تعد وتقدم فيها الحجج الفاسدة، وتطبيقه في العالم الواقعي، مع ذلك، لا يتطلب حفظا كثيرا لفهرس المغالطات، لكن تبني عادة الشك البناء والمدروس في قراءاتنا واستماعنا، إذا فعلنا هذا، ستُعرَّف الحجج الفاسدة نفسها، وحتى إذا ظللنا غير كاملين، فسنصبح مفكرين أفضل.

انظر أيضًا :

كل شيء

إجابة عن السؤال في صفحة ٦٨
(١٦ - حظ أفضل)

أي منهما ليس أكثر احتمالا أن يفوز؛ لأنه كل رمية للعملة هي رهان بنسبة ٥٠-٥٠، واختيار جيم العشوائي للصورة أو الكتابة ليس أكثر أو أقل احتمالا أن يكون صوابا عن اختيار جاك، على أساس فكرة خاطئة للاحتمالات، ولا يمكن أن تغيير الأرجحية القول إن هناك نموذجًا، أو معرفة أنه ليس هناك نموذج.

الهوامش

1 'This much I know', *Observer Magazine*, 16 June 2002

2 'Woolly writing creates new poetry', BBC News Online, 4 December 2002, http://news.bbc.co.uk/1/hi/england/2541761.stm

3 *The Quantum Self: Human Nature and Consciousness Defined by the New Physics*, Danah Zohar (Bloomsbury, 1990)

4 'Physics on the brain', Susan Blackmore, *New Scientist*, 5 January 1991

5 Interview given to TF1 and France 2, 1 March 2003. Transcript by French Embassy in UK, www.ambafrance-uk.org/Iraq-Interview-given-by-M-Jacques.html

6 'British Prime Minister Defends Arms To Israel', Neil Roberts, *Daily Mirror*, 25 July 2002

7 'Life is for living', David Cohen, *Candis*, November 2006

8 'Clinic assists doctor's suicide', BBC News Online, 24 January 2006, http://news.bbc.co.uk/1/hi/health/4625538.stm

9 *Existentialism and Humanism*, Jean-Paul Sartre, trans. Philip Mairet (Methuen, 1973)

10 'Sign writer', David Smith, the *Observer*, 20 June 2004

11 'The Comprehensive Spending Reviews, First Report of Session 2007–08', House of Commons Treasury Select Committee

12 Joseph Rowntree Foundation child poverty update, www.jrf.org.uk/child-poverty

13 'A league table of child poverty in rich nations', Innocenti Report Card No.1, June 2000, UNICEF Innocenti Research Centre

14 Donald Rumsfeld, Defense Department briefing, 12 February 2002

15 'Ask Emma', Emma Mitchell, *Guardian*, 7 September 2002

16 *Wild: An Elemental Journey*, Jay Griffiths (Hamish Hamilton, 2007) pp. 47–8; Shape-shifting references, p. 82

17 Leader column, *Economist*, 26 July 2003

18 'Report: Islamophobia makes British Muslims feel increasingly "isolated" in their own country', Maxine Frith, *Independent*, 22 November 2004

19 'After Debate, Clinton Keeps Chipping Away at Obama', Jason Horowitz, *New York Observer*, 19 November 2007

20 *Spirit and Destiny* magazine, February 2003

21 'Britons unconvinced on evolution', 26 January 2006, http://news.bbc.co.uk/1/hi/sci/tech/4648598.stm

22 'Open predictions', BBC Sport Online, 16 July 2006, http://news.bbc.co.uk/sport1/hi/golf/5196078.stm
23 'You voted for this ridiculous war, Reid. So go fight it', Martin Samuel, *The Times*, 21 August 2007
24 Kim Catcheside, *BBC 1 O'Clock News*, 15 September 1998
25 'I know where I stood on abortion. But I had to rethink', Miranda Sawyer, *Observer*, 8 April 2007
26 'The importance of being earnest', Craig McLean, *Guardian Weekend*, 28 May 2005
27 *Life of Samuel Johnson*, James Boswell (1791)
28 *Daily Life in Johnson's London*, Richard B. Schwartz (University of Wisconsin Press, 1984)
29 'Now the Pentagon tells Bush: climate change will destroy us', *Observer*, 22 February 2004
30 'Fast forward into trouble', Cathy Scott-Clark and Adrian Levy, *Guardian*, 14 June 2003
31 'A world like any other', Richard Eyre, *Guardian Review*, 21 August 2004
32 'This ban will not stop us', Brian Eno, *Guardian*, 6 October 2007
33 'Stars join antiwar protest', Mark Davies, BBC News Online, 21 January 2003, http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk_politics/2681243.stm
34 'Oooh duckie we got lucky', Andy Russell, *Sun*, 12 November 2005
35 *Manchester Metro*, 13 September 2002
36 'If God died for all of us, it is not ours to decide who is fit to live', Cardinal Cormac Murphy-O'Connor, *Sunday Telegraph*, 27 March 2005
37 'What's in your basket?', *Observer Food Monthly*, August 2004
38 'TV chef Floyd was three times over drink-drive limit', Richard Savill, *Daily Telegraph*, 24 November 2004
39 President's remarks to the Coalition for Medicare Choices, 17 May 2002, www.whitehouse.gov/news/releases/2002/05/20020517-8.html
40 William Hague, Conservative Party 2001 General Election manifesto
41 'Theistic critiques of Atheism', William Lane Craig, in *The Cambridge Companion to Atheism*, ed. Michael Martin (Cambridge University Press, 2007) p. 73
42 'Pill row takes new turn', BBC News Online, 11 December 2000, http://news.bbc.co.uk/1/hi/health/1065971.stm
43 'No-sex programmes "not working"', BBC News Online, 2 August 2007, http://news.bbc.co.uk/1/hi/health/6927733.stm
44 'After the Promise: The STD Consequences of Adolescent Virginity Pledges', Bruckner, Hannah and Peter Bearman, *Journal of Adolescent Health*, 36 (2005), 271–8
45 *Today*, BBC Radio Four, 28 November 2006

46 *Today*, BBC Radio Four, 20 December 2004
47 'I would not have voted for Iraq war, says Howard', David Cracknell and David Leppard, *Sunday Times*, 18 July 2004
48 'The Right Way in Iraq', John Edwards, *Washington Post*, 13 November 2005
49 *Today*, BBC Radio Four, 25 June 2007
50 'Now Charles backs coffee cure for cancer', Jo Revill, *Observer*, 27 June 2004
51 'Initial Severity and Antidepressant Benefits: A Meta-Analysis of Data Submitted to the Food and Drug Administration', Kirsch I., Deacon B. J., Huedo-Medina T. B., et al., *PLoS Med*, 2008; 5(2)
52 'Why men rape', Randy Thornhill and Craig Palmer, *The Sciences* (The New York Academy Of Sciences, January/February 2000)
53 Ronald Reagan, 1987 State of the Union Address
54 'Firearms: A civil liberties issue?' BBC News Online, 6 March 2001, http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/americas/326106.stm
55 *Infinitely Demanding*, Simon Critchley (Verso, 1997), though the phrase 'ought implies cannot' was said in an interview with *The Philosophers' Magazine*, issue 40, 1st quarter 2008
56 *Therapy Culture*, Frank Furedi (Routledge, 2004), p. 204
57 Address to a Joint Session of Congress and the American People, 20 September 2001, www.whitehouse.gov/news/releases/2001/09/20010920-8.html
58 'Diana "foresaw death crash"', *Evening Standard* front-page headline, 20 October 2003
59 'Intelligent Design in Biology', Phillip E. Johnson, *Think*, Issue 11, autumn 2005
60 *Big Issue in the North*, 1996
61 David Hume, *An Enquiry concerning Human Understanding* [1748]
62 'Primal life force under the ice', David G. Anderson, *Times Higher Education Supplement*, 8 August 2003
63 'Kennedy criticises terror tactics', BBC News Online, 23 November 2004, http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk_politics/4035659.stm
64 Erich von Däniken official website, http://www.daniken.com/e/
65 *Today*, BBC Radio Four, 15 December 2003
66 'Compatible compatriots', interview by Kristine McKenna, *Los Angeles Times*, 22 December 1997
67 Professor Robert Hazell, *Public Servant*, December 2007
68 Frédéric Beigbeder, *£9.99* (Picador, 2002)
69 Fox News, 3 October 2005, www.foxnews.com/story/0,2933,171007,00.html
70 'Call him Mr Loophole', Steve Boggan, *Guardian*, 27 January 2006

71 'The Real Root Causes of Violent Crime: The Breakdown of Marriage, Family, and Community', Patrick F. Fagan, The Heritage Foundation (www.heritage.org), Backgrounder #1026, 17 March, 1995
72 'Call for Ireland to be GM free', Press Association, 9 June 2003
73 *Rocky Mountain News*, CO, 21 May 2003
74 *Toronto Star*, Canada, 19 May 2003
75 CNN, 12 October 2006
76 'The Boss, Tower of faith and loyalty', Archie Dunham, written with David Leonhardt, *New York Times*, 23 February 2000
77 'House Drops Genocide Measure', CBS News, 20 October 2000, www.cbsnews.com/stories/2000/10/11/world/main240298.shtml
78 'Writer repeats Turk deaths claim', BBC News Online, 23 October 2005, http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/europe/4369562.stm
79 'EU threatens to ban vitamin supplements', Geoffrey Lean, *Independent*, 10 March 2002
80 2003 campaign (Source: *Economist*, 29 March 2003)
81 Reported comment to friend, Sky News, 22 March 2007
82 'Kiddies' cornucopia is not all it seems', Neil Collins, *Daily Telegraph*, 21 April 2003
83 Mark Easton, BBC home affairs correspondent, *10 O'Clock News*, 1 June 2007
84 'The bookseller', Nicholas Clee, *Guardian*, 13 March 2004
85 'Mothers are "happier" having a job', BBC News Online, 12 December 2007, http://news.bbc.co.uk/1/hi/business/7140093.stm
86 'Prejudice put down to "ignorance"', John Knox, BBC News Online, 11 December 2007, http://news.bbc.co.uk/1/hi/scotland/7138538.stm
87 'Broadband customers put on hold', BBC News Online, 6 December 2007, http://news.bbc.co.uk/1/hi/technology/7129012.stm
88 'England's pupils feel less safe', BBC News Online, 30 November 2007, http://news.bbc.co.uk/1/hi/education/7121824.stm
89 'Cigarette giant to dent cancer links', Jamie Doward, *Observer*, 5 October 2003
90 *Hen's Teeth and Horse's Toes*, Stephen Jay Gould (WW Norton, 1994)
91 *Inventing Temperature: Measurement and Scientific Progress*, Hasok Chang (Oxford University Press, 2004)
92 'Who stole all your friends?', Carol Sarler, *The Times*, 26 June 2006
93 'A friendlier brand of reality show', AA Gill, *Sunday Times*, 1 April 2007
94 'Poor man's hero', Nick Gillespie, *Reason* magazine, December 2003
95 'Berg's murder is not fault of U.S.', A. J. Magnuson, *The Stanford Daily*, 14 May 2004
96 'Slain man thought he could "help"', CBS News Online, 11 May 2004

97 Book endorsement on paperback cover of George Monbiot's *Captive State* (Pan Books, 2001)
98 Boris Johnson, 23 February 2006, www.boris-johnson.com/archives/2006/02/post_1.php
99 Leader, *Economist*, 29 November 2007
100 'Do stop behaving as if you are God, Professor Dawkins', Alister McGrath, *Daily Mail*, 9 February 2007
101 Naomi Klein, FAQ at nologo.org website, since removed
102 'Gene-juggling', Mary Midgley, *Philosophy*, 54 (October 1979)
103 Bill Clinton, televised White House press conference, 26 January 2003
104 'My answer', Billy Graham, syndicated column, www.billygraham.org/MyAnswer_Article.asp?ArticleID=1864
105 Peter Hitchens column, *Mail on Sunday*, 10 July 2005
106 *Lectures and Conversations on Aesthetics, Psychology and Religious Belief*, Ludwig Wittgenstein (ed. C. Barrett), (Blackwell, 1966)
107 *Stupid White Men ... and Other Sorry Excuses for the State of the Nation!*, Michael Moore (Penguin Books, 2004), p. 132
108 'Why peace is a conjuror's trick', Tom Palaima, *Times Higher Education Supplement*, 12 December 2003
109 'Obama again stirs up rivals with statement on use of nukes', Anne E. Kornblut, *Washington Post* election blog, 2 August 2007, http://blog.washingtonpost.com/the-trail/2007/08/02/obama_rules_out_nuclear_weapon.html
110 *Enough Rope*, ABC TV Australia, 4 October 2004
111 'Birth – the ultimate miracle', *Guardian*, 20 December 2003
112 *The Book of Luck – Brilliant Ideas for Creating Your Own Success and Making Life Go Your Way*, Heather Summers and Anne Watson (Capstone, 2004), p. 18
113 'No such thing as luck', Julia Stewart, *Independent*, 23 November 2004
114 Cited by Masters of Foxhounds Association, www.mfha.org.uk/index.php?option=com_content&task=blogcategory&id=26&Itemid=48
115 'The Absurdity of Life Without God', Chapter 2 of *Reasonable Faith*, www.bethinking.org/resource.php?ID=129
116 'I refuse to believe the McCanns are guilty', Allison Pearson, *Daily Mail*, 12 September 2007
117 Alistair Darling, interviewed by Andrew Marr, *Sunday AM*, BBC One, 2 April 2006
118 Lord Davies of Oldham, Hansard, 30 January 2007
119 Opening speech at 10th meeting of SEECP, José Manuel Barroso, 11 May 2007, http://europa.eu/rapid/searchAction.do
120 'Students need to know what sort of dangerous people are out there', *Guardian*, 26 November 2007

121 'Ian Paisley – what a laugh', Deborah Ross, *Independent*, 22 May 1998
122 'Obama: My wife sees need for rural gun ownership', John McCormick, *Baltimore Sun* blog (http://weblogs.baltimoresun.com), 25 November 2007
123 *The Unnatural Nature of Science*, Lewis Wolpert (Faber, 1992)
124 'Big-tobacco foe: fast food nearly as addictive as drugs; lawyer serves notice he'll sue to force dietary warnings – NRN National Report – John Banzhaf', Milford Prewitt, *Nation's Restaurant News*, 26 May 2003
125 'More than 50 dangerous pesticides found in British food', Geoffrey Lean, *Independent on Sunday*, 27 February 2005
126 'What's eating Jack?', *Observer Music Monthly*, November 2004
127 Research commissioned for *Flat Earth News*, Nick Davies (Chatto and Windus, 2008)
128 'Without prejudice', Nick Cohen, *Observer*, 5 December 2004
129 *We Become Silent – The Last Days Of Health Freedom*, dir. Kevin P. Miller (2006)
130 'US to rate its allies on their treatment of Jews', David Rennie, *Daily Telegraph*, 13 October 2004
131 Editorial, *Daily Mail*, 27 October 2000
132 A catalogue of such stories can be found at www.mediauk.com/newspapers/news/13700/daily-mail
133 First meditation of *Meditations on First Philosophy*, René Descartes [1641]
134 'Just how far did they go, those words against Israel?' Ethan Bronner, *New York Times*, 11 June 2006
135 'The alternative professor', Sarah Boseley, *Guardian*, 25 September 2003
136 National Center for Policy Analysis, Month In Review: Trade, June 1996, www.ncpa.org/pd/monthly/pd696r.html
137 'Sweatshops are better than no shops', Lucy Martinez-Mont, *Wall Street Journal*, 25 June 1996
138 '"Lies masquerading as truth" – Cardinal on abortion laws', *The Scotsman*, 30 May 2007
139 'Time to recognise state terrorism', John Pilger, antiwar.com, 17 September 2004, www.antiwar.com/orig/pilger.php?articleid=3592
140 'I don't care if you don't vote', Daniel Finkelstein, *The Times*, 12 December 2007
141 Mark Thomas, *The Big Issue*, 2–8 December 2002
142 *The Complete Idiot's Guide to Ghosts and Hauntings*, Tom Ogden (Alpha Books, 1999), p. 3
143 *Loose Change* documentary, www.loosechange911.com
144 *The AA Big Book* (4th edn online), p. 30, www.alcoholics-anonymous.org.uk/BigBook/
145 *Thinking about Thinking*, Antony Flew (Fontana, 1975), p. 47

المؤلف فى سطور

جوليان باجينى

* مولود في ١٩٦٨

* فيلسوف بريطانـــي ومؤلف العــديد مـن الكتب عـن الفلسفـة، المكتـوبة للجمهـور لا المتخصصين .

* مؤسس مشارك ومحرر لمجلة الفلاسفة .

* نال درجة الدكتوراه في ١٩٩٦ من جامعة كوليدج بلندن عن رسالة في الفلسفة عن الهوية الشخصية .

* بالإضافة لكتبه الفلسفية الشائعة. باجيني يشارك بالكتابة للجارديان والإندبيندنت والأوبزرفر والبي بي سي .

* ضيف منتظم في إذاعة بي بي سي .

* من مؤلفاته:

- What's It All About?-Philosophy and the Meaning of life
- The Pig That Wants to be Eaten مترجم للعربية

المترجم في سطور :

عماد صبحى

* بكالوريوس الطب والجراحة – جامعة القاهرة، ١٩٧٤ .
* دبلوم الطب المهني وأمراض البيئة – جامعة القاهرة، ١٩٨٦ .
* دبلوم التطبيقات الطبية والبيولوجية في علوم الليزر– جامعة القاهرة، ١٩٩٩ .
* عضو الكلية الأمريكية للطب المهني وأمراض البيئة .
* ضيف منتظم في إذاعة بي بي سي ، وإذاعة مونت كارلو، في برامج علمية وطبية.
* سبق وترجم لنفس المؤلف كتاب "تربيع الدائرة"– جوليان باجين، الصادر عن المركز القومى للترجمة ٢٠٠٩ .
* مؤلف كتاب "أسرار الجسد.. طريق الرشاقة والحيوية الدائمة" – دار هلا للنشر، ٢٠٠٤ ، وكتابي "العلاج بالحب" و"صحتك بين النفس والجسد" ، تحت الطبع .
* راجع كتاب "الأوبئة والتاريخ" الصادر عن المركز القومى للترجمة ٢٠١٠ .
* له موقع طبى إلكترونى يعنى بالصحة والتغذية www.emadsobhi.com

التصحيح اللغوي : موسى عجلان
الإشراف الفني : حسن كامل

اختار الفيلسوف جوليان باجيني مؤلف هذا الكتاب أن يسميه "البطة التي ربحت اليانصيب"، وهو اسم واحد من المقالات المتضمنة في الكتاب، عن بطة ورقية يقال إنها تجلب الحظ في لعبة اليانصيب. واخترنا نحن أن نسميه "حجج فاسدة" وهو وصف لمحتوى الكتاب كله، وإحاطة شاملة بمضمونه.

هذا الكتاب ليس مقصودا به الاسترخاء والاستمتاع، بل الاستفزاز والتحدي والاستعداد لمراجعة ما تسمعه وتقرؤه. يمسك جوليان باجيني بتلابيب مائة حجة فاسدة يستخدمها البعض لمحاولة التأثير علينا في كل المجالات، ونصدقها في أحيان كثيرة، لكن باجيني يقرع جرس الإنذار للانتباه لها ورفضها وتمييز غثها حتى لا نبدو أغبياء عندما نصدقها ونتعامل معها كحقائق. الكتاب يدعو إلى التفكير ثم التفكير، ولا يدع القارئ يهنأ بالاستكانة إلى الحجج التي تقدم له يوميا في كل المجالات.

تصميم الغلاف: نادية كشك